DR. BAN H. ALRAWI

الحطيئة

في معيار النقد

قديماً وحديثاً



الدكتورة

بان حميد الراوي

الحُطَيْئَةْ في معيار النقد
قديماً وحديثاً

الدكتورة
بان حميد فرحان الرّاوي

الطبعة الأولى
2010



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2009/3/888)

928.1

الراوي ، بان حميد .

الحطيئة في معيار النقد قديما وحديثا / بان حميد الراوي . عمان: دار دجلة 2010.

(238) ص

ر.إ : (2009/3/888).

الواصفات:/ الشعراء العرب // النقد الأدبي // النقد الأدبي // التحليل الادبي /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

الطبعة الأولى 2010



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون- عمارة فاطمة

تلفاكس:0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

978-9957-478-37-0 :ISPN

الإهداء

إلى اللذين قرن الـلـه سبحانه برهما بعبادته وطاعتهما برضوانه.......
إلى من أنارا لي طريق المعرفة بعد طريق الهداية، أقدم جهدي ثمرة يانعة كان لهما فضل رعايتها
إلى....

الوالدين الكريمين

ليس جزاءً بل اعترافاً ببعض ما لهما من حقوق

بان

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة:	9
التمهيد:	13
الحطيئة إنساناً	14
الحطيئة شاعراً	19
الفصل الأول: موقف النقاد القدامى من الشاعر وشاعريته	23
المبحث الأول: شخصيته	25
المبحث الثاني: شعره وفنونه	43
المبحث الثالث: طبقته ومنزلته الشعرية	65
الفصل الثاني: موقف النقاد القدامى من شعره	81
المبحث الأول: الطبع والتكلف	83
المبحث الثاني: الظواهر البلاغية	95
المبحث الثالث: السرقات الشعرية	112
المبحث الرابع: الظواهر اللغوية والعروضية	129
الفصل الثالث: مناهج النقاد المحدثين في دراسة الشاعر	145
المبحث الأول: المنهج التقليدي	147
المبحث الثاني: المنهج النفسي	173
المبحث الثالث: المنهج التحليلي	193
الخاتمة	214
المصادر	219

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه الى يوم الدين.

وبعد: يفصح العنوان عن بعض ما فيه، وهو بلا شك يستهدف بيان الحركة النقدية التي دارت حول شاعرنا الحطيئة منذ القدم وحتى يومنا هذا. إذ تصدى النقاد لشعر الحطيئة مبينين حسناته وهفواته، ولقد كان لهؤلاء - القدامى والمعاصرين- معايير وأسس ومناهج خاصة في نقدهم تختلف باختلاف الزمن واختلاف الدافع، وتتبّع النقاد على اختلاف اتجاهاتهم في الدراسة ومناهجهم في البحث، كان امراً ضروريا لأنه ينبئ عن حقيقة كل منهج، كما يكشف عن اختلاف قدرات النقاد وأذواقهم في النقد مما يحتاج الى بصيرة ثاقبة، وتذوّق للشعر، وعلى هذا فإن هدفنا من الدراسة عرض آراء النقاد في شعر الحطيئة ومناقشتها بوصفها تمثل جزء اً حيّاً من تاريخ النقد الادبي.

ولعل تباين النقاد في ارائهم في الحطيئة الإنسان و الحطيئة الشاعر كان السبب المباشر لنا في اختيار هذا الموضوع، فضلا عمّا يمثله اسم الحطيئة عند الكثير من الناس، إذ يكاد المرء لا ينطق اسمه حتى يسمع من يجيبه وكأنه صدى صوته، ذاك الشاعر الهجّاء الذي هجا نفسه فقد كان هجاؤه ذاك اللعنة التي لم تفارقه حتى بعد رحيله الى عالم الغيب والشهادة، وهذا ما يدعو لدراسته بشكل علمي دقيق لنقف على حقيقة تلك الشخصية الشاعرة والمبدعة والمضطربة نفسيا، ولنقدم للقارئ كل ما قيل من آراء كانت مبثوثة في دراسات متفرقة.

ولعل أهم المصاعب التي يلاقيها الباحث في مثل هذه المواضيع ان بعض الآراء النقدية كانت مغمورة في ثنايا بعض كتب اللغة والأدب مما يفرض على الباحث مضاعفة الجهد للحصول عليها، ولم تكن هذه هي العقبة الوحيدة التي يواجهها الباحث فتداخل المناهج النقدية الحديثة مع بعضها، وعدم امكانية الفصل بينها بسهولة، يعدّ أهم مشكلة تصادفه في دراسته ؛ وعلى هذا الاساس فطريقنا في البحث لم يكن سهلا ميسّرا برغم مّما عددنا انفسنا له من تحمّل المشاق والصبر على الصعاب.

ولقد كان لاختلاف وتنوع مناهج النقاد في دراستهم النقدية أثر دور كبير في اعتمادنا على اكثر من منهج إذ اعتمدنا على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والتحليلي في بعض الاحيان، لنتمكن من خلالها أن نلمّ بجوانب الموضوع كافة، إذ يبدو لي في ضوء البحث أن أكثر الدراسات التي كتبت عن الحطيئة تقع في ضمن هذه المناهج.

وقد اعتمدت في دراستي على عدد من **المصادر والمراجع** التاريخية والادبية والنقدية واللغوية، وأهمها تاريخ الطبري وأُسْد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير، والاغاني للأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه، فضلا عن تاريخ الادب العربي لعمر فرّوخ، وشوقي ضيف، وبروكلمان، والزيات.

اما **الكتب النقدية والبلاغية القديمة** التي اعتمدت عليها فكثيرة اذكر منها فحولة الشعراء للأصمعي، وطبقات الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وعيار الشعر لابن طباطبا، ودلائل الإعجاز واسرار البلاغة للجرجاني، وغيرها.

اما **الكتب الحديثة** فاهمها نقد الشعر في المنظور النفسي لريكان ابراهيم، وشعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين لمحمود الجادر، والنقد التطبيقي التحليلي لعدنان عبد الله، والنقد الادبي لمصطفى السحرتي، وعدد آخر سيظهر للقارئ عند تصفّحه للرسالة.

وقد اطلعت على بعض **البحوث القصيرة** عن الحطيئة كالذي كتبه الدكتور طه حسين في حديث الأربعاء، والروائع للأستاذ فؤاد البستاني، ومختارات من الشعراء الأعلام لعبد اللـه أنيس الطبّاع.

ولقد اقتضى **بحثي** هذا أن أعقد له **ثلاثة فصول** مع **التمهيد** بيّنت فيه الحطيئة الإنسان الذي عاش في مجتمع عربي جاهلي بدوي وقد أحاطت به ظروف عدة ـ كما سنرى ـ خلقت منه شخصية قلقة مضطربة في كثير من الاحيان، كما بينت في التمهيد الحطيئة بوصفه شاعراً مبدعاً امتلك كل ما يمتلكه الفنان من قدرات ومواهب لتساعد على الخلق والابداع.

ولقد جاءت **فصول الكتاب** كالآتي:

الفصل الأول: تناول الآراء النقدية التي أطلقها النقاد القدامى في شخصيته وفي شعره وفنونه وفي طبقته ومنزلته الشعرية.

الفصل الثاني: تناول ما وجده القدامى من صناعة شعر وظواهر بلاغية وسرقات شعرية وظواهر لغوية وعروضية.

الفصل الثالث: وتناول دراسة المحدثين من النقاد لشعر الحطيئة إذ ذهبوا في دراستهم له مذاهب عدة، فمنهم من درسه بشكل تقليدي، ومنهم من درسه على وفق المنهج النفسي، ومنهم من درسه على وفق منهج تحليلي.

ولست أزعم ـ بعد هذا ـ أني أتيت بكل ما يرغب به الباحث في هذا الميدان الرحيب، ولكني حاولت جاهدة الوصول الى الحقيقة، لأزيل بعض ما علق بصورة هذا الشاعر من غبار أخفى معه الكثير من ملامح الشاعر الحقيقية، فإن أصبت في عملي، فالله الموفق بفضله ونعمته، وإن أخطأت فأسأل اللـه العون والمغفرة في كل ما حصل... و اللـه الموفق للصواب.

المؤلفة

التمهيد:

الحطيئة إنسانا

الحطيئة شاعرا

الحطيئة انساناً:

إن أية دراسة نقدية علمية للادب لا بد ان تقوم على التحليل الدقيق للشخصية الادبية والعمل الادبي، وهذا يتطّلب دراسة جادّة تعتمد على المنطق والعقل والموازنة والتحليل الدقيق للوقوف على مواطن القوة او الضعف في النص، وتحديد الاصالة الفنية فيه، وهو الهدف الذي ترمي اليه الدراسة الادبية العلمية، والا لم تبعد إنْ تكُ تلك الدراسة عملية نقل وجمع للروايات فقط تحمل بعضها احكاماً نقدية قاسية وظلما كثيرا للشخصيات الادبية. و الحطيئة [1] واحد من شعرائنا القدماء الذين تعرضوا للكثير من الانتقادات والاحكام العامة التي شوهت صورته فجعلتها مشوهة، غريبة الاطوار [2].

ولد الحطيئة في العصر الجاهلي، ومن الصعب تحديد زمن ولادته اذ ان البعد الزمني بيننا وبين الشاعر حال من وصول معلومات كاملة عنه وكل ما نعرفه انه عاصر عنترة والربيع بن زياد وعروة، وذلك لما رواه الاصفهاني (ت 356 هـ) من سؤال عمر بن الحطاب (رضي اللـه عنه) للحطيئة حين قال: " كيف كنتم في حربكم ؟ فقال: كنا الف فارس حازم، قال: وكيف يكون ذلك ؟ قال: كان قيس بن زهير فينا، وكان حازماً، فكنا لا نعصيه، وكان فارسنا عنترة، فكنا نحمل اذا حمل ونحجم اذا أحجم، وكان فينا الربيع بن زياد، وكان ذا رأي، فكنا نستشيره ولا نخالفه ، وكان فينا عروة بن الورد، فكنا نأتم بشعره ؛ فكنا كما وصفت. قال عمر: صدقت [3] ". فضلا عما روي عن اختلافه مع بشر بن ابي خازم على حاتم الطائي المتوفي في اوائل القرن السابع

---

(1) كتابة الحطيئة بالألف اصح. ينظر: الاملاء والترقيم في الكتابة العربية: عبد العليم ابراهيم: 119، تسهيل قواعد الاملاء العربي: مي عبد المجيد: 76.

(2) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: عناد غزوان: 25.

(3) الاغاني: ابو فرج الاصفهاني: 8 / 224.

للميلاد، وقد حاول احد الباحثين ان يحدد ولادته في الربع الاخير من القرن السادس للميلاد [1]، وعلى هذا يكون عمره اربعين عاما عند مبعث النبي (صلى اللـه عليه وسلم) [2].

و الحطيئة لقب لـ جرول بن اوس بن مالك بن جوية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس ... وينتهي نسبه الى مضر بن نزار بن معد بن عدنان [3].

واختُلِف في علة تلقيبه بالحطيئة، فقيل: انما لقب بذلك لقصره وقربه من الارض [4]. وقال ثعلب (ت 219 هـ): وسمي بالحطيئة لدمامته، وقيل: لقب بذلك لانه كان محطوء الرجل. والرجل المحطوءة التي لا اخمص لها [5].

ويكنى الحطيئة بابي مُليكة [6] ـ ومليكة ابنته ـ وقد غلب لقبه على اسمه وكنيته، وامه الضّرّاء أمة لأوس بن مالك. وكان اوس متزوجا بنت رياح بن عوف بن الحارث وتنتهي الى ذُهل، وكان لبنت رياح اخ يقال له الافقم، يقال: ان اوسا أعلق جاريته الضّرّاء بالحطيئة، فلما ولدته جاء شبيها بالافقم، وسألتها مولاتها من ابو هذا الصبي ؟ فقالت لها: هو من اخيك وهابت ان تقول لها هو من زوجك، فلما شبهت الصبي بأخيها قالت لها: صدقتِ، فلما مات اوس ترك ابنين من زوجته الحرة، وتزوج الضّرّاء رجل من عبس يدعى الكلب بن كُنيسُ فولدت منه ولدين كانا اخوي الحطيئة من امه، ثم كان ان اعتقت بنت رياح الضّرّاء، فلما صارت حرة اعترفت أن ولدها الحطيئة هو من اوس بن مالك، الذي مات

---

(1) ينظر: الحطيئة (الروائع): فؤاد البستاني: د.

(2) ينظر: شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين: محمود عبد اللـه الجادر: 65.

(3) ينظر: الاغاني: 2 / 157.

(4) ينظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة: 1 /322.

(5) ينظر: الاغاني: 2 / 157، لسان العرب ـ ابن منظور: 1/ 56، 57 (مادة حطأ)

(6) ينظر: طبقات فحول الشعراء: ابن سلام: 1 / 97.

ولمّا يلحق الحطيئة بنسبته اليه [1]. وهكذا ولد وعاش الحطيئة عبدا في كنف ابيه اوس بن مالك حتى اعتقته بنت رياح وربته مع ولديها [2].

وكان الحطيئة يلح على امه الضّرّاء في ان تدله على ابيه، لانه يعلم ان صراحة النسب شرف لا يعدله شرف، الا انها موهت عليه الامر، فضاع نسبه، واختلط الامر عليه، مما كان سببا " لتدافعه بين القبائل " [3] متخذا من نسبه المضطرب وسيلة لكسب العيش وطلب المال الذي كان لا يملك منه شيئاً يذكر، فقد نشا الحطيئة فقيرا ويظهر ذلك من أحداث سيرته الاولى فهو ابن امة في الجاهلية وعندما كبر طالب اخوته من اوس بن مالك بحقه في ميراث ابيهم، فلم يعطوه شيئا فغضب عليهم ولحق باخوته من بني الافقم الذين مدحهم بقوله [4]:

ان اليمامة خير ساكنها اهل القرية من بني ذُهل

الضامنون لمال جارهم حتى يتم نواهض البقل

قوم اذا انتسبوا ففرعهم فرعي واثبت اصلهم اصلي

وسألهم ميراثه من الافقم فأعطوه نخلات من نخل ابيهم تدعى " نخلات ام مُليكة " فلم تقنعه النخلات وقد اقام فيهم زمانا فسألهم ميراثه كاملا من الافقم فلم يعطوه شيئا وضربوه، فهجاهم قائلا [5]:

ان اليمامة شر ساكنها اهل القرية من بني ذُهل

---

(1) ينظر: الاغاني: 2 / 159.

(2) ينظر: المصدر السابق: 2 / 159.

(3) ينظر: الاغاني: 2 / 157. وينظر: خزانة الادب: عبد القادر البغدادي: 2 / 407.

(4) ديوان الحطيئة: 81. وينظر: الاغاني: 2 / 161.

(5) الديوان: 81. وينظر: الاغاني: 2 / 161.

ثم يعود منتسبا الى بني عبس اهل اوس بن مالك مرة اخرى، وفيهم يقول [1]:

تمنيـــت بكـــرا ان يكونـــوا عـــمارتي   وقـــومي وبكـــر شر تلـــك القبائـــل

اذا قلـــت بكـــريّ، نبـــوتم بحـــاجتي   فيـــاليتني مـــن غـــير بكـــر بـــن وائـــل

تلك هي حال الحطيئة بين عبس وذهل، وهي حـال تـدل عـلى الفقـر والحرمـان وشـعور بالضياع وعدم الانتماء لقبيلة محددة.

وما نعلمه من حياة الحطيئة العائلية شيء يسير لا يتجاوز ما ذكر من انه متزوج من امرأة [2] ـ تدعى امامة ـ او من امرأتين [3]. وله ولدان يقال لاحدهما: اياساً، والاخر اوساً [4]. ولـه بنـات عدة منهن مُليكة التي يكنى بها. وقد كان محبا لأولاده وزوجته بارّاً بهم [5].

اما تحديد زمن اسلام الحطيئة فمسألة مختلف بها من قبل جميع رواة الادب ونقـاده الا انهم " يتفقون جميعا على القول انه كان رقيق الاسلام " [6] وحجتهم في ذلك انه لم يكن من الذين وفدوا على النبي (صلى الـلـه عليه وسلم) في اول خلافة ابي بكر الصـديق (رضي الـلـه عنـه) ثـم رجع بعد ذلك للاسلام مرة ثانية. ومهما يكن الخلاف واسعا فالحقيقة الثابتة واحدة، وهي دخوله الاسلام وتأثره بالقرآن الكريم وهـذا مـا نلمحـه في بعـض اشـعاره، فضـلا عـن اتصـاله بـبعض ولاة المسلمين [7].

(1) ينظر: الاغاني: 2 / 160. ولم اعثر على البيت في الديوان.

(2) ينظر: الديوان: 44 (المقدمة)، الاغاني: 2 / 160.

(3) الحطيئة (الروائع): ح.

(4) ينظر: الاغاني: 2 / 180، 16/ 225. ويذهب البستاني الى ان للحطيأة ولدين هما إياس وسوادة. الحطيئة (الروائع): ط.

(5) ينظر: الحطيئة (الروائع): ط.

(6) الديوان: 45 (المقدمة). الحطيئة (الروائع):

(7) ويذكر انه اتصل بابي موسى الاشعري (رضي الـلـه عنه) في احر خلافة عمر بن الخطاب (رضي الـلـه عنه)، واتصل بالوليد بـن عقبة في خلافة عثمان بن عفان (رضي الـلـه عنه)، كما اتصل بسعيد بن العاص والي المدينة في خلافة معاويـة. ينظـر: الـديوان: 48، 49 (المقدمة). والحطيئة (الروائع): يب، يج.

واذا كان من الصعب تحديد زمن ولادته فتعيين زمن وفاته لا يقل صعوبة عنه، اذ كثر الاختلاف حوله هو الاخر، وقد عرض احد المعاصرين الى هذه المسألة وانتهى الى ترجيح وفاته سنة 59 هـ [1]. ولقد كان لاقوال القدماء اثر كبير في رسم صورة مشوهة للحطيئة، اذ نعتوه بالجشع والطمع، ودناءة الاصل، وكان الاصمعي من اوائل الذين وصفوا للقارئ ملامح صورته المشوهة تلك. ولا نريد هنا ان نسرد اقوال القدامى فيه ـ لاننا سنبحثها لاحقا ـ بيد انه لا بد لنا من الاشارة الى انها اقوال مبالغ فيها تبتعد في كثير من الاحيان عن الدقة والتحري والاستقصاء الدقيق.

---

(1) ينظر: شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين: 85.

الحطيئة شاعرا:

إن القارئ للادب العربي ـ خصوصا العصر الجاهلي ـ يجد أنّ هناك عددا من الشعراء البارزين الذين كان لهم شأن كبير في تاريخ الادب العربي، وقد كان الحطيئة واحدا من اولئك الشعراء.

احاطت نشأة الحطيئة ظروف عدة مؤلمة كان لها تأثير كبير في خلق شاعريته فضلا عن صفاته الخلقية التي دفعته ـ كا تذكر الروايات ـ الى ان يسخر منها بشعره بأسلوب يدل على ما يجري في داخله من شعور بالضيق، وتمرد على الواقع المحيط به، واذا كانت العوامل البيئية والاجتماعية والخلقية قد اثرت سلبيا على خلق شخصيته القلقة فانها في الوقت نفسه قد اثرت ايجابيا على خلق شاعريته، فقد كانت الحافز الاكبر في توجهه الى نظم الشعر ـ هذا الى جانب ما يمتلكه من موهبة شعرية كبيرة ـ و الحطيئة واحد من فحول الشعراء المخضرمين ـ الذين ادركوا الجاهلية والاسلام ـ وقدّ عده ابن سلام (ت 231 هـ) في الطبقة الثانية [1].

وكان الحطيئة في شبابه يختلف الى اربعة من الشعراء يسمع منهم ويروي لهم، وهم عنترة بن شداد، وعروة بن الورد، وحاتم الطائي، وزهير بن ابي سلمى، وكان لكل منهم مذهبه الشعري الذي انماز به من غيره، فعنترة وعروة فارسا حرب، وحاتم جواد شاع جوده، وزهير شاعر الحكمة عند العرب [2].

والذي يبدو ان لزهير تأثيراً متميزا في شعر الحطيئة ويختلف عن تاثير غيره من الشعراء، ولا غرابة في ان يتأثر الحطيئة بإسلوب زهير وهو يرى فيه ابلغ ما وصل اليه الشعر، ويظهر تاثره به واضحا خصوصا في " القصائد المدحية ومقاطع الوصف، وهو يتجلى بمظهرين: الاول من حيث الصناعة الشعرية وما اليها من

---

(1) ينظر: طبقات فحول الشعراء: 1 / 97.

(2) ينظر: دراسة الشعراء: محمد حسن المرصفي: 269.

السبك والتنسيق، والثاني من حيث التعابير والاوصاف واستغلالها على طريقة خاصة ورثها زهير عن أوس، واورثها ابنه كعباً، وتلميذه الحطيئة " الذي كان روايته وكان يلازمه ويرجعه ليستفيد من شاعريته، وليأخذ منه ما يقوّي به موهبته. وهذا ماجعله يسير على منواله في تنقيح شعره وتصحيحه حتى صعب على الاخرين ان يجدوا فيه مطعنا [(1)] [(2)].

اما ابرز الاغراض التي عالجها الحطيئة في شعره فهي المدح والهجاء، فقد قضى الشاعر حياته متنقلا يمدح فلان ويهجو فلان وكان لسانه سليطا مرهوبا يرهب السادة ويدفعهم على العطاء [(3)]، وقد تضافرت ظروف عدة جعلت منه شاعرا متكسبا يقرن المديح بالهجاء فينوه بمن يعطيه، ويهجو خصوم من يمدحهم وممن حرموه العطاء. وكان هجاؤه شديدا على النفوس، وكبيرا في اثارة الاضغان والاحقاد لما يتميز به من مخايرة بين الناس، مثل اشتراكه والاعشى في المنافرة التي كانت بين علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل اذ وقف في جانب علقمة في حين وقف الاعشى في جانب عامر [(4)]. واما ما شاع في شعر الحطيئة من مقطعات ـ وهي قصائد يدخل فيها بموضوعه دونما مقدمات ـ فتدلنا على " ان اكثر شعر الحطيئة يخضع للفكرة الواحدة او للوحدة الموضوعية كما يسمونها " [(5)].

ولقد دُسَّ على الحطيئة شعر كثير لا يستهان به، وحسبنا في ذلك ما روي عن حماد الراوية (ت 156 هـ) على بلال بن ابي بردة ـ وكان واليا على البصرة ـ فقال له بلال: " ما اطرفتني شيئا يا حماد ! فعاد اليه، فانشده قول الحطيئة في ابي موسى، فقال له: ويحك ! يمدح الحطيئة ابا موسى وانا اروي شعره كله ولا

---

(1) الحطيئة (الروائع): ك.
(2) ينظر: الاغاني: 2 / 165.
(3) ينظر: الاغاني: 2 / 178.
(4) ينظر: طبقات فحول الشعراء: 1 / 110 ـ 112، حلية المحاضرة: الحاتمي: 1 / 393.
(5) الحطيئة الشاعر المفترى عليه: عبد الغني خماس 38.

اعلم بهذه ! دعها تذهب في الناس "[1]. ولا نستغرب من انكار بلال لهذه القصيدة، اذ كيف يمكن ان يكون غير عارف لها وهو حفيد ابي موسى الاشعري وأحد المهتمين والحافظين لشعر الحطيئة !. وما هذه الا واحدة مما نسب اليه من شعر كثير خصوصا ما نسب اليه من مقطوعات في الهجاء والحكمة[2]، وكذا الامر في وصية[3] نسبت اليه لسنا الان بصدد عرضهما وبيان نحلهما وتلفيقهما.

ان ما اصاب شعر الحطيئة من نحْل ووضْع " دفع اللغويين في القرن الثاني والثالث الهجري الى جمع اشعاره "[4]، ووضعها في ديوان خاص بالشاعر، وقد كان لديوان الحطيئة ثلاث روايات:

الاولى: رواية السكري (ت 212هـ) التي اخذها من ابن حبيب عن ابي عمر والشيباني (ت 205 او 206 هـ) وابن الاعرابي (ت 230 هـ)[5].

والثانية: رواية ابي حاتم السجستاني (ت حوالي 255 هـ) وهي أدق من رواية الشيباني وابن الاعرابي، اذ حرص فيها على رفض الاشعار المشكوك في نسبتها إليه[6].

والثالثة: رواية ابي يوسف يعقوب ابن السكيت (ت حوالي 244 هـ)[7] ولقد جمع ابن الشجري (ت 542 هـ) اختيارات من ديوان الحطيئة أودعها في القسم الثالث من مختاراته[8].

---

(1) الديوان 225. وينظر: طبقات فحول الشعراء 1 / 48، الاغاني 2 / 176.

(2) ينظر: الديوان 10 (المقدمة).

(3) ينظر: الديوان: 355 ـ 358، الاغاني: 2/ 195، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين: 85 ـ 86.

(4) دائرة المعارف الاسلامية الابشيهي: 7 / 470.

(5) ينظر: الديوان 8ـ 9 (المقدمة).

(6) ينظر: المصدر السابق: 9 ـ 10.

(7) ينظر: المصدر السابق: 10.

(8) ينظر: تاريخ الادب العربي: (بروكلمان): 1 / 77.

ولأهمية شعر الحطيئة طبع ديوانه عدة طبعات، فقد طبع الديوان للمرة الاولى في القسطنطينية سنة 1890 في جزأين [1]، والتي لم يستطع نعمان امين كما يذكر في مقدمة تحقيقه للديوان ـ ان يعثر عليها [2].

اما الطبعة الثانية فقد عني بها المستشرق اغناطيوس جولدتسيهر وقد قام فيها " بنشر الديوان نشرة علمية في ليبسك سنة 1893م مع شرح ابي سعيد السكري وزاد عليه ما ورد من مختارات ابن الشجري من قصائد منسوبة الى الحطيئة، كما زاد عليه حواشي مفيدة وكتب له مقدمة باللغة الالمانية " [3].

والطبعة الثالثة ظهرت في 1905 وهي طبعة مصرية، وقد كثر فيها الخطأ والتحريف مما يدفع للشك في ان يكون عالم مثل احمد بن الامين الشنقيطي قد عني بتصحيحها [4].

وظهرت بعد ذلك طبعة رابعة للديوان في لبنان، اعتمد فيها على طبعتي جولدتسيهر والشنقيطي مع زيادة شرح خفيف لبعض الكلمات خرج فيها الديوان إخراج دواوين الشعراء المحدثين [5].

ثم طبع للمرة الخامسة سنة 1958 في القاهرة، وقد اعتمد فيها نعمان امين طه ـ محقق الديوان ـ على شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني.

وهي الطبعة التي اعتمدت عليها في تخريج النصوص الشعرية.

---

(1) ينظر: الحطيئة (الروائع): يج.

(2) ينظر: الديوان: 10 (المقدمة).

(3) " الحطيئة البدوي المحترف ": درويش الجندي: 7.

(4) ينظر: الديوان: 12 (المقدمة)، الحطيئة (الروائع): يج، الحطيئة البدوي المحترف: 70.

(5) ينظر: الديوان: 12 (المقدمة).

الفصل الأول

موقف النقاد القدامى من الشاعر وشاعريته

- المبحث الأول: شخصيته
- المبحث الثاني: شعره وفنونه
- المبحث الثالث: طبقته ومنزلته الشعرية

المبحث الأول

شخصيته:

يعدّ الحطيئة واحداً من شعراء الجاهلية الكبار، وقد أدرك الإسلام وعمّر فيه واتصل بأشراف المسلمين، وكان له شأن ظاهر في البيئات العربية المختلفة الى أيام معاوية فعرف عنه الناس الشيء الكثير وتناقلوه، وبالغ بعضهم فيما رووا عنه حتى شوهوا صورته .

ان شخصية الحطيئة تثير في النفس رثاء وإشفاقاً حقاً فقد كان الحطيئة بائساً يعاني من الفقر والحرمان وصراحة النسب ونفسه لم تكن ساخطة على حياته المادية والمعنوية فحسب، وإنما هو ساخط على تكوينه وخلقته ولقد بالغ القدماء في وصفه، فقد عدّه أبو عبيدة (ت. 21 هـ) أحد بخلاء العرب الأربعة، قال: " بخلاء العرب أربعة: الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان" [1].

أما الأصمعي فقد وصفه بقوله: " كان الحطيئة جشعاً سؤولاً مُلحفاً، دنيء النفس، كثير الشرّ، قليل الخير، قبيح المنظر، رثّ الهيئة، مغموز النسب، فاسد الدين" [2] .

ووصفه ابن سلام بقوله: " كان جشعاً سؤولاً" [3] .

أما الجاحظ (ت 255 هـ) فيقول عنه متسائلاً: " وأيُّ سائلٍ كان ألحفُ مسألةً من الحطيئة" [4] .

---

(1) الأغاني: 2 / 163.

(2) المصدر السابق: 2 / 163.

(3) طبقات فحول الشعراء: 1 / 111.

(4) البخلاء: أبو عثمان الجاحظ: 383.

وتابع الثعالبي (ت 429 هـ) سابقيه قائلاً: " كان ذا شر وسفه كثير السؤال، ملحفاً فيه، دنيء النفس قليل الخير بخيلاً. وكان فوق ذلك قبيح المنظر، رثّ الهيئة، متدافع النسب، فاسد الدين"[1]. فضلاً عن وصفه بخبث اللسان [2] .

ويرى ابن رشيق (ت 456 هـ)" ان الحطيئة أكثر من السؤال بالشعر، وانحطاط الهمة منه، والإلحاف حتى مقت وذلّ أهله" [3] .

أما ابن الأثير (ت 630 هـ) فيذهب في معرض حديثه عن إسلامه - إسلام الحطيئة - ووفود أبناء قومه - عبس - على الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) الى القول عنه: " وأما الحطيئة فما زال مهنياً خسيساً، لم يبلغ محله أن يكون في الوفد" [4] .

وقد تابع البغدادي (ت 1093 هـ) سابقيه في هذه الأقوال فوصفه قائلاً: " كان سفيهاً شريراً، ينتسب الى القبائل" [5] .

واذا ما نظرنا في كل هذه الآراء، نجد فيها غلواً وبعداً عن الحقيقة ودليلنا على ذلك الروايات والأخبار التي ساقها الاصفهاني وغيره لتكون هي وسيلتنا لمناقشة تلك الآراء بأسلوب علمي منطقي فتكون أحكامنا بعد ذلك أحكاماً موضوعية .

ان مقولة الأصمعي تلك - التي ذكرناها آنفاً - كان لها صدىً واسع عند نقادنا القدماء فقد تابعه أغلبهم إن لم نقل كلهم في معظم ما قاله، وهذا يتضح لنا من خلال ما أوردناه من آرائهم. فقد أورد لنا صاحب الأغاني خبراً يُظهر فيه الحطيئة جشعاً سؤولاً مورداً الخبر بروايتين إحداهما عن أبي العلاء عن الزبير بن

(1) المنتحل: أبو منصور الثعالبي: 312.

(2) ينظر: خاص الخاص: أبو منصور الثعالبي: 81.

(3) العمدة في محاسن الشعر ونقده: ابن رشيق القيرواني: 1 / 81.

(4) أسد الغابة في معرفة الصحابة: عز الدين بن الأثير: 2 / 32.

(5) خزانة الأدب: 2 / 406.

بكار عن عمه والثانية عن محمد ابن سلام عن سلسلة من الرواة مرفوعة الى أبي عبيدة والمدائني ومصعب، قال: " كان الحطيئة سؤولاً جشعاً، فقدم المدينة وقد أرصدت له قريش العطايا، والناس في سنة مجدبة، وسَخَطةٍ من خليفة، فمشى أشراف أهل المدينة بعضهم الى بعض، فقالوا: قد قَدِم علينا هذا الرجل وهو شاعر والشاعر يظنّ فيحقق وهو يأتي بالرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جَهَدَ نفسه يضهرها وإن حرمه هجاه، فأجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيئاً معدّاً يجمعونه بينهم له، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار وظنوا أنهم قد أغنوه، فأتوه فقالوا له: هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان فأخذها، فظنوا أنهم قد كفوه عن المسأله، فإذا هو يوم الجمعة قد أستقبل الإمام ماثلاً ينادي: مَن يحملني على بغلين وقاه الله كبَّة جهنم" [(1)] .

ولم يكتف أبو الفرج بهذا الخبر وإنما ساق لنا خبرين آخرين يدعم بها خبره الأول مؤكداً فيهما على بخل الحطيئة، أولهما: " قال: مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته فقال السلام عليكم، فقال: قلت مالا ينكر ... قال: أفتأذن لي أن أتي ظلّ بيتك فأتفيأ به؟ قال: دونك الجبل يفيء عليك، قال: أنا ابن حمامة، قال: انصرف وكن ابن أي طائر شئت" [(2)] .

وثانيهما: " أتى رجل الحطيئة وهو في غنم له فقال له يا صاحب الغنم، فرفع الحطيئة العصا وقال: إنها عجراءُ من سَلَم، فقال الرجل: إني ضيف، فقال: للضيّفان أعددتها، فانصرف عنه" [(3)] .

وإذا ما سلمنا بصحة هذين الخبرين فلن نجد فيهما إلا خفّة روح الحطيئة وحبه

---

(1) الأغاني: 2 / 164.

(2) طبقات فحول الشعراء: 1 / 114، الأغاني / 2: 171. وينظر: الجمان في تشبيهات القرآن: ابن ناقيا البغدادي: 261.

(3) عيون الأخبار: ابن قتيبة: مج 3: 9 / 242، الأغاني: 2 / 171.

للهزل وقد عُرف عنه هذا الطبع فقد روي" أنّ رجلاً دخل على الحطيئة وهو مضطجع على فراشه وإلى جانبة سوداءُ قد أخرجت رجْلها من تحت الكساء فقال له: ويحك: أفي رِجْلك خفّ؟ قال: لا والله ولكنها رجل سوداءَ، أتدري مَن هي؟ قال: لا، قال: هي والله التي أقول فيها:

وآثــرتُ إدلاجـي عـلى ليـلٍ حـرّة   هضـيم الحشـا حسّـانه المتجـرّدِ
تفـرّق بالمـدرى أثيثـاً نباتـه   عـلى واضـح الـذّفرى أسـيل المقلّـدِ

والله لو رأيتها يا بن أخي لما شربت الماء من يدها؛ قال: فجعلت تسبّه أقبح سبٍّ وهو يضحك" [1]. فهو لا يقصد إهانتها وجرح مشاعرها حقاً وإنما أراد ملاطفتها والمزاح معها وإلا كيف نفسر حسن رعايته لأبنائه وامتثاله لزوجته حينما طلبت منه البقاء عندما همّ بالرحيل قائلة له:

أذكـر تحنّننـا إليـك وشوقنـا   واذكـرْ بناتـك إنّهـن صغـارُ

فقال: حطّوا: لا رحلتُ لسفرٍ أبداً [2] .

وقصيدته التي استعطف بها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ليطلق سراحه بعدما حبسه لاستعداءِ الزبرقان عليه، والتي يقول فيها [3]:

مـاذا تقـول لأفـراخٍ بـذي مَـرَخٍ   حمْـر الحواصـلِ لا مـاءٌ ولا شـجرُ
غيّبـتَ كاسـبهم في قعـرِ مظلمـة   فـاغفرْ عليـك سـلامُ اللـه يـا عمـرُ
أنـت الأمـين الـذي مـن بعـد صـاحبهِ   ألقـتْ اليـك مقاليـدَ النّهـى البـشرُ

---

(1) الديوان: 147، الأغاني: 2 / 201.
(2) ينظر: الأغاني: 2 / 177.
(3) ينظر: الديوان: 208، الأغاني: 2 / 186.

لـــم يـــؤثروكَ بهـــا إذ قدّمـــوك لـــها   لكـــنْ لأنفســـهم كانـــتْ بهـــا الأثـــرُ

تمثل صدق مشاعره وحسن تصويره لعاطفة الابّوة الصادقة حتى قيل ان عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه) بكى لشدة تأثره بها حين قال الحطيئة [1]:

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ،،، زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

لقد أسهب القدماء في حديثهم عن تكسّب الحطيئة بشعره وكثرة سؤاله متجاهلين في ذلك كثيراً من الشعراء الذين عاصروه أو لحقوا به فقد سبقه الأعشى والنابغة وزهير وغيرهم حتـى قيـل ان الأعشى خرج لملاقاة الرسول (صلى اللـه عليه وسلم) لسؤاله عن دينه للدخول فيه ولكنـه مـا لبث ان غيّر رأيه عندما دفعت له قريش بعض المال ليعود عمّا عزم عليه من الأمر [2] .

وهنا نقول: لماذا إذن نلحّ على مسألة تكسبه بالشعر، ونلقي عليه أكـثر مـما يسـتحق مـن اللوم والتعنيف والكلام الجارح؟ واذا كان الرجل قد أكثر من السؤال فهذا لا يعني إنه يملـك شـيئاً ورغب بالمزيد، بل لأنه لم يكن له ما يعينه على تدبر حياته وحياة عائلته، فقد عاش طفولته عبداً في بيت أبيه لأنه كان أبن أمة سيدة الدار، وعندما شـبّ وأعتـق، لم يسـتطع أن يأخـذ حقـه مـن ميراث أبيه فظل يعاني من الفقر والحرمان اللذين كانا سبب سؤاله. واذا سُئلنا بعد ذاك عن دليـل مادي يدحض عنه صفة الجشع والطمع فسيكون دليلنا خبر قصته مع الزبرقان بن بدر التـي كـان لها أثر كبير في تشويهه لما لحقها من تهويل وتعظيم على حين انها لا تستحق كل ذلك .

فلـو تتبعنـا مختلـف الروايـات التـي أشـارت لتلـك القصـة - عـلى الـرغم مـن الإخـتلاف في جوانبهـا الأولى - فـإن مجملهـا تـذكر أنّ الحطيئـة التقـى الزبرقـان بـن بـدر وهـو يحمـل صـدقات قومـه الى الخليفـة عمـر بـن الخطـاب (رضي اللــه عنـه) في المدينـة وسـأله الزبرقـان عـن وجهتـه فـأخبره انـه يريـد العـراق، فعـرض عليـه الزبرقـان

---

(1) ينظر: الاغاني: 2 / 188 .

(2) ينظر الخبر كاملاً في الأغاني: 9 / 125 – 126.

أن يقبل جواره وسيكفيه الحاجة وأرسل معه كتاباً الى زوجته (هنيدة) - وقيل أمه (أم شذرة) - في العراق لتكرمه، وأنها فعلاً أكرمته، وقد اغتاظ بنو أنف الناقة - أبناء عم الزبرقان الذين كانوا ينازعون الزبرقان الزبرقان الشرف والسيادة وكانوا أشرف منه، إلا ان الزبرقان قد استعلاهم بنفسه - فحسدوه على جواره لشاعر مشهور مثل الحطيئة. فحاولوا الإيقاع بين الحطيئة وأهل الزبرقان مدعين أنها لم تحسن ضيافته ولم تعطهِ حقه وأرسلوا اليه: أن أئتنا فأبى عليهم قائلاً: " ان شأن النساء التقصير والغفلة، ولستُ بالذي أحمل على صاحبها ذنبها .... ولست بحامل على الرجل ذنب غيره" [1]. وقيل ان ابنة الحطيئة - مليكة - كانت جميلة فدس بنو أنف الناقة الى (هنيدة) زوجة الزبرقان أنّ الزبرقان يريد أن يتزوجها، فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة، ثم أرادوا النُّجعة فقالت للحطيئة: " أركب أنت وأهلك هذا الظهر الى مكان كذا وكذا، ثم أردده الينا حتى نلحقك فإنه لا يسعنا جميعاً، فأرسل اليها، بل تقدمي أنت، فأنتِ أحقّ بذلك ففعلتْ وتثاقلت عن ردّها إليه، وتركته يومين أو ثلاثة وألحّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تُركتْ بمَضبعة ... فلما ألحوا عليه أجابهم وقال: أما الآن فنعم، أنا صائر معكم متحمّل معهم، فضربوا له قبّةً، وربطوا بكل طنب من أطنابها حلّة هجرية، وأراحوا عليه إبلهم وأكثروا له من التمر واللبن وأعطوه لقاحاً وكُسوةً" [2] .

وتضيف الروايات" ان الزبرقان عندما عاد الى قومه وأهله سأل عن الحطيئة، فأخبر بقصته فخرج اليه ليعيده الى جواره فرفض الحطيئة واختار جوار بغَيض ورهطه، فقال له الزبرقان:" أبا مليكة، أفارقت جواري عن سُخْطٍ وذم؟ قال:لا، فانصرف وتركه" [3].

وفي رواية أبي عبيدة انه عندما اختار بغيضاً وقومه أخذ بمدحهم من غير أن يهجو الزبرقان، حتى أرسل الزبرقان الى رجل من النمر بن قاسط يقال له دِثار

---

(1) الأغاني: 2 / 181.

(2) المصدر السابق: 2 / 182.

(3) المصدر السابق: 2 / 183.

بن شيبان، فهجا بغيضاً كما تعرض في هجائه لآل بغيض بالحطيئة مشيراً الى ان بني أنف الناقة لا شرف لهم غير ان الحطيئة ضافهم وامتدحهم، وفي ذلك يقول: [1]

أرى إبـــلي بجـــوفِ المـــاء حلّـــتْ وأعوزهــــا بــــه المـــاءُ الــــرّواءُ
وقـــد ورَدَتْ ميـــاه بنـــي قُرَيـــع فـــما وصـــلوا القرابـــةَ مـــذ أســـاءوا
تُحّــــلأ يـــوم وِرْد النـــاس إبــــلي وتصـــــدُرُ وهـــــي محنّقـــــةٌ ظـــماءُ
ألم أكُ جـــارَ شـــمّاس بـــن لأيٍ فأســــــلمني وقـــــد نـــــزل الـــــبلاءُ
فقلــــت تحــــوّلي يــــا أمّ بكـــرٍ الى حيـــــــثُ المكــــــارمُ والعــــــلاءُ
ومـــا أضـــحى لشّـــماسِ بـــن لأي فأســــــلمني وقـــــد نـــــزل الـــــبلاءُ
ســـوى أنّ الحطيئـــة قـــال قـــولاً فهـــــذا مـــــن مقالتــــــه جــــــزاءُ

وعندما سمع الحطيئة أبيات دثار بن شيبان يرد عليها معاتباً الزبرقان على ذلـك، مبتعـداً في رده عن الفحش والرذيلة فيقول له [2]:

ألا أبلـــغ بنـــي عـــوفِ بـــن كعـــبٍ فهــــل قـــوم عــــلى خُلُــــقٍ ســــواءُ
عُطاردَهـــا وبَهدَلـــةَ بـــنِ عَـــوفٍ فهــــل يشــــفي صــــدوركمُ الشــــفاءُ
ألم أكُ نائيــــــــاً فـــــــدَعوتموني فجـــــاءَ بي المواعـــــدُ والــــدّعاءُ
وآنيــــــتُ العشــــــاء الى ســــــهيلٍ أو الشّــــعرى فطــــال بي الأنــــاءُ
فلــــمّا كنـــتُ جـــاركمُ أبيـــتمْ وشرُّ مـــــواطن الحســـــبِ الإبــــاءُ
ولمّــــا كنــــتُ جــــارهمُ حبــــونيْ وفـــيكمُ كــان - لـــو شـــئتمْ - حبــاءُ
ولمّــــا أنْ مـــدحتُ القـــومَ قلـــتمْ هجــــوتَ ولا يحـــلُّ لـــك الهجـــاءُ
ألمْ أكُ مســــلماً فيكـــونَ بينـــي وبيـــــنكمُ المـــــودّةُ والإخـــــاءُ

---

(1) الديوان: 97. وينظر: الأغاني: 2 / 184.

(2) الديوان: 98. آنيت: آخرت. سهيل: نجمان يطلعان نصف الليل أو آخره.

فلـــمْ أشـــتمْ لكـــم حســـباً ولكـــــنْ   حـــدَوتُ بحيـــث يُســـتمَعُ الحُـــــداءُ

فهو هنا لا يهجوه وإنما يذكره بفعل زوجه وجفائها له موضحاً له ان مديحه لبني بغيض لا يعني ذم له وإنما هو جزاء لإحسانهم اليه وإكرامهم له ولأهله. ولو تمعنّا في هذه القصة فلن نجـد فيها إشارة واحدة تدل على سوء خلق الحطيئة أو طمعه فلـو كـان كـذلك لهجـا الزبرقـان بعـدما أساءت زوج الزبرقان اليه ولكننا نجده يمتنع عن هجائه حتـى بعـدما ينتقـل الى جـوار آل بغـيض الذين كانوا يلحون عليه ليهجوه فيعتذر لهم بقوله: " لا ذنب للرجـل عنـدي" [1] فـيما فعلـت بـه زوجه، ولو كان الحطيئة طماعاً دنيء النفس لسارع في هجاء الزبرقان مذ عـرض عليـه آل بغـيض المال أول مرة. وهو حينما يعرض للزبرقان – في مديحه لآل بغـيض – يخاطبـه معاتبـاً ومصـوراً لـه حاله حين تركته زوجة الزبرقان هو وأهله ينتظر عودة رحالها أياماً قلقـلاً جائعـاً حتـى أوى الى آل بغيض الذين أحسنوا اليه، وفي ذلك يقول [2]:

وهــــل كنــــتُ إلا نائيــــاً إذ دعــــوتمُ   منــــادى عُبيــــدانَ المحــــلاء بــــاقرُه

توانيــتَ حتّــى كنــتَ مــن غِــبّ أمــرهِ   عــلى محجــزٍ إن قمــتَ يومــاً تفــاخرُه

فــــدَعْ آل شــــمّاس بــــن لأيٍ فــــإنهم   مواليــــكَ أو كــــاثرْ بهــــم مَــــن تُكــــاثرهُ

قــــرَوا جــــارَكَ العَــــيمان لمــــا تركتــــهُ   وقلّــــصْ عــــن بَــــردِ الشّرابِ مَشــــافرهُ

وهو لم يتحول عن الزبرقان الى غيره إلا بعد أن ظهر له جفاءه وهو بعد ذلك يشعر بمـرارة هجائه للزبرقان فيعيش لحظات يحس فيها بواخز الضمير في داخله لذا يطلب من ابـن عبـاس(ت 68 هـ) (رضي اللـه عنهما) أن يفتيه في هجائه لمن ظلمه وهجاه [3] .

وبعد كل هذا لابد من التساءل: ترى لـمَ أطال القدماء الحديث عن قصة

(1) الأغاني: 2 / 183.

(2) الديوان: 183 – 184. توانيت: قصّرتَ

(3) ينظر الخبر كاملاً في الأغاني: 2 / 192 – 193.

الحطيئة مع الزبرقان ولم يفعلوا ذلك في قصة الزبرقان مع عبد اللـه بن أبي ربيعة [1] الذي بخل عليـه الأول بالماء؟ ، ألأنه كان شريفاً وسيداً من سادات قومه تغافلوا عن فعله هذا؟ . وإذا كنا قـد أطلنـا في الحديث عن الحطيئة والزبرقان فغايتنا في ذلك بيان ما في داخله من حسن خلق ووفـاء ونبـل، وهذا لا يعني ان هذا الخبر هو الدليل الوحيد على حسن خلقـه، فهنـاك روايـات عديـدة في هـذا المجال لعل من أبرزها قصته مع أوس بن حارثة الطائي لما حاول قوم من أهلـه تحـريض الحطيئـة على هجائه قائلين له: " أهجه ولك ثلاثمائة ناقة. فقال الحطيئة: كيف أهجو رجـلاً لا أرى في بيتـي أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده؟ ثم قال:

كيـــف الهجـــاءُ، ومـــا تنفـــك صـــالحة مـــن آل لأم بظهـــر الغيـــب تـــأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم: أنا أهجوه لكم: فأخذ الإبل وهجاه" [2] .

وتروى القصة نفسها مع زيد الخيل، إذ تـذكر الأخبـار ان زيـد الخيـل وجماعـة مـن طـيّء أغاروا يوماً على بني عامر ومن جاورهم من قبائل العرب من قيس وهُـزِمَ بنـي عـامر، وأُسر زيـد الخيل يومئذ الحطيئة فجز ناصيته وأطلقه .... ثم اجتمع بنو عامر ومن معهم فغزوا طياً وأدركوا ثأرهم ثم أرادوا الإغارة على طيٍّ مرة أخرى فخرجوا ومعهم الحطيئة وكعب بن زهـير وكـان عـلى رأسهم علقمة بن عُلاثة فلقيهم زيد الخيل فقاتلهم وأسر الحطيئة وكعب وغيرهم فلما طال عليهم الأسر قالوا: يا زيد فادنا. قال: الأمر الى عـامر بـن الطفيـل، فـأبوا ذلـك عليـه، فـوهبهم لعـامر إلا الحطيئة وكعباً، فأعطاه كعب فرسه الكميت، وشكا الحطيئة الحاجة، فمـنّ عليـه، فقـال زيـداً أبياتاً سبعة منها [3]:

---

(1) ينظر المصدر السابق: 2 / 194.

(2) ديوان بشر بن أبي خازم: 26 .

ينظر: الديوان: 86، خزانة الأدب: 2 / 263.

(3) الديوان: 84 .

أقـــول لعبـــدي جَـــروَل إذ أسرتُـــهُ   أتبنـــي، ولا يغْـــرركَ أنـــك شاعـــرُ

فقال الحطيئة [1]:

إلا يكـــــن مـــــالٌ يُثـــــابُ فإنّـــــهُ   ســـيأتي ثنـــائي زيـــداً بـــنَ مُهَلهَـــلِ
فـــما نلتنـــا غـــذراً ولكـــن صَـــبحتَنا   غـــداةَ التقينـــا بالمضـــيقِ بأخيـــلِ
تفــادى كــماةُ الخيــلِ مــن وقــعِ رمحِــهِ   تفــادى خشــاشِ الطــير مــن وَقْــع أجــدَلِ
وأعطتـــكَ منّـــا الـــودَّ يـــومَ لقيتنـــا   ومـــن آل بـــدرٍ وقعـــةٌ لـــم تُهلّـــلِ

ويطلق زيد الخيل سراح الحطيئة، فيأسره بصنيعه هذا ويحمله على الوفاء له ونجد ذلك واضحاً في بقية الخبر إذ يروى" ان فزارة وأفناء قيس طلبـت الى شـعراء العـرب أن يهجـو بنـي لأم وزيداً، فتحامتهم شعراء العرب، وامتنعت من هجائهم، فصاروا الى الحطيئة، فأبى علـيهم وقـال: اطلبوا غيري فقد حقن دمي، وأطلقني بغير فداء، فلستُ بكافر نعمته أبداً! قـالوا: فإنّـا نعطيـك مئة ناقة! قال: والـلـه لو جعلتموها ألفاً ما، فعلتُ" [2] .

ان حسن خلق الحطيئة كان الدافع في حرصه على تربية بناته تربية صالحة فقد قيل: انـه مرّ ببني مقلد - وقيل: بالنضاح [3] - فقالوا له: " يا أبـا مليكـة، إنـك اخترتنـا عـلى سـائر العـرب، ووجب حقك علينا، فمُرْنا بما تحب أن نفعله وبما تحب أن ننتهي عنـه، فقـال: لا تكـثروا بزيـارتي فتملّوني ولا تقطعوها فتوحشوني ولا تجعلوا فناء بيتي مجلساً لكم، ولا تُسمعوا بناتي غناء شبّانكم،

(1) المصدر السابق: 84. خشاش: ضعاف. لم تهلّلِ: لم تجبن
(2) المصدر السابق: 85 - 86.
(3) ينظر: الشعر والشعراء: 1 / 326.

فإن الغناء رقية الزنا" [1] فهو يخاف على بناته من الغواية والسقوط في الرذيلة .

ولا بد لنا قبل أن نطوي الحديث عن وصف القدماء له بالبخل والطمع من الاستماع للقصيدة التي تنسب له والتي يصف فيها بتصوير فني رائع مشهداً لرجل فقير أستضافه أعرابي وهو لا يملك ما يقدمه لضيفه، متبعاً بذلك أسلوب الحوار القصصي الذي يخلق ذهن القاريء مسرحاً يشهد فيه تلك الأحداث، يقول فيها [2]:

وطاوي ثلاثٍ عاصبِ البطنِ مرملٍ ببيداءَ لم يعرف بها ساكنٌ رسما
رأى شبحاً وسطَ الظلامِ فراعهُ فلما بدا ضيفاً تصوّرَ واهتمّا
فقال ابنهُ لما رآه بحيرةٍ أيا أبتِ اذبحني، ويسرّ له طُعما
ولا تعتذر بالعُدمِ، علّ الذي طرا يظنّ لنا مالاً، فيوسعنا ذمّا
وقال: هيا ربّاه! ضيفٌ ولا قِرى بحقّك، لا تحرمْه تالليلةَ اللّحما

وقد أحسن في هذه الأبيات وهو يرسم صورة الرجل الذي همّ بذبح ابنه لأنه لا يملك ما يقدمه لضيفه، وبعد فكيف يمكن لرجل لم يوصف إلا بالبخل أن يقدم، نموذجاً رائعاً للكرم العربي يحمل فيه روعة الوصف وصدق المشاعر؟، واذا تجاوزنا ذلك الى أبياته التي هجا فيها بخيلاً هجاءً يحمل في ثناياه نقداً اجتماعياً لصفة البخل [3]، نجد مسألة بخله محاطة بالشك .

وبعد هذا يصح القول: انه لم يكن كما وصفه الأصمعي وغيره ممن سبقوه أو لحقوه من سوء الخلق، واذا كان الحطيئة حريصاً في إنفاقه المال أو

(1) الأغاني / 2: 178 – 179. وينظر: الحيوان: أبو عثمان الجاحظ: 3 / 293.

(2) الديوان: 396. طاوي ثلاث: جائع لثلاث ليال، مرمل: محتاج، أخى جفوة: غلظ الطباع، العدم: الفقر.

(3) مقطوعته في هجاء البخيل والتي يقول فيها:

كدحْتُ بأظفاري وأعملتُ معْولي فصادفتُ جُلموداً من الصخرِ أملسا

ينظر: الديوان: 282.

كثير السؤال فلأنه لم يكن يملك مالاً وفيراً يضمن له كرامة العيش خاصة، وإنه حرم من النسب الرفيع وحسن الخلق والقدرة الجسدية التي تعينه على تحمل أعباء الحياة فلحرصه أسبابه ودوافعه، ويبدو لي انه لو كان رجلاً آخر غير الحطيئة – معروف النسب، سيد من سادات قومه – قد حرص كحرص الحطيئة على أمواله – اذا كان للحطيأة مال حقاً – لما أفرط القدماء في الحديث عنه كما هو الحال بالنسبة للحطيأة .

أما مسألة تدافعه بين القبائل وهجاؤه لأبيه وأمه وأخواله، فإنها من الأمور التي لايمكن إغفالها لما يحيط بها من تهويل وتعظيم يدفعنا بحرص لمناقشتها، وقد ذهب الأصفهاني للقول: " ....، نسبه متدافع بين القبائل العرب، وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين" [1] ويضيف قائلاً: " كان الحطيئة اذا غضب على بني عبس يقول: أنا من بني ذهُل، وإذا غضب على بني ذهُل، قال" أنا من بني عبس" [2]، وقد تابعه الثعالبي في قوله [3] .

ويذكر البيهقي (ت 458 هـ) في بعض أخباره ان هرم بن سنان المريء قال لرجلين – وكان كل واحد منهما يعتقد أنه شر الناس – هل" أخبركما بمن هو شر منكما، قالا ما ولدت ذال، النساء! قال: بلى هذا الحطيئة هجا أباه وأمه ونفسه ومن أعطاه" [4] .

ولو تركنا هذه الأقوال وأخذنا بقول ابن الكلبي (ت 204 هـ) – السابق لكل هؤلاء –إذ يقول .." كان من أولاد الزنا والزنا الذين شرفوا [5]" فسنجد فيه ما يحل مسألة إضطراب نسبه وتنقله بين القبائل بين الحين والآخر، فهو لا يعرف له أباً على وجه الحقيقة، لأن أمه وهي أعلم الناس بنسبه لم تبين له ذلك،

---

(1) الأغاني: 2 / 156.

(2) الأغاني: 2 / 157.

(3) ينظر: المنتحل: 312.

(4) المحاسن والمساويء: ابراهيم بن محمد البيهقي: 1 / 432.

(5) الأغاني: 2 / 158.

بل أنها كانت سبباً في تضليله وحيرته، وإبعاد الحقيقة من حوله، وقد صور ذلك أجمل تصوير مبيناً لنا انقطاع أمله في معرفة وتحديد هويته [1]:

تقــــولُ لي الضرّاء لســــت لواحـــــدٍ ولا أثنـــين فــــانظر كيـــف شركُ أولائكـــا

وأنـــتَ امــرؤٌ تبغـــي أبــاً قـــد ضـــللتَهُ هبلـــتَ! ألمّـــا تســـتفقْ مـــن ضلالكـــا؟

ونحن نقرأ هذه الأبيات لا بد من التساؤل: اذا كانت أمه قد خلطت عليه الأمر ولم تهده الى أبيه ونسبه، فكيف يمكنه وحده أن يقرر أن هذا الرجل أو غيره هو أبوه؟ وكيف يمكن مطالبته بالوفاء لقبيلته وهو غير متأكد من صحة نسبه اليها؟ فلو كان الحطيئة يعرف أباه وقبيلته لما تنقل بين القبائل منتسباً الى هذه وتلك. وبعد هذا من منا يحق له أن يلومه على هجائه لأمه تلك التي حرمته أهم حقوق الأبناء على الآباء وهو حق النسب، ألا يحق له أن يسلط عليها لسانه وهو سلاحه ووسيلته الوحيدة التي يقتص بها منها على فعلتها تلك التي خلقت منه إنساناً ظل يعاني في داخله من مرارة الإحساس بالمهانة وذل الناس واحتقارهم له. وفيها يقول [2]:

تنحّـــــي فـــــاجلسي منّـــــا بعيـــــداً أراح اللـــــــــه منـــــــكِ العالمينـــــــا

أغربـــــــــالاً اذا اســــــــــتودعت سرّاً وكانونـــــــــاً عـــــــــلى المتحـــــــــدّثينا

ألمْ أوضـــــح لـــــكِ البغضـــــاءَ منـــــي ولكـــــــنْ لا أخالـــــكِ تعقلينـــــــا

حياتـــــكِ مـــــا علمـــــتُ حيـــــاة ســـــوءٍ وموتُـــــكِ قـــــد يسُرُّ الصالحينـــــــا

و الحطيئـــة إنســـان عـــاش في مجتمـــع عـــربي جـــاهلي بـــدوي بنـــي عـــلى الأخـــلاق والقـــيم، يقـــدس الفضـــيلة ويمقـــت الرذيلـــة، فكـــان مـــن الطبيعـــي جـــداً أن يتـــأثر

(1) الديوان: 276. ينظر: الأغاني: 2 / 157.

(2) الديوان: 277. وينظر الأغاني: 2 / 163 – الكانون: النهام، وقيل الثقيل.

بمجتمعه وتستقي روحه بعض تلك القيم، والأبيات السابقة تفصح عـن حقيقـة الحطيئـة، فهـو إنسان غيور يشعر ببشاعة فعل أمه ومدى الخـزي والعـار الـذي، الحقتـه بأبنائهـا، مـما دفعـه الى هجائها، ولم يكتفِ بذلك إذ عمد لهجاء زوجها الذي كان لقيطاً لا يعرفُ له نسب [1] .

أما هجاؤه لأبيه فلا بد من الوقوف عنده، إذ كيف يهجو أباه وذويه وهو لا يعـرفهم وإذا أخذنا بصحة هجائه لأبيه، الذي يقول فيه [2]:

لحـــاكَ اللــــه ثـــمّ لحـــاكَ حقـــاً   أبـــاً، ولحـــاك مـــن عـــمٍّ وخـــالِ

فـنِعْم الشـيخ أنـت عـلى المخـازي جمعـتَ   وبـــئسَ الشـــيخ أنـــت لـــدى المعـــالي

اللــــــــومَ - لا حيّــــــــــاك ربي-   وأبـــــواب السفاهـــــــةِ والضـــــلالِ

فلا يحق أن نلومه على هجائه لرجل تركـه دون أن يعـترف بنسـبته اليـه في مجتمـع يقـوّم الإنسان على اسمه ونسبه ثم على خُلُقه وفعله .

أما هجاء الحطيئة لنفسه الذي دفع أبا عبيدة للقول: " كان الحطيئة بذيئاً هجّاءً فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك، فأنشأ يقول:

أبـــتْ شـــفتاي اليـــومَ إلا تكلمـــا   بشرٍّ فمـــا أدري لمـــن أنـــا قائلـــه

وجعل بدهور هذا البيت في أشداقه، ولا يرى إنساناً إذ اطلع في ركيّ أو حوض، فرأى وجهه فقال:

---

(1) ويقال ان أبا الكلب بن كنيس زوج أم الحطيئة زنى بأمةٍ لزرارة يقال لها رُشية، فولدت له الكلب ويربوعـاً. ينظـر: الأغـاني: 2: 162.

(2) الديوان: 276.

أرى- لي- وجهـــاً شــوّه اللــــه خَلقـــهُ   فقُـــبّح مـــن وجـــهٍ وقُـــبّح حاملـــهُ!! [1]

ولا نجد في هجائه هذا إلا ما يدل على خفة روحـه، وإن لم يكـن كـذلك فإنـه لا يسـتحق الكلام الكثير حوله، فكما يحق للإنسان أن يمدح نفسه يحق له هجائها، فـرحم اللــه الحطيئـة حين عرف نفسه وقدراته ولم ينطو على نفسه وإنما عاش متحرراً من إحساسه بالعجز وانه أقل من غيره. وهنا نرد الأصمعي حين وصفه" قبيح المنظر، رثّ الهيئة" [2]. بالقول: هل يثاب المرء أو يعاب على حسن منظره أو قبحه، فتعلو منـزلته متى حسنت هيأته وتنخفض متى قبحت؟ ألـيس مـن الطبيعي لرجل فقير مثله لا يملك إلا ما يعينه على سداد قوته وعياله أن يكون رث الهيئة؟ ثـم ان الحطيئة لم يكن أول من هجا نفسه ولا آخرهم، فهذا ديك الجنّ يقول في هجاء نفسه [3]:

أيهـــــا الســــائل عنــــي   لســــــتَ بي أخـــــبر منــــــي

أنــــا إنســــانٌ بـــــراني اللــــه   في صـــــــــورةِ جنّـــــــــي

بــــل أنـــا الأســـمجُ في العــــين   فـــــدعْ عنــــك التظنّـــــي

أنــــا لا أسلــــم مــــن نفســــي   فمــــن يسلـــــمُ مــــــني؟

وأخيراً يبقى لدينا ما وصف الرواة به الحطيئة من فساد الدين ناسبين اليه بعـض الأبيـات في الردة مدعين انه قالها أيام الردة في هجاء سيدنا أبي بكر الصديق (رضي اللـه عنه) والتي يقول فيها [4]:

أطعنــا رســول اللــــه إذ كـــان بيننـــا   فيـــا لهفتـــا مـــا بـــالُ ديـــن أبي بكـــرِ

---

(1) الديوان: 289، وينظر: الأغاني: 2 / 163.

(2) الأغاني: 2 / 163.

(3) ديوان ديك الجن: 134 .ينظر: ديوان المعاني: أبو هلال العسكري 194.

(4) الديوان: 329 – 330، وينظر: الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس المبرد: 1 / 392.

أيورثهـــا بكـــــراً اذا مـــات بعـــــدهُ   فتلــك وبيـــت اللـــه قاصـــمة الظهـــرِ

وإذ نشكّ في نسبة هذه الأبيات اليه فلأن القدماء لم يتفقـوا عـلى نسـبتها اليـه، إذ ذهـب بعضهم الى انها له وذهب جمع آخر منهم الى انها لأخيه الخطيل بن أوس [1] .

ان ما نلمسه في بعض أشعار الحطيئة من نزعات إيمانية تدحض عنه ما قيل فيه من ذلـك قوله [2]:

مـــن يفعـــلِ الخـــير لا يعـــدمْ جوازيَـــهُ   لا يـــذهبُ العـــرفُ بـــين اللـــه والنـــاسِ

يروي عن أبي عبيدة انه قال: " بلغني ان هذا البيت في التوراة" [3]. واذا صحّ ان الحطيئـة أخذ هذا البيت من التوراة فهذا يعني انه كان ذو نفـس مؤمنـة دفعتـه الى أن يتصـل بمـا جـاء في الكتب السماوية ويأخذ بعض معانية منها وان كنا نرجح اخذ المعنى من القرآن الكريم ومن قولـه تعالى: "اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى" [4]،وقوله:" من ذا الذي يقرض اللـه قرضـا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم" [5]، وذلك لان القصيدة اسلامية اولا ولان الحطيئة شاعر مسلم وان كان ضعيف الايمان .

و الحطيئة يؤكد – في بعض أبياته – على تقوى اللـه لأنها مبعث سعادة الإنسـان ورضـائه قائلاً [6]:

ولســـتُ أرى الســـعادة جمـــعَ مـــالٍ   ولكـــــنّ التقـــــيّ هـــــو الســـــعيدُ

(1) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): أبو جعفر الطبري:245/3(حوادث 11 هـ) .

(2) الديوان: 284، وينظر الأغاني 2 / 173. ولم أجد هذا القول بلفظه أو معناه في التوراة.

(3) الأغاني: 2 / 174.

(4) القران الكريم: سورة آل عمران: لاية 195 .

(5) القرآن الكريم: سورة الحديد: الاية 11.

(6) الديوان: 393، وينظر الأغاني: 2 / 175.

وتقـــوى الـلــــه خـــيرُ الـــزادِ ذخـــراً وعنـــــد الـلـــــه للأتقـــــى مزيــــدُ

ومــــــا لا بـــــدّ أن يـــــأتي قريـــــبٌ ولكـــــنَ الـــــذي يمـــــضي بعيـــــدُ

فهذه الأبيات التي تشع منها ومضات الإيمان لا يمكـن أن يقولهـا إنسـان لم يلامـس الإسـلام شغاف قلبه ولم يعرف أحكامه، وإذا ما تركنا هذه المقطوعة فسنطالع في ديوانه قصيدة مديح أبي موسى الأشعري التي يظهر فيها أسفه عن عدم اشتراكه في الفتوح الإسلامية، يقول فيها [1]:

يـا لهـفَ نـفسي عـلى بيـعٍ هممْـتُ بـه لـــو نلتـــهُ كـــان بيـــعَ الـــرابحِ النـــامي

أريـــــده إذ نـــــأى منّـــــي وأتركـــــهُ مــن بعــد مــا كــان منــي قــيس ابهــامي

ان ارتداد الحطيئة عن الإسلام مع من ارتدّ مـن العـرب في أول خلافـة أبي بكـر الصـديق (رضي الـلـه عنه) لا يعني انه لم يعد الى الإسلام بقلب سليم راغباً في رضـاء الـلــه وعفـوه، ويـذكر الطبري (ت 310 هـ) ان الحطيئة عاد الى الإسلام ثانية وشـارك في تحـريض المسـلمين عـلى قتـال الفرس في معركة (يوم أرماث) [2] .

وهناك من يرى انه عاد الى الإسلام" ثم حسن إسلامه بعد ذلك" [3] مستشهداً بأبياته التـي يقول فيها [4]:

وفيـــت بـــأذواد الرســـول وقـــد أتـــتْ ســـعادةٌ فلـــم يـــردد بعـــيراً مجيرهـــا

وإني لمـــن قـــومٍ اذا عُـــدّ سعيهـــُم أتى المحزبـــــات حبّهـــــا وقتيرهـــــا

(1) الديوان: 227.

(2) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): 3: 245 – 247 (حوادث سنة 11 هـ)، 533 (حوادث سنة 14 هـ).

(3) الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني: 257.

(4) نقلاً عن المصدر السابق: 257، اذ لم أجد البيت في الديوان.

وأخيراً نقول: ان الحطيئة إنسان كغيره من الناس له مشاعره وأحاسيسه وعلاقاته الخاصة إلا ان الظروف القاسية التي أحاطت بولادته ونشأته الأولى كان لها أثر كبير في خلق شخصيته وصقلها حتى استوت على تلك الصورة. ولم أقصد هنا نفي جميع تلك الآراء التي قالها نقادنا عنه ولكني حاولت دفع بعض ما يحيط بشخصيته من غموض وشك بأسلوب المناقشة والتحليل للوقوف على حقيقة معالم هذه الشخصية التي أمعن القدماء في الحديث عنها حتى لم تجد لها من ينصفها باستثناء المعري (ت 449 هـ) الذي نظر اليها بشكل يختلف قليلاً عن الآخرين مما يدل على وعيه وتفهمه لبعض الجوانب النفسية عند الشاعر وذلك حينما جعل له مكاناً في الجنة [1].

(1) ينظر: رسالة الغفران: أبو العلاء المعري، 137 .

المبحث الثاني

شعره وفنونه:

كان الحطيئة من غير شك قليل المنـزلة الإجتماعية بسبب نسبه المغموز وهيأته الرثة لكنه في الوقت ذاته – الذي حُرِمَ فيه من المكانة الإجتماعية الحسنة – وهبه اللـه تعالى ملكة الشعر التي جعلت منه شاعراً مهيباً فعوّض عن كل ذلك بأدبه وشاعريته وبخيال خصب وإحساس قوي وشعور فياض ولسان ذرب .

ولعل حديثنا عن شعر الحطيئة يدفع بعض ما لصق في ذهن القاريء من حديث عن شخصيته، فشعره يجمع في ثناياه روعة الأسلوب ومتانة الصياغة وحسن استخدام الألفاظ لخدمة المعاني التي كان يوميء اليها .

أحسّ الحطيئة بموهبته وحبّه للشعر، وتولد لديه دافع للكينونة في المجتمع والإرتـزاق بشعره، فأخذ في تذمية موهبته وصقلها بشكل جيد، ليأخذ حظّه من الحياة التي لم تمنّ عليه إلا بما حطّ من قدره، وقد كان الشاعر الناشيء يميل بموهبته الى الإطلاع على نتاج سابقيه ومعاصريه فيحفظه ويستشهد به مما يعينه على بناء ثقافته الأدبية وتعلم القواعد الفنية الصحيحة في النظم الشعري وبما يمكنه لاحقاً من التعبير عن شاعريته، فالشعر، " علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدربة مادةً له، وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسّن المبرزّ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ... والعلة فيها ان المطبوع الذكي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية، ولا طريق للرواية إلا السمع، وملاك الرواية الحفظ وقد كانت العرب تروي وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر بعض" [1]، لذا اتصل بزهير ليتعلم عليه الشعر، رواية وإنشاء، وكان يرى بزهير مثله

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه: عبد العزيز الجرجاني: 15 – 16.

الأعلى في حياته، يسمع منه ويحفظ عنه، ويروي شعره في الأندية والمجالس ويحاول تقليده، وكان الأصمعي يقول: " لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب" [1] وكانوا يسمون الشاعر الذي يجمع الى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره (خنذيذ) [2].

وكانوا يجعلون الشاعر الراوية أول الشعراء قدراً لذا قيل: " وأنت لا تجد شاعراً مجيداً منهم إلا وقد لزم شاعراً آخر المدة الطويلة، وتعلّم منه قوانين النظم واستفاد عنه الدربة في أنحاء التصاريف البلاغية" [3].

وكان الحطيئة يختلف لزهير مع ابنه كعب بن زهير وقد طلب من كعب أن ينوه به في شعر يفضل فيه نفسه ويفضل فيه الحطيئة ويزعم لنفسه وللحطيئة التفوق والإتقان في فن صنعة الشعر حتى يدور ذكره على الألسن وهذا ما دفع أبو عبيدة ومحمد بن سلام للقول عنه في خبر يرويه أبو الفرج: " بلغ من دناءة نفسه انه أتى كعب بن زهير وكان الحطيئة - راوية زهير وآل زهير - فقال له قد علمتَ روايتي لكن أهل البيت وانقطاعي اليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك! " [4]، وقال أبو عبيدة: " تبدأ بنفسك فيه ثم تثني بي - فإن الناس لأشعاركم أروى واليها أسرع! فقال كعب:

فمن للقوافي شانها من يحوكها ... اذا ما ثوى كعبٌ وفوّز جروَلُ

يقول فلا يَعيَ شيءٍ يقوله ... ومن قائليها مَن يسيء ويعملُ" [5]

ولا نجد في طلبه هذا ما يسيء اليه ويقدح في شاعريته أو يدل على دناءة

---

(1) فحولة الشعراء: الأصمعي: 8.

(2) ينظر: العمدة: 1 / 114.

(3) مناهج البلغاء وسراج الأدباء: 1 / 104.

(4) الأغاني: 2 / 165.

(5) طبقات فحول الشعراء: 1/ 104 .

نفسه، ولعل في روايته لشعر زهير وآله ما يعطيه بعض الحق في المطالبة بذلك .

ان روايته لشعر زهير وتخرّجه عليه، جعل شعره يرفل بحلة من الفصاحة والجودة، حتى لا نجد فيه ما يقلل من قيمته برغم ما وصم به من خسة النفس ودناءة الخلق وجهالة النسب واذا كان الحطيئة راوية زهير فإن هدبة بن خشرم راويته [1] وكان" الفرزدق على فضله في هذه الصناعة يروي للحطيئة كثيراً"[2] وقد ذكره فيمن أورثوه، أشعارهم [3]:

وهبِ القصائد لي النّوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروحِ وجرولُ

وأخو بني قيس وهنّ قَتَلتَه ومهلهلُ الشعراءِ ذاك الأوّلُ

وعلى ذلك فللرواية مكانتها عند العرب عامة وعند علماء اللغة الأقدمين خاصة فهي الوسيلة الأساسية في حفظ المادة الأدبية فضلاً عن كونها ترفد الشاعر بمادة لغوية جيدة تساعده على نموّ موهبته وزيادة ثقافته، ولعل معرفة الحطيئة بأهميتها دفعته للقول في وصيته التي تناقلتها كتب الأدب: " ويلٌ للشعر من راوية السوء"[4] .

وشعر الحطيئة عليه طابع المدرسة الزهيرية التي عنيت بالتنقيح والتهذيب الشعري، فقد كان على شاكلة زهير يُعنى بشعره وتجويد عناية شديدة، وكان زهير" يسمي كبار قصائده الحوليات"[5]، لأنه ينظم شعره طوال سنة كاملة ينظر فيه وينقحه قبل عرضه على الناس، فالشاعر المتمكن من اللغة يزداد لديه الحذر في محاصرة أخطائه في القصيدة حتى تخرج قصيدته أو تكاد خالية من الأخطاء، فعملهم لا يقتصر على إنشاء الشعر بل يتعداه لنقده. و

---

(1) ينظر: المصدر السابق / 8: 91.

(2) العمدة: 1 / 198. ينظر: أمالي المرتضى: الشريف المرتضى: 1 / 185، أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين المدني: 6 / 152.

(3) ديوان الفرزدق، 2 /159، وينظر: أمالي المرتضى: 1 / 185، العمدة: 1 / 197.

(4) الشعر والشعراء: 322/1، عيون الأخبار: ابن قتيبة: مج 2" 60/4، الأغاني: 2 / 159.

(5) البيان والتبيين: أبو عثمان الجاحظ: 1 / 204.

الحطيئة واحد من أولئك الشعراء النقاد، فقد كان يقول" خير الشعر الحوليّ المحكّك" [1] كما حكي عنه أنه قال: " نقّحوا القوافي فإنها حوافر الشعر" [2] والأصمعي كان يعيب على هؤلاء الشعراء تنقيحهم لأشعارهم، إذ كان واحداً من النقاد الذين يؤمنون بظاهرة التفاوت في الشعر ويعدون التنقيح أمراً غير مرغوباً فيه – وسنعرض لهذا لاحقاً – على ان هنالك عدداً من النقاد أثاروا الصناعة والتنقيح على الطبع ومنهم القيرواني الذي يخالف الأصمعي في نظرته لشعر الحطيئة وأمثاله، فعدّ صناعتهم للشعر من وجوه نسق الكلام بعضه على بعض[3]، وكان البعض يستدل لضرورة التنقيح وأهميته في عمل القصيدة بخبر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وسؤاله لأبن عباس (رضي الله عنهما) عن أشعر القوم،[4] .

وعلى هذا فإن التنقيح الشعري مسألة غير متفق عليها من قبل نقادنا القدامى فمنهم من عابها ومنهم من أخذ بها، على ان اختلافهم في مسألة تنقيح الشعر عامة وتنقيح الحطيئة خاصة لا يعني اختلافهم في جودة شعره وقدرته على التصرف في فنونه. وقد جمع الأصفهاني متفرق وصف أبي عبيدة ومحمد بن سلام لشعر الحطيئة فقال:" كان الحطيئة متين الشعر شرود القافية [5] ..." [6] وفي قول الأصفهاني ما يفصح لنا عن اتفاق أبي عبيدة وابن سلام على قوة شعر الحطيئة .

---

(1) المصدر السابق: 1 / 204، 2 / 13. وينظر: رسائل البلغاء: اختيار محمد كردعلي: 1954 .

(2) الرسالة الموضحة: أبو علي الحاتمي: 42.

(3)، ينظر: العمدة: 1

(4) يروى ان عمر بن الخطاب (رضي اله عنه) قال لعبد اله بن عباس (رضي الله عنهما)، ، " أنشدني شعر أشعر القوم، فقال: ومن ذال؟ قال: زهير، قال: وبما أستحق عندك ذلك يا أمير المؤمنين؟ قتال: رأيته لا يعاضل بين الكلام ولا يتبع حوشي الالفاظ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال وما ذاك إلا لتنقيحه بشعره وترداد نضره في كلامه" .
تحرير التحبير: ابن ابي الأصبع المصري: 20 .

(5) القافية يقصد بها القصيدة والشرود مأخوذ من شرود البعير، ويقصد بها انها القصيدة التي تشتهر ويسير ذكرها في البلدان. ينظر: طبقات فحول الشعراء: 1 / 104 (الهامش).

(6) الأغاني: 2 / 165. وينظر: طبقات فحول الشعراء: 1 / 104.

وقد عدّه الأصفهاني فحلاً من الفحول [1]، وشاعراً مقتدراً" متصرفاً في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب، مجيد في ذلك أجمع"[2]

وكان الثعالبي يصفه" نجمٌ مقبول الكلام شرود القافية"[3] ويقول عنه أيضاً" كان متصرفاً في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب مجيد في ذلك كله"[4] ويبدو ان قوله الأخير قد أخذه بنصه عن أبي الفرج الأصفهاني .

و الحطيئة – بإجماع النقاد – شاعرٌ مجودٌ وشعره في المرتبة الأولى من البلاغة والفصاحة، دار شعره على الألسن وتناقله العلماء إعجاباً به وتعظيماً لقدره، فحين سمع عمرو بن العلاء (ت154 هـ) بعض شعره قال:"لم تقل العرب بيتاً قطّ أصدق من بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناسِ

فقيل له فقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً   ويأتيك بالأخبار من لم تزوّدِ

فقال: من يأتيك بها ممن زودت أكثر، وليس بيت مما قالته الشعراء إلا وفيه مطعن إلا قول الحطيئة هذا" [5] .

ويبدو ان لهذا البيت منزلة كبيرة عند النقاد، إذ أكثر النقاد من الحديث عنه فقد روي عن الأصمعي انه قال:" أصدق بيت قالته العرب قول الحطيئة" [6] وذكر البيت .

---

(1) الفحل من عارض شارعاً فغلب عليه، ويراد به ايضا راوة للشعر. ينظر: فحولة الشعراء: 7، لسان العرب: 32/14. (مادة فحل)

(2) الأغاني: 2 / 157.

(3) خاص الخاص: 81 .

(4) المنتحل: 312.

(5) الأغاني: 2 / 173.

(6) حلية المحاضرة: 1 / 328. ينظر: ديوان المعاني: 1 / 118 .

وكان أبو سلام يقول: " ليس من بيت إلا وفيه مطعن إلا قول الحطيئة" [1] وذكر البيت.

ويبدو تأثر أبي عمرو بن سعيد القرطبي بابن سلام واضحاً إذ جاء قوله في الحطيئة مطابقاً لما قاله ابن سلام من قبله [2] .

وكان الثعالبي يعد البيت السابق من" أمير شعره" [3] في حين يعده ابن أبي الأصبع (ت 654 هـ) من أشعار الطبقة العليا من البلاغة [4] .

ولسنا هنا بصدد جرد الأقوال النقدية التي قيلت في البيت وإنما إبراز المكانة العظيمة التي احتلتها أشعاره .

لم يقتصر شعره على غرض معين وإنما خاض في أغراض الشعر كافة وإن أكثر من فني المدح والهجاء، ولعل ذلك يرجع لسببين:

الأول: اتخاذ هذين الفنين وسيلة للكسب بالترغيب والترهيب، فقد اتصل بكبار الشخصيات ليمدحهم بما يخلد أسماءهم [5]، وكان هناك من يدفع له خشية من هجائه لسلاطة لسانه - فهجاؤه كأسواط تدمي ظهور من تقع عليه فلا تدعه حتى يكون محط سخرية الجميع - وقصته مع عتيبة بن النهاس العجلي خير مثل [6] .

---

(1) حلية المحاضرة: 1 / 245.

(2) ينظر: المصدر السابق: 1 / 328 ويروي صدر البيت:

* من يصنع الخير لا يعدم جوازيه *

(3) الإعجاز والإيجاز: أبو منصور الثعالبي: 146.

(4) ينظر: تحرير التحبير: 149.

(5) من ذلك ما روي عن خالد بن سعيد عن أبيه، قال: " لقيني إياس بن الحطيئة فقال لي: يا أبا عثمان مات أبي وفي كسر بيته عشرون ألفاً أعطاه اياها أبوك، وقال فيه خمس قصائد، فذهب والله ما أعطيتمونا وبقي ما أعطيناكم، فقلت: صدقت والله" . الأغاني: 16 / 225 .

(6) فقد روي ان الحطيئة دخل على عتيبة بن النهاس العجلي فسأله فقال له: ما أنا في عمل فأعطيك من مدده وما في مالي فضل عن قومي، فلما خرج قال له رجل من قومه أتعرفه، قال: لا، قال: هذا الحطيئة، فأمر برده فلما رجع قال: انك لم تسلم تسليم الإسلام، ولا استأنست استئناس الجار، ولا رحبت ترحيب ابن العم، قال: هو ذلك. قال: اجلس فلك عندنا ما تحب ... ثم قال لغلامه: اذهب الى السوق فلا يشيرنَ الى شيء إلا اشتؤيته له .... فاشترى له بمائتي درهم وأوقر له راحلته براً وتمراً" .الشعر والشعراء: 1 / 324 - 325.

والثاني: قد يكون – كثرة مديحه وهجائه – راجعاً الى قيمة هذين الغرضين وفضلهما على سائر الأغراض فقد قيل: " كان ذو الرمة مليح الشعر يشبه فيجيد ويحسن، ولم يكن هجّاءً ولا مدّاحاً فيرفع، وليس الشاعر إلا من هجا فوضع أو مدح فرفع كالحطيئة والأعشى فإنهما كانا يرفعان ويضعان" [1] وفي هذا ما يدل على قدر المديح والهجاء وتقدمهما على غيرهما من فنون الشعر الأخرى .

لقد عرف الحطيئة بهجائه وكان النقاد يكثرون من الحديث عن هجائه حتى يخيل للقاريء ان الهجاء هو الفن الأثير لديه لكننا حين نطالع ديوانه نستدل من واقع حاله ان المديح يكوّن الحيز الأكبر في ديوانه إذ يحتل ما يقارب ثلثي الديوان في حين يكوّن الهجاء أقل من ثلثه [2] وهنا نصل الى حقيقة مفادها ان هجاءه كان على درجة عالية من الجودة فأذيع واشتهر حتى عرف الحطيئة به وإن كانت مدائحه لا تقل جودة عن أهاجيه .

ان مدائح الحطيئة – كما يبدو – لا تقل جودة عن مدائح أستاذه، إذ نلمس فيها صدق مشاعره برغم تكسبه منها، وفي وصيته ما يؤكد ذلك، فقد سأله القوم عند احتضاره قائلين: " يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به ليس له أهلاً" [3]. فهو – على هذا – لا يمدح الرجل إلا بما يكون فيه. وهذا ما سار عليه أستاذه من قبله .

لقد حظت مدائح الحطيئة باهتمام النقاد واستحسانهم، فكانوا يكثرون من الإستشهاد بقصائده أو ببعض أبياتها – لميلهم الى التجزئة وإصدار الأحكام النقدية عليها– وكانوا يقولون هذا أشعر أو أصدق أو أبلغ ... بيت قالته العرب في كذا، من ذلك ما روي عن بعضهم في سؤالهم عن أمدح بيت،

---

(1) شرح شواهد المغني: جلال الدين السيوطي: 23.

(2) ينظر: الديوان: 403 – 407 (فهرست قصائد المدح والهجاء).

(3) الأغاني: 2 / 197.

قال ابن الأعرابي (ت 231 هـ):" أمدح بيت قالته العرب قول أوس بن مغراء في سعيد بن العاص:

مـــا بلغـــتْ كـــفّ امـــرىءٍ متنـــاولٍ   مـــن المجـــدِ إلا والـــذي نلـــتَ أطـــولُ

وقال غيره: أمدح بيت قول الأعشى:

فتى لو يباري الشمس ألقتْ قناعها   ، أو القمر الساري لألقى المقالدا

وقال ابن شبرمة: قول الحطيئة:

أولئـــك قـــومٌ إن بنـــوا أحســـنوا البُنـــى   وإن عاهـــدوا أوفـــوا وإن عقـــدوا شـــدّوا

وإن كانـــت الـــنعماءُ فـــيهم جـــروا بهـــا   وإن أنعمـــــوا لا كـــــدّروها ولا كـــــدّوا" [1]

فاختلافهم هنا يعود لاختلاف أذواقهم وعواطفهم اللـذين هـما الـدافع الأسـاس في عمليـة التفضيل الى جانب جودة النص نفسـه، وقـد يتفـق بعضـهم مـع بعـض عـلى جـودة الـنص الأدبي فيكثروا من حديثهم عنه فيعلق بعضهم، ويكتفي البعض الآخر بالإشادة بـه، دون أن يـدلنا عـلى سبب تفضيله غير ان الإتفاق على الجودة يشهد للقائل بالتفوق والإتقـان في صـنعته. ومـما يشـهد بتفوق الحطيئة وتقدمه ما يرويه الجاحظ من ان عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه)" سمع رجلاً ينشد:

متـــى تأتـــه تعشـــو الى ضـــوء نـــارهِ   تجـــدْ خـــير نـــارٍ عنـــدها خـــيرُ موقـــدِ

فقال عمر: ذاك رسول اللـه صلى اللـه عليه وسـلم" [2] ويعلـق الجـاحظ قـائلاً: " كان الناس يستحسنون قول الأعشى:

(1) المصون في الأدب: الحسن بن عبد اللـه العسكري: 22 - 23.

(2) البيان والتبيين: 2 / 29.

تشـــــبّ لمقـــــرورين يصطليانهــــا   وبـــات عـــلى النـــار النـــديّ والمحلّـــقُ

فلما قال الحطيئة البيت الذي كتبنا قبل هذا سقط بيت الأعشى"[1] .

ويروي ابن عبد ربه (ت 328 هـ) الخبر نفسه سانداً متنه لعبد اللـه بن عمر (رضي اللـه عنهما)[2] .

ان لإجمال الشعراء بعض أماديحهم أثر عند بعض النقاد لأنهم يرون الشاعر الذي يجمل مديحه محسناً" لبلوغه الإرادة مع خلوه عن الإطالة وبعده من الإكثار ودخوله في باب الإختصار"[3] وهذا ما وجده قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) في قصيدة الحطيئة التي قال فيها[4]:

تـزور امـرء يعطـي عـلى الحمـد مالـه   ومـــن يعـــطِ أثمـــان المكـــارم يُحمـــد

يـرى البخـل لا يبقـى عـلى المـرء مالـه   ويعلـــم انّ المـــال غـــير مخلّـــد

كســوبٌ ومــتلافٍ اذا مــا ســألته   تهلّـــل واهتـــزّ اهتـــزاز المهنّـــد

متـى تأتـه تعشـو الى ضـوء نـارهِ   تجـد خـير نـار عنـدها خـير موقـد

وقـد علّـق عليهـا قدامـة بـن جعفـر قـائلاً: " تصرف في الأبيـات الأولى في أصـناف، المـديح ... وأتى بجـماع الوصـف وجملـة المـديح عـلى سـبيل الإختصـار في

---

(1) المصدر السابق: 2 / 29.

(2) ويقول: " انه سمع عبد اللـه بن عمر ينشد بيت الحطيئة:

متى تأته تعشو الى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقدِ

فقال: ذاك رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم إعجاباً بالبيت، يعني ان مثل هذا المدح لا يستحقه إلا رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم" .

العقد الفريد ابن عبد ربه: 5 / 272 .

(3) نقد الشعر: قدامة بن جعفر: 74 (ط: أنصار السنة المحمدية).

(4) الديوان: 161.

البيت الأخير" [1] فالحطيئة - بذلك - محسناً لحسن إيجازه لأنه دلّ بالقليل على الكثير .

ولم يلتفت أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) ولا سابقيه إلى ما التفت اليه قدامة حين ذكر بيت الحطيئة الأخير،إذ لم يزد على القول فيه انه" أمدح بيت قالته العرب" [2] مضيفاً أن بيت الأعشى:

* تشبّ لمقرورين يصطليانها *

كان يستحسن حتى قال الحطيئة بيته:

* متى تأته تعشو الى ضوء ناره *

على ان قول الأعشى من أبلغ الكلام وأجوده [3] وما نلمسه في حكمة الأخير يدل على تفوق الحطيئة ومجاراته لأبرز شعراء العرب لوصوله الى المعنى المراد بلفظه الجزل وديباجته الحسنة، وقد وصفت أبيات الحطيئة - السابقة - بأنها" من حرّ المديح وجيد الشعر"[4] .

وقد عقد الحاتمي (ت 388 هـ) في حليته مبحثاً لأحسن ما قيل في المدح وإضاءة وجوه الممدوحين وأحسابهم، وكانت أبيات الحطيئة أحد التي استشهد بها، وقد قدمها قائلاً: " وقال الحطيئة وأحسن وتقدّم":

نمشي على ضوءِ أحسابٍ أضأْنَ لنا　　　كما أضاءت نجومُ الليلِ للساري" [5]

نمشي على ضوءِ أحسابٍ أضأْنَ لنا، كما أضاءت نجومُ الليلِ للساري" [6]

ويضيف الحاتمي قائلاً: " وأورد المعنى في عبارة أخرى وُفّق فيها فقال:

همُ، القومُ الذين إذا ألمّتْ　　　من الأيام مظلمةٌ أضاءوا

(1) نقد الشعر: 75. (ط أنصار السنة المحمدية).

(2) ديوان المعاني: 34/1.

(3) ينظر: المصدر السابق 43/1_44.

(4) زهر الآداب: أبو إسحاق القيرواني: 2 / 906.

(5) حلية المحاضرة: 1 / 340.

(6) حلية المحاضرة: 1 / 340.

فلـــو أنّ الســـماء دنَـــتْ لمجـــدٍ ومكرمـــةٍ، دنـــتْ لهـــم الســـماءُ
هـــم حلّـــوا مـــن الشـــرفِ المُعلّـــى ومـــن كـــرمِ العشـــيرةِ حيـــثُ شـــاءوا"[1]

وقد أتقن الحطيئة صنعته، فهو حين يمدح فإنه يُمدَح كلٌ بما يصلح له، " ولا يمـدح بكـثرة الأولاد، لأن الحيوان الكريم أعزّ نتاجاً ... ويمدح بالجود وقلّة المال"[2]،مثال قوله[3]:

أقلّـــوا علـــيهم، لا أبـــاً لأبـــيكم مـــن اللـــومِ أو ســـدّوا المكـــانَ الـــذي ســـدّوا
أولئـــكَ قـــومٌ إن بنـــوا أحســـنوا البُنـــى وإن عاهـــدوا أوفـــوا، وإن عقـــدوا شـــدّوا

ان عناية العرب واحتفالهم بالشعراء جعـل للشـعر أثـر كبـير في الرفـع والخفـض، ومـديح الحطيئة في بني أنف الناقة خير شاهد لذلك، فقد استطاع الحطيئة بمديحه أن يجعلهم يفتخرون بما كانوا يعيّرون به، فحين يُسأل أحدهم ممن هو؟ يقول: من بني قريع ولا يذكر أنف الناقة فراراً من هذا اللقب، والى هذا أشار الجاحظ نقلاً عن أبي عبيدة الذي قال: " كان الرجل من بني أنـف الناقة إذا قيل له ممن الرجل؟ قال: من بني قُريع، فما هو إلا أن قال الحطيئة:

قـــومٌ هـــمُ الأنـــف والأذنـــابُ غـــيرهم ومـــن يســـوّي بـــأنف الناقـــةِ الـــذنبا!

وصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: من بني أنف الناقة" [4] .

فصـــاروا - كـــما يقـــول ابـــن رشـــيق، -" يتطـــاولون بهـــذا النســـب ويمـــدّون بـــه

---

(1) المصدر السابق: 1 / 401.

(2) البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ: 290.

(3) الديوان: 140.

(4) البيان والتبيين: 4 / 38.

أصواتهم جهارة" [1]. وفي مديحه هذا" نفى العار ووضّح الإفتخار، وجعل ما كان نقصاً وشيناً فضلاً وزيناً، وما كان لقباً ونبزاً يسوء السمع، شرفاً وعزاً يرفع الطرف وما ذاك إلا بحسن الإنتزاع ولطف قريحة الصنّاع" [2]. ومما يروى عنهم انهم كانوا يغضبون لسماع الإسم أو لنسبتهم اليه [3] ولما مُدحوا به صار أكبر مفاخرهم، وهو ما يدل على فضل الشاعر وحسن قوله [4] .

واذا كان الحطيئة مكثراً من المديح مجوّداً فيه، فإن هجاءه لا يقل عنه جودة حتى عُرف به تماماً كما عرف بمديحه. وأصل الهجاء" سلب المديح، فكل ما مُدح به فسلبه هجاء" [5]، وإذا كان المدح لا يحسن إلا بالفضائل النفسية فإن الهجاء لا يصح إلا بسلبها، فمتى" سُلب المهجوّ أموراً لا تجانس الفضائل النفسية، كان ذلك عيباً في الهجاء، مثل أن يُنسب الى انه قبيح الوجه، أو صغير الجسم أو مقتر أو معسر ...." [6] وذلك ما دفع ابن رشيق للقول: " أجود ما في الهجاء أن يُسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم" [7] وقد كان الحطيئة بارعاً في هجائه لأنه يسلب مهجوّه فضائله النفسية كما يعمد في هجائه لأسلوب الموازنة والمخايرة فيوازن بين من يريد هجاءه وبين من يريد مدحه فيجعله أقل شأناً مما يشعر مهجوّه بالضعة والحقارة والإنحطاط، ومما يرويه الحاتمي عن محمد بن سلام ويونس بن حبيب (ت183 هـ) قوله: " أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل" [8] وهذا ما أشار اليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في حديثه للحطيئة حين أطلقه من حبسه بعد ان استعدى عليه الزبرقان عمر بن

---

(1) العمدة: 1 / 50.

(2) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: 298.

(3) ينظر: المنتخب من كنايات الأدباء وإرشادات البلغاء: أبو العباس الجرجاني: 99.

(4) ينظر: نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر العلوي: 30.

(5) البديع في نقد الشعر: 293.

(6) نقد الشعر: 187. (ط دار الكتب).

(7) العمدة: 2 / 174.

(8) حلية المحاضرة: 1 / 391 .

الخطاب (رضي اللـه عنه)، – وقد أوردنا الخبر آنفاً [1] – إذ قال له: " إياك والهجاء المقذع! قال: وما المُقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: أن تقول هؤلاء أشرف من هؤلاء وهؤلاء أفضل من هؤلاء، وتبتني على مدح قومٍ وذم لمن تفاخرهم شعراً، فقال الحطيئة: أنت واللـه أكرم يا أمير المؤمنين وأعلم مني بمذاهب الشعراء [2] وقد كان هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر أشد ما يكون عليه الهجاء، من ذلك قوله: [3]:

مـا كـان ذنـبُ بغـيضٍ إن رأى رجـلاً	ذا فاقـةٍ عـاش في مسـتوغِرٍ شـاسِ
جـاراً لقـومٍ أطـالوا هـون منزلـهِ	وغـادروه مقـيماً بـين أرمـاسِ
ملّـوا قِـراهُ وهرّتـهُ كلابهـمْ	وجرّحـوه بأنيـابٍ وأضراسِ
دعِ المكـارمَ لا ترحـلْ لبغيتهـا	واقعـدْ فإنـك أنـت الطـاعم الكـاسي

والبيت الأخير كان أشدّ وقعاً على الزبرقان وأكثر ما أثار حفيظته ودفعه لعمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه) ليقتصّ له من الحطيئة، والذي حاول عمر بذكائه وفطنته أن يتجاهل ما في البيت ليدفع غضب الزبرقان ويخمد ثورته، إذ قال له: " ما أراد هجاءك، أما أن ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟ قال:" انه لا يكون في الهجاء أشد من هذا" [4]، وفي رواية أخرى ان عمر (رضي اللـه عنه) قال: " ما أرى مما قال بأساً، قال: واللـه يا أمير المؤمنين ما هُجيتُ ببيتٍ قطّ أشد عليّ منه، فأرسل الى حسان بن ثابت فسأله: هل هجاءه؟ فقال: ما هجاه، ولكنه سلح عليه" [5] .

وفي حديث قيس بن فهد الأنصاري انه شهد عمر بن الخطاب وقد أتاه الزبرقان بالحطيئة" فقال: انه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال لي:

---

(1) ينظر: رسالتنا:

(2) حلية المحاضرة: 1 / 391 – 392، الأغاني: 2 / 187.

(3)، الديوان: 283 – 284. وينظر: الشعرو الشعراء: 1 / 327.

في البيت الأخير يقصد بكلمة الطاعم: المطعوم، والكاسي: المكسي .

(4) الشعر والشعراء: 1 / 328.

(5)، العقد الفريد: 3 / 20 .

دع المكـــــارم لا ترحــــل لبغيتهـــا   واقعــد فإنــك أنــت الطــاعم الكــاسي

فقال عمر: ما أسمع هجاءً ولكنها معاتبة: فقال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلا ان آكل وألبس؟ [1].

وعلى الرغم من بعض الإختلافات الجانبية البسيطة في رواية الخبر فإن فيه ما يـدل عـلى طبيعة هجاء الحطيئة وشدّته، فضلاً عـمّا فيـه مـن بعـض الآراء النقديـة - وإن كـان بعضـها لا يخرج عن النطاق الإنطباعي التأثري - من ذلك قول الزبرقان نفسه (ما هجيت ببيت قطّ أشـدّ عليّ منه) وقول حسان بن ثابت وغيره ممن أشاروا الى هذا الخبر. وقد روي ان عمر بن الخطاب (رضي الـلـه عنه) سأل لبيداً عن ذلك الهجاء فقال: " ما يسرّني أنه لحقني من هذا الشـعر مـا لحقـه وان لي حُمْر النّعم [2].

ان شدة هجاء الحطيئة للزبرقـان - وبـالأخص سـينيته المشـهورة - أشْـعرَت الـبعض ان الـلـه صبّ على الزبرقان بن بدر سوط عذاب حتى أحرقه وأمضه وأرمضه وذلك بهجاء الحطيئة له [3].

وكان الثعالبي يقول في بيت الحطيئة الذي صدره:

* دع المكارم لا ترحل لبغيتها *

انه " أوجع هجاء الإسلاميين [4].

ومما أقذع فيه الحطيئة قوله في الزبرقان بن بدر أيضاً [5]:

---

(1) الأغاني: 2 / 186.

(2) المصدر السابق: 2 / 186.

(3) ينظر: خاص الخاص: 81.

(4) الإعجاز والإيجاز: 145.

(5) الديوان: 98، 102.

ألا أبلغْ بني عَوفٍ بن كعبٍ ... وهل حي على خُلُقٍ سواءُ؟
عُطاردَها وبهدلة بن عمرو ... فهلْ يشفي صدوركم الشفاءُ؟
الم أكُ نائياً فدعوتموني ... فجاء بي المواعدُ والدعاءُ
ألمْ أكُ ضيفكم فتركتموني ... لكلبي في دياركمُ عواءُ
وواينتُ العشاءَ الى سهيلٍ ... أو الشّعرى فطال بي الأناءُ
ألمْ أكُ جارُكم وتكون بيني ... وبينكم المودّةُ والأخاءُ
فلما كنتُ جارهمُ حبوني ... وفيكم كان - لو شئتتم - حِباءُ
فلما أنْ مدحتُ القومَ قلتمُ ... هجوتَ وما يحلّ لي الهجاءُ
فلم أشتُم لكم حسباً ولكنْ ... حَدَوتُ بحيثُ يُستمَعُ الحِداءُ
فلا وأبيكَ ما ظلَمتْ قُريعٌ ... بأن يبنوا المكارمَ حيثُ شاءوا

وعلى الرغم مما في هذه الأبيات من شدة هجاء - لا يقل عن سابقه - فإنها كانت مثار إعجاب بعض النقاد ومنهم الأحمر (ت 180 هـ) إذ يجد " ان قوله فيها، وتقضيله مَن فضّله بأبياتها أبدعُ وأبرع من كل شيء قيل في معناه [1].

وقد قيل انه فيها أو من أجلها قال أيضاً: " أشد الهجاء أعفه وأصدقه - وقال مرة أخرى - ما عفَ لفظه وصدق معناه [2] وكان عبد العزيز الجرجاني (ت 366 هـ) صاحب الوساطة يقول: " فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى التهزل والتهافت، وما اعترض بين التصريح والتعريض، وما قربت معانيه، وسهل حفظه، وأسرع عُلوقه بالقلب ولصوقه بالنفس، فأما القذف والأفحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم [3].

---

(1) حلية المحاضرة: 1 / 392.
(2) العمدة: 2 / 171.
(3) الوساطة: 24، وينظر: العمدة: 2 / 170.

وقد وصف ابن رشيق القيرواني قصيدة الحطيئة أعلاه – بأنها" أخبث ما صنع [1].

ومما يبدو ان خلف الأحمر كان الأكثر فهماً ووعياً إذ لم يجد في كلام الحطيئة فحشاً يذكر وإنما هو خطاب يحمل عتاباً للزبرقان ووصفاً لما لحق به من سوء معاملة زوج الزبرقان له.

ومما أجاد وأحسن فيه الحطيئة كل الإحسان قوله [2]:

كـدحتُ بأظفاري، وأعملتُ معوَلي فصادفتُ جُلموداً من الصّخرِ أملسا
تساغلَ لما جئتُ في وجهِ حاجتي وأطرقَ حتى قلتُ قد ماتَ أو عسى
فأجمعتُ أن أنعاه حينَ رأيتهُ يفوقُ فواقَ الموتِ حتى تنفّسا
فقلتُ له: لا بأس، لستُ بعائدٍ فأفرخَ، تعلوهُ السماديرُ مبلسا

وقد عُدّت هذه الأبيات من أهجى ما قالته العرب [3]؛ ومما يروى عن عبد الله بن جعفر (ت 347 هـ) [4] عن محمد بن يزيد (ت 285 هـ) [5] قال: " من الشعراء من يفرطُ في الهجاءِ، كما يغلو في المدح، فاستحسن قول الحطيئة:

كـدحتُ بأظفاري، وأعملتُ معولي فصادفتُ جلموداً من الصخر أملسا" [6]

(1) العمدة: 2 / 171.
(2) الديوان: 282.
(3) ينظر: حلية المحاضرة: 1 / 346.
(4) ويقصد به ابن درستوية.
(5) ويقصد به أبو العباس المبرد.
(6) حلية المحاضرة: 1 / 346.

و الحطيئة فنان ساخر استطاع أن يظهر لنا قدرته على رسم الصور الساخرة لمهجوه فأي سخرية هذه التي جعلها الحطيئة على هذا البخيل، إذ صوره بصورة كائن لا إحساس له وكأنه جلمود من صخر لا يرقّ ولا يلين لتلطفه اليه، وما ذاك إلا خوفاً من تقديم المساعدة له.

لقد برع الحطيئة في التعبير عما يريد، فقد عمد في بعض الأحيان لأسلوب التهكم الذي له تأثير نفسي قوي على المهجو، وخير مثل لذلك قوله [(1)]:

فمنْ أنتم؟ إنّا نسينا من أنتم! وريحكم من أيّ ريحِ الأعاصيرِ

أأنتم أولى جئتم مع البقل والدّبا فطار، وهذا شخصُكم غير طائرِ

وهنا يتسائل مستهزئاً: متى كان مجيئهم؟ لأنهم لا يمثلون في نظره شيء، ويصور ان الريح عصفتهم وجاءت بهم مع أصغر ما يكون من الجراد والنمل. وقد عدّ قوله هذا من أشعر الأبيات التي قالتها العرب في الإستحقار [(2)].

ان الصور الشعرية في هجاء الحطيئة تنبع - فيما يبدو- من سخطه على حياته ومجتمعه. فقد عمد لهجاء أمه لما ألحقته بأبنائها من ذل وعار، ومما قاله في هجائها [(3)]:

جزاكِ الله شرّاً من عجوزٍ ولقّاكِ العقوقَ من البنينِ

فقد سوّسْتِ أمر بنيكِ حتى تركتِهِمُ أدقّ من الطحينِ

لسانُكِ مَبردٌ لم يُبقِ شيئاً ودرُّكِ درُّ جاذبةٍ دهينِ

وإن تُخلى وأمركِ لا تصوني بمشتدٍّ قواه ولا متينِ

(1) الديوان: 310.

(2) ينظر: حلية المحاضرة: 1 / 356.

(3) الديوان: 278.

وبعد أن يفرغ الحطيئة من هجاء أمه، عاد الى هجاء أهله والتقليل مـن قيمـتهم مـما يرجع الى اللاشعور عنده، إذ يسيطر الإحساس بالظلم واضطهاد المجتمع له عـلى عقلـه البـاطن، وعلى هذا فهجائه يُعدّ ضرباً من ضروب النقمة على المجتمع القاسي الـذي يعـيش فيـه، والـذي حاول أن يتحداه بصراحة وجرأة من خلال شعره [1].

لقد تميز شعر الحطيئة بدقة وصفه الى جانب نقاء اللفظ، وجزالة التركيب، ومن ذلـك وصفه لجيش المسلمين وعظمه، ومقدار بلائه في العدوّ، وذلك في معرض مدحه للوليد بن عقبة أخي سيدنا عثمان بن عفان (رضي الـلـه عنه) لأمه وقد جمع جيشاً للقتال، وفيه يقول [2]:

أبى لأبـــن أروى خلّتـــان اصـــطفاهما	قتـــالٌ إذا يلقـــي العـــدوَّ ونائلــــهْ
فتــى يمــلأ الشّــيزى ويــروى بكفّــهِ	سِــــنانُ الردينـــيُّ الأصـــمُّ وعاملــــهْ
يــؤمُّ العــدوّ حيــث كــان بجحفــلٍ	يُصـــمُّ الســـميعَ جرســـهُ وصـــواهلهْ
إذا كــان منــه منــزل الليــلِ أوقــدتْ	لأحـــراهُ بالعـــالي اليفـــاعِ أوائلــــهْ
تــرى عافيــات الطّــيرِ قــد وثقــتْ لهــا	بشِــبعٍ مـــن السّـــخلِ العِتــاقِ منازلُــه
بنـــاتُ الغــرابِ والوجيـــه ولاحـــقٍ	يقـــوّدنَ في الأشـــطانِ ضـــخمٌ جحافلُــه
يظـــلُّ رداءُ العصـــبِ فـــوقَ جبينـــهِ	يقـــي حاجبيـــهِ مـــا تثـــيمُ قنابلُــه
نفيــتَ الجِعــادَ الغــرَّ عــن حــرِّ دارهــمْ	فلـــمْ يبْـــقَ إلا حيّـــةٌ أنـــتَ قاتلُــه

---

(1) وسنعرض لذلك لاحقاً وبشكل تفصيلي أثناء الحديث عن المنهج النفسي في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

(2) الديوان: 239. الشّيزي: الجفان، الرّديني: الرمح، الأصمّ: الصلب، اليفاع: المكان المرتفع، السّخل: أولاد المعز، العتـاق: الكرام، الأشطان: الحبال، حيّة: يعني العدوّ.

ومما قاله وأحسن فيه أيضاً قوله يصف أعرابياً جواداً صاحب صيداً ألوفاً للفلوات وقد نزل به ضيف وهو لا يملك ما يقدمه له، ثم ما كان من سفوح حمر الوحش واصطياده منها وسروره بتفوقه لإكرام ضيفه، يقول [1]:

وطـاوي ثـلاثٍ عاصـبِ الـبطنِ مُرمـلٍ ... ببيـداء لم يعـرف بهـا سـاكنٌ رسـما
أخـى جفـوةٍ فيـه مـن الأنـسِ وحشّـةٌ ... يـرى البـؤسَ فيهـا مـن شراسـته نُعمـى
وأفـرد في شِـعْبٍ عجـوزاً إزاءهـا ... ثلاثـةُ أشـباحٍ تخـالهم بَهْـما
حفـاة عـراة مـا أغتـذوا خبـزَ ملّـةٍ ... ولا عرفـوا للـبُرِّ مـذ خُلقـوا طعـما
رأى شـبحاً وسْـط الظـلام فراعـهُ ... فلـما رأى ضـيفاً تشـمّر واهـتمّا
وقـال هيـا ربّـاهُ ضـيفٌ ولا قـرى! ... بحقـك لا تحرمْـهُ تاالليلـةَ اللحـما
فقـال ابنـه لمـا رآه بحـيرةٍ ... أيـا أبـتِ اذبحنـي ويسّرْ لـه طعـما
ولا تعتـذر بالعـدمِ عـلّ الـذي طـرا ... يظـن لنـا مـالاً فيوسـعنا ذمّـا
فـروّى قلـيلاً ثـم أحجـمَ برهـةً ... وإن هـو لم يـذبحْ فتـاه فقـد هـمّا
فبيـنما هـما عنّـتْ عـلى البُعـدِ عانـةٌ ... قـد انتظمـتْ مـن خلـفِ مِسحلِها نظـما
عِطاشـاً تريـدُ المـاء فانسـابَ نحوهـا ... عـلى انّـه منهـا الى دمهـا أظـما
فأمهلهـا حتـى تـروّت عطاشـها ... فأرسـل فيهـا مـن كِنانتهـا سـهما
فخـرّت نحـوصٌ ذات جحـشٍ سـمينةٌ ... قـد اكتنـزتْ لحـماً وقـد طُبّقـت شـحما
فيـا بشرهُ إذْ جرّهـا نحـو قومـهِ ... ويـا بشرهـمُ لمـا رأوا كلْمهـا يـدمى
وبـاتوا كرامـاً قـد قضـوا حـقّ ضـيفهم ... ومـا غرِمـوا غُرمـاً وقـد غنمـوا غـنما
وبـات أبـوهم مـن بشاشتـهِ أبـاً ... لضـيفهِمُ والأمّ مـن بشـرها أُمّـا

(1) الديوان: 396 - 397.

ان الطابع القصصي الذي يتمثل في هذه القصيدة هو الذي دفعنا الى ذكر القصيدة كاملة دون حذف أي بيت من أبياتها حتى لا تنقطع المشاهد والصور فيها فيسوء إتساق نظمها وتسلسل معانيها.

لقد استطاع الحطيئة – في هذه القصيدة – بحاسته الفنية الدقيقة والمستوعبة، أن يستجمع كل خيوط القصة ويحبكها حبكة فنية رائعة. فقد بدأها بالحيرة والأسى وختمها بأحسن ما تُختتم به القصص. إذ يصوّر فرحته وهو يجر الى أهله الصيد الذي سيقدمه لضيفه.

وإن كنا قد عرضنا لشعر الحطيئة، وجعلنا القاريء يلمس فيه انه مدّاح هجّاء وصّاف، متين في كل المعاني والأغراض، نجد ضرورة في التطرق لغزله وإن كان مقلٌ فيه، فهو على قلّته يبين تمكن الشاعر وقدرته على الخوض في فنون الشعر كافة؛ ومما قاله في الغزل [1]:

آثـرتُ إدلاجـي عـلى ليـلِ حـرّةٍ	هضـيم الحشـا حُسّـانةِ المتجـرّدِ
إذ النـومُ ألهاهـا عـن الـزّادِ خلتَهـا	بُعيـدَ الكَـرى باتـتْ عـلى طـيّ مجسَـدِ
إذا ارتفقـتْ فـوق الفـراشِ حسـبتَها	تخـافُ إنبتـاتَ الـخصرِ مـا لم تشـدّدِ
وتُضـحي غضـيضَ الطـرفِ دوني	كإنمـا تضـمّنَ عينيهـا قـذىً غـيرُ مفسـدِ
إذا شـئتُ بعـد النـومِ ألقيـتُ سـاعدي	عـلى كفـلٍ ريّـانَ لم يتخـدّدِ
لهـا طيـبُ ريّـا إنْ نـأتني وإنْ دَنـتْ	دنـتْ عبلـةً فـوقَ الفـراشِ الممهّـدِ

ويبدو ان كثيّر عزة كان شديد الإعجاب بهذه الأبيات، فمن أجلها عدّ الحطيئة أشعر الناس [2].

---

(1) الديوان: 147.

(2) ينظر: فحولة الشعراء: 35.

ومن الملاحظ ان إكثار الحطيئة من فني المدح والهجاء - اللذين استطاع من خلالهما أن يعبر عما يريد التعبير عنه، وأن يصل الى أعلى درجات المجد والشهرة - شغل اهتمام الكثير من النقّاد، فقد أكثروا من الحديث عن مديحه وهجائه متجاهلين أغراضه الأخرى على الرغم من جودتها وحسن نظمها.

لقد كان الحطيئة يبثّ في بعض أشعاره حكمته التي شاعت واشتهرت بين الناس، من ذلك قوله [1]:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ	ولكنّ التقيّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخرا	وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بدّ أن يأتي قريبٌ	ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

وقوله هذا يفصح عن نفسه، مما لا يحتاج الى شرح أو تعليق، فالشاعر كان محسناً في استخدامه للألفاظ الواضحة المفهومة التي تبتعد كل البعد عن الغموض والتعقيد.

ومن حكمته أيضاً [2]:

من يفعلِ الخير لا يعدَم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناسِ

وقد روي عن أبي عبيدة انه قال: " بلغني ان هذا البيت في التوراة ذكر غير واحد عن أبي بن كعب " [3]. ومما يروى أيضاً: أنّ الحطيئة أنشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذا البيت وعنده كعب الأحبار، فقال كعب: " يا أمير المؤمنين هذا البيت الذي قال مكتوب في التوراة، قال عمر: وكيف

(1) الديوان: 393.

(2) الديوان: 284. وقد مر ذكر البيت سابقاً، ينظر: رسالتنا:

(3) الأغاني: 2 / 174.

ذاك؟ قال: مكتوبٌ: من يصنع المعروف لا يضيع عندي، لا يذهب العرف بيني وبين عبـدي [1].

وقد سار بيت الحطيئة هذا مثلاً بين الناس [2]، وقـد قيـل ان في كـل " قسـم مـن هـذا البيت مثل قائم بنفسه غير محتاج الى صاحبه [3] ففي قوله (من يفعل .....) مثل، وفي قولـه (لا يذهب العرف ....) مثلاً آخر.

ومما سار من أشعاره مثلاً، قوله [4]:

تـــدرّونَ إن شُـــدّ العِصـــابُ علـــيكمُ ونـــأبى إذا شُـــدّ العصـــابُ فـــما نَـــدُرُّ

ولا نحب أن نختم الحديث عن شعره حتى نوضـح أهـم ميـزة في ديـوان الحطيئـة، إلا وهي كثرة المقطعات الشعرية فيه، فهو - على ما يبدو - ميال الى التركيز الفني والإيجاز والدقة في التصوير والعرض، ويؤكد ذلك ما روي عن ابنته مليكة حين سألته قائلة: " ما بال قصارك أكثر من طوالك؟ فقال: لأنها في الآذان أولج وبالأفواه أعلق [5]. وقوله هذا يدفع للقول: انـه كـان يعمد الى المقطعات لسببين:

الأول: لسهولة حفظها وتناقلها من قبل الناس، مما يضمن لقائلها شهرة أسرع خصوصـاً وانها على مستوى عالٍ من الجودة.

والثاني: قد يرجع لإهتمامه الكبير وعنايته البالغة لتنقية شعره وتهذيبه.

ويظهر لنا من خلال ما قدمناه من شعره أنه متين الشعر حقاً، مقتدرٌ على كل غرض قال فيه، وفي إجماع النقاد على تقدمه بفنه، ما يدعو على القـول: انـه كان بحق فحلاً من فحول الشعر العربي وإن لم يذكره الأصمعي في فحولته.

---

(1) المحاسن والمساوئ: 199/1.

(2)ينظر: قواعد الشعر: أبو العباس ثعلب: 74.

(3)العمدة: 1 / 283.

(4) الديوان: 305، وينظر: معاني الشعر: أبو عثمان الأشنانداني: 66.

(5) كتاب الصناعتين: ابو هلال العسكري: 180.

المبحث الثالث

طبقته ومنزلته الشعرية:

ان الحديث عن شخصيـة الشاعر وشعره يفصح لنـا عـن حقيقـة شـاعريته ويسـاعدنا في كشف معالمها لنتلمس بعد ذلك المنـزلة الشعرية التي احتلها الشاعر بين شعراء عصره، والحديث هنا يقترن بسابقيه، فلا نكاد نجد ناقداً يعرض لشعر شاعر معين دون أن يشير الى بعض جوانب شخصيته إن لم تكن كلها، ويتضح هذا عند مراجعة مصادرنا الأدبية القديمة والحديثة فقد كان نقادنا يتعرضون لشعر الشاعر وشخصيته معاً مبرزين النواحي الإيجابية و النواحي السلبية فيها، ويؤكد ذلك قول الأصمعي حين أنشد شيئاً من شعر الحطيئة إذ قال: " أفسد مثل هـذا الشـعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع ... "[1] فهو بهذا يربط بين جودة شعر الحطيئة وبين طمعه وهي مسألة نسبية ترجع لذات الشاعر وطبيعة شخصيته وتكوينه.

لقد ساهمت كل الحوافز والدوافع التي أحاطت بالحطيئـة في تنميـة موهبتـه الشـعرية الأصيلة - وقد ظهر ذلك آنفاً في حديثنا عن شخصيته وعن شعره وفنونه - حتى صار واحداً مـن الشعراء العرب المجودين الذين يُعتُّد بهم ويحسب حسابهم.

لقد كان من إعجاب القدماء بشاعريته أن جعله أبـو عبيـدة أحـد شـعراء طبقاتـه الـثلاث، فكان من بين عشرة شعراء، في الطبقة الثالثة وهم: " الرقش وكعب بن زهير، والحطيئة، وخداش بن زهير، ودريد بن الصمة، وعنـترة، وعـروة بـن الـود، والنمـر بـن تولـب، وعمـرو بـن أحمـر، والشماخ "[2]. اما ابن سلام فقد وضعه في الطبقة الثانية مـن طبقاتـه الـعشر، محـتلا فيهـا المرتبـة

---

(1) فحولة الشعراء: 51.

(2) جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي: 107.

الرابعة بعد اوس بن حجر، وبشر بن ابي حازم، وكعب بن زهير [1]. ويبدو أن ابن سلام وإن اختلف عن أبي عبيدة في ترتيب الحطيئة في طبقاته فإنه يتفق معه في وضعه بعد كعب بن زهير، ولا ندري أهذا من قبيل الصدفة أم انه راجع لأسباب فنية أو اجتماعية؟ ومهما يكن من أمر، فإن ذلك لا يقلل من جودة شعره أو يحط من شاعريته.

ان ميل الناس للشعر وحبهم لحفظه وفهمه، دفع أدباءنا لوضع مختارات شعرية تضم عيون الشعر العربي في جودتها الفنية، ومن تلك جمهرة أشعار العرب التي تضم تسعاً وأربعين قصيدة في سبع مجموعات [2]، في كل مجموعة سبع قصائد، وقصيدة الحطيئة الرابعة في المجموعة السادسة التي أطلق عليها المشوبات [3]، ووضع أبو زيد القرشي قصيدة الحطيئة في تلك المرتبة من جمهرته لا يقلل من قيمة شعره، فشعره على درجة عالية من الجودة، حتى عزّ على نقادنا القدماء أن يجدوا في شعره مطعناً، وقد كان شعر الحطيئة موضع استشهاد الكثير من علماء العربية [4]، مما يدل على متانة شعره وحسن اقتداره وتمكنه من صنعته.

---

(1) ينظر طبقات فحول الشعراء: 97/1.

(2) وتسمى هذه المجموعات بـ (السموط، المجمهرات، المنتقيات، المذهبات، المشوبات، الملحمات) بحسب تسلسلها.
ينظر: جمهرة أشعار العرب: 1 / 105 – 106.

(3) أطلق عليهن هذه التسمية لأنهن شابهن الإسلام والكفر وأصحابهن هم: (النابغة الجعدي، وكعب بن زهير، والقطامي التغلبي، والحطيئة العبسي، والشماخ بن ضرار الغطفاني، وعمرو بن أحمر، وتميم بن مقبل).
ينظر: جمهرة أشعار العرب: 1 / 106.

(4) ومن استشهادهم بشعره على سبيل الذكر لا الحصر:
أ- الكتاب: سيبويه: 1/ 108ـ 425،172،110،109، 445 و 2 / 90، 173، 293.
ب- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة: 1 / 154، 376.
ج- الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس المبرد: 1 / 167 و 2 / 22، 187، 189، 191 و 3 / 302.
د- مجالس ثعلب: 207، 304، 444، 456، 461.
ه- مجالس العلماء الزجاجي: 22.
و- المصون في الأدب: الحسن العسكري: 22، 23.
ز- الخصائص: ابن جني: 1 / 283، 307، 345 و 2 / 432، 489 و 3 / 160.
ح- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني: 217، 295، 302.
ط- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: 217، 295، 302. =

ولارتفاع مكانة الحطيئة الشعرية، أكثر الرواة والنقاد من حديثهم عنه وعن شعره الذي يشع نوراً ليمحو شيئاً من عتمة نفسه المظلمة التي ظلت مثار سخرية الجميع، والأصمعي واحدٌ من أولئك الذين أعجبوا بشعره فقد وصفه قائلاً: كان الحطيئة جشعاً سؤولاً ...، وما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب إلا وجدته، وقلّما تجد ذلك في شعره [1] فالأصمعي ينفي أي حسنة تذكر في خلق الحطيئة لكنه في الوقت ذاته يشهد بجودة شعره الذي يصعب الوقوف على أخطائه وعيوبه لقلتها وندرتها، وهذا ما أشار اليه أيضاً أبو عبيدة ومحمد بن سلام، إذ وصفاه بجودة الشعر ومتانته وقلة ما فيه من عيب أو نقص[2]، وفي هذا الوصف ما يدل على متانة بنائه اللغوي، وحسن نظمه، وجودة رصفه، ودقة سبكه من حيث اللفظ والعبارة في المقطوعة أو القصيدة وهذا يرجع أولاً لموهبته الشعرية ومن ثم الى ثقافته وحسن تنقيحه لشعره.

ويبدو ان أبا صفوان الأحوازي أراد أن يدعم رأي الأصمعي وأبي عبيدة وابن سلام فجاء رأيه في الحطيئة لا يختلف شيئاً عن رأيهم إلا ببعض صياغته [3]. والحق اننا لم نجد أحداً من القدماء من خالفهم جوهرياً، أو بمعنى آخر ذهب لخلاف ما ذهبوا اليه من جودة شعره وعلو شأنه، فقد وصف – أيضاً – بأنه " نجم مقبول الكلام شرود القافية [4]، وبروز نجمه بين شعراء عصره، جعل ابن رشيق يستنكر تكسبه بالشعر وكثرة سؤاله، وأخذه من عامة الناس، لأن ذلك شيء مهين لا ينبغي أن يكون من شاعر مقتدر جليل الشعر مثله [5]

ي- شرح المفصل: ابن يعيش: 1 / 10، 37 و 2 / 5، 6، 66، 85.
ك- ضرائر الشعر: ابن عصفور الإشبيلي: 239 و 271. =
ل- المغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري: 69، 381، 588، 635، 661.
م- المزهر في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي: 2 / 345، 377.

(1) الأغاني: 2 / 163.
(2) ينظر: المصدر السابق: 2 / 165.
(3) ينظر: المصدر السابق: 2 / 169.
(4) خاص الخاص: 81.
(5) ينظر: العمدة: 1 / 84.

واذا كان التكسب بالشعر أمراً مهيناً - كما يقول ابن رشيق- فللحطيئة عذره، إذ انه لم يكن أول الشعراء المكسبين ولا اخرهم [1]، فضلا هم الظروف القاسية التي احاطت به والتي دفعته للتكسب واتخاذ الشعر وسيلة للعيش، ومع ذلك فقد ظل شعر الحطيئة على درجة عالية في الإتقان الفني للشعر، وخاصة في فني الهجاء والمديح، فقد ذكر ابن عباس (رضي الله عنهما) عبارة أشار بها الى قوة أسلوبه الشعري في - هذين الغرضين - أفضل تعبير حين قال له: " لله أنتَ أيُّ مردى قِذافٍ، وذائدٍ عن عشيرةٍ، ومُثنٍ بعارفة تؤتاها أنت يا أبا مليكة [2].

وكما أحسن ابن شرف (ت 460 هـ) في وصفه لشعر الحطيئة وأصاب، إذ قال: " خبيث هجاؤه، شريف ثناؤه، رفع شعره من الثرى، وحطّ من الثريا، وأعاد لطافة فكره، ومتانة شعره، قبيح الألقاب، فخراً يبقى على الأحقاب، في الأعقاب [3] فلسان الحطيئة كان سيفاً مسلطاً على رقاب أعدائه، وقد ظل هجاؤه للزبرقان بن بدر وصمة عار لم تمحها السنون والأعوام، فجراح هجائه ينزف ألماً من مرارة وقسوة ما قاله، أما مديحه فنور يضيء وجوه ممدوحيه،من ذلك مديحه لأنف الناقة فقوله فيهم جعلهم يفخرون بما كانوا يأنفون من ذكره ـ وهذا ما أشرنا اليه مفصلاً في الحديث عن شعره - فقد كان بحق " نقي الشعر، قليل السقط من الكلام مستويه ... [4].

ان إعجاب القدماء بشعره وتمثلهم به، قادهم لإصدار أحكامهم، وإبداء آرائهم فيه، وممن أعجبوا به الى جانب من ذكرناهم آنفاً، حماد الراوية الذي قال عنه: " سمعتُ أبي يقول وقد أنشد قول الحطيئة:

وفتيان صدقٍ من عدىً عليهم صفائحُ بُصرى عُلّقت بالعواتقِ

(1) ومن كبار الشعراء المتكسبين، النابغة والاعشى والمتنبي وعدد اخر غيرهم.

(2) الأغاني: 2 / 192.

(3) وسائل البلغاء: 317، 318.

(4) شرح شواهد المغني: 22.

اذا مــا دعــوا لم يســألوا مــن دعــاهم   ولم يُمســـــكوا فـــوق القلـــوب الخوافـــقِ

ثم قال: أما اني ما أزعم ان أحداً بعد زهيراً أشعر من الحطيئة [1] وهذا يعني انه كان يترسّم خطا أستاذه، ويسير على نهجه في بنائه الشعري، حتى صار التلميذ كمعلمه، ويقترن أسمه باسمه لإتخاذهما أسلوباً واحداً في النظم، الأمر الذي جعل حماداً ينفي أن يكون هنالك شاعراً أشعر من الحطيئة بعد زهير. وقد نلمح في كلام حماداً ما يفصح لنا ان الحطيئة كان يمثل آخر المؤسسين لمدرسة التنقيح الشعري عند حماد.

ومما رواه الأصمعي انه " لقي رجل كثير عزّة، وهو كثير بن عبد الرحمن الخزاعي أبي جمعة، فقال له: يا أبا صخر: أي الناس أشعر؟ قال الذي قال:

آثـــرتُ إدلاجـــي عـــلى ليـــل حـــرّة   هضـــيم الحشـــا حسّـــانة المتجـــرّدِ" [2]

ويذهب ابن شبرمة للقول عنه: " أنا والله أعلم بجيد الشعر، لقد أحسن الحطيئة حين قال:

وإن كانــت الــنعماءُ فــيهم جــزوا بــها وإن   وإن أُنعمــــوا لا كـــــدّروها ولا كـــــدّوا

مــن قــال مــولاهمْ عــلى جــلّ حــادثٍ   الـــدهر ردُّوا فضـــل أحلامـــه ردوا" [3]

فحديث ابن شبرمة يشير الى شاعرية الحطيئة، وهذ ما نلمسه عند أبي هلال العسكري حين يعرض رأي ابن شبرمة، فيضيف عليه معلقاً " لعمري ان معاني هذه الأبيات أبكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فإنما استعارها من الحطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها [4].

---

(1) الأغاني: 2 / 169.

(2) فحولة الشعراء: 36.

(3) الديوان: 140، الأغاني: 2 / 178.

(4) ديوان المعاني: 1 / 38.

ويروى عن الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه انه قال: " بلغني أنه لما قال ابن ميادة:

* تمشي به ظُلمانه وجادرهْ *

قيل له: قد سبقك الحطيئة الى هذا، فقال: والـلـه ما علمت ان الحطيئة قال هذا قطّ، والآن علمت والـلـه إني شاعر حين واطأت الحطيئة [1].

لقد حظيت أشعار الحطيئة بمكانة كبيرة في كتب الأدب والنقد، لذا قال المبرد عنها:ولولا انها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها، ولكننا نذكر منها شيئا مختاراً [2]

ومما روي في خبر وفاة الحسن بن وهب (ت 250 هـ) " وكان موته بالشام، عزّى عنه أخوه سليمان فجاء أبو العيناء فقال: أنشدني أبو سعيد الأصمعي:

لعمـري لـنِعْم المـرء مـن آل جعفـرٍ بحـوران أمسـى أعلقتـه الحبائـلُ

لقـد فقـدوا عزمـاً وحزمـاً وسـؤدداً وعلـماً أصـيلاً خالفتـه المجاهـلُ

فـإن عشـتُ لم أملـل حيـاتي وإن تمـت فمـا حيـاتي بعـد موتـكَ طائـلُ

فقال سليمان: أحسن الـلـه جزاؤك، ووصل إخاؤك، إن هذا لمن أحسن الشعر [3].

وفي هذا الخبر ما يدعم قولنا في شاعريته، وأمثلة ذلك كثيرة قد عرضنا لبعضها سابقاً مما جعلنا نعرض عنها هنا منعاً للتكرار والإطالة.

---

(1) الأغاني: 2 / 170.
ويروى أيضاً ان ابن ميادة " أنشد لنفسه:

مفيد ومتلاف اذا ما أتيته تهلّل واهتزّ اهتزاز المهنّدِ

قيل له: أين ذهب بل هذا للحطيئة، قال كذاك هو، قيل: نعم، فقال: الآن علمت اني شاعر حين وافقته على قوله، وما سمعت به إلا الساعة " ينظر: أنوار الربيع: 6: 86.

(2) الكمل في اللغة والادب: ابو العباس المبرد: 2 / 191.

(3) زهر الآداب: 2 / 627.

ان الحديث عن الشعراء وشعرهم كان يستهوي الخاصة قبل العامة، فدار في أنديتهم ومجالسهم، ولارتفاع شعر الحطيئة، تدوّل شعره فيها، ودار ذكره على ألسن حاضريها، ومن ذلك ما روي في مجلس مسلمة بن عبد الملك الذي قال لخالد بن صفوان: " فصف لنا الشعراء العشرة، فقال: قصّتهم مفسرة:

أما أحسنهم نسيباً وتشبيباً، وأشدهم تأليباً، فأمرؤ القيس.

وأما أفحلهم مقالاً، أنبلهم رجالاً، وأكرمهم فعالاً، فزهير.

وأما أرجحهم كلاماً، وأنبلهم مقاماً، وأشرفهم أياماً، فأوس بن حجر.

وأما أفصحهم لساناً، وأثبتهم بنياناً، وأشدهم إذعاناً، فالنابغة.

وأما أطردهم للصيد، وأجحشهم في الكيد، وأدرجهم في القيد، فعديّ بن زيد.

وأما أوصفهم للسلاح، وأنعتهم للقداح، والحرب ذات الكفاح، فابن مقبل.

وأما أوصفهم للسنين، وأكسبهم للمئين، وأمدحهم أجمعين، فالحطيئة.

وأما أهجاهم للرجال، وأبدّهم في المقال، وأضربهم للأمثال، فطرفة.

وأما أعفّهم عن الكاس، وأحصنهم على اليأس، وأصدقهم عند الناس، فسلامة ابن جندل ". (1)

ويتباين الشعراء فيما بينهم كثيراً، وتختلف نظرتهم الى العالم المحيط بهم، فيعبرون عنها تعبيراً شعرياً يوافق نظرتهم تلك، ولتباينهم مال نقادنا الى المفاضلة بين الشعراء، وتقديم بعضهم على بعض، ووصفهم بما برزوا فيه

---

(1) المحاسن والمساويء: 2 / 166.

واشتهروا به من فنون الشعر، و الحطيئة على وجه الخصوص عدّه بعضهم أوصف الشعراء للسنين وأكثرهم تكسباً ومدحاً وبهذه الصفات فاق غيره من الشعراء وبرز عليهم، وهذا يتضح جلياً في خبرنا السابق.

والمفاضلة بين الشعراء لم تكن مقصورة على المفاضلة فيما برزوا فيه من أغراض الشعر وإنما في أحسن ما طرقوه من معانٍ، ويظهر ذلك في حديث الرشيد مع الأصمعي، فقد روي ان الرشيد قال للأصمعي: " أتعرف أحسن من قول الحطيئة يصف لغام ناقته، وتعلم أحداً قبله أو بعده شبّه تشبيهه حيث يقول:

ترى بين لحييها إذا ما ترغّمتْ   لغاماً كبيتِ العنكبوت الممدّدِ

فقلت: يا أمير المؤمنين، لا والله ما علمت أحداً تقدمه أو أشار الى هذا التشبيه قبله [1].

فهو سابق لغيره فيما قصد اليه – في هذا البيت – من معنى.

وتبقى مسألة أخيرة لا بد من الوقوف عندها قبل الإنتهاء من آراء القدماء في شاعريته ألا وهي التردد الواضح في اراء الأصمعي، الذي يثير الدهشة حقاً، فالأصمعي وإن لم يتحدث عن الحطيئة في فحولته كما تحدث عن غيره، إلا أنّ المصادر الأخرى أشارت لآرائه في الحطيئة واستحسانه لشعره، فلإعجاب الأصمعي بشعره قال: " لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوله مثلٌ وآخره مثلٌ إلا ثلاثة أبيات منها بيت الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

(1) فحولة الشعراء: 64.

وبيتان لامريء القيس [1]، فإعجابه بشعر الحطيئة وامرىء القيس جعله يغفل عن كثير مثله في القديم [2] , ونراه بعد ذلك يرى في هجائه وكثرة طمعه إفساد لشعره [3]، وكان يعيبه ويتعقبه قائلاً: " وجدت شعره كله جيداً فدلّني على انه كان يصنعه، وليس هكذا الشاعر المطبوع، إنما الشاعر الذي يرمي بالكلام على عواهنه جيد على رديئه"[4]. ثم يعود " فيكتب للحطيئة في ليلة أربعين قصيدة [5].

وهذا ما يدعو للتساءل: كيف يكتب للحطيئة أربعين قصيدة في ليلة واحدة وهو يعيب شعره؟!

وتفسير ذلك كما يبدو راجع الى ان الحطيئة لم يكن مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالدين الإسلامي، إذ ظلت روحه تحمل شيئاً من روح العصر الجاهلي، مما ظهر أثره على شعره، وعلى هذا فالأصمعي لم يعبْ شعر الحطيئة إلا حينما نظر اليه وفق المعيار الأخلاقي الذي فرضه العصر عليه، إذ ان المجتمع الإسلامي كان يطالب الشعراء بالإبتعاد عن بعض الأغراض الشعرية كالهجاء المقذع المثير للأحقاد والإضغان والذي كان الحطيئة يعمد اليه كثيراً.

ان شاعرية الحطيئة ومنزلته الكبيرة أهّلته لأن يصدر أحكامه، فكما ان لغيره الحق في إصدار أحكامهم عليه، وإبداء آرائهم فيه، فإن للحطيأة الحق في إصدار أحكامه وإبداء آرائه في غيره من الشعراء، فحين سئل الحطيئة عن أستاذه قال: " ما رأيت مثله في تكفيه على أكتاف القوافي وأخذه بأعنتها حيث شاء من اختلاف معانيها امتداحاً وذماً [6] وشهادته

(1) العقد الفريد: 3 / 136.
(2) ينظر: المصدر السابق: 3 / 137.
(3) ينظر: فحولة الشعراء: 51، الأغاني: 2 / 170.
(4) الخصائص: ابن جني: 3 / 282. وينظر: المزهر في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي: 398/2.
(5) فحولة الشعراء: 51، وينظر: الأغاني: 2 / 174.
(6) الشعر والشعراء: 1 / 143 – 144.

لأستاذه بالتمكن من القوافي والقدرة على التصرف، فيها نظرة موضوعية في شعره جملة وتبدو علّة التفضيل ـ (من خلالها)، مما ينبغي الوقوف عندها، إذ أنّ تعلّمه على يد زهير وروايته له - على ما يبدو - هي التي دفعته لهذا القول، فالحطيئة لم يخص المديح والهجاء بحديثه إلا لأنهما الغرضين الرئيسين عنده، إذ هما وسيلته الأساسية في طلب الرزق والعيش.

وقد كان للحطيئة رأياً في عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) عندما رآه أول مرة في مجلس عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فحينما نظر الحطيئة الى ابن عباس وهو يتكلم في مجلس عمر، قال: " من هذا الذي نزل عن الناس في سنّهِ وعلاهم في قوله؟"[1].

فإحساس الحطيئة بما يمتلكه ابن عباس من فطنة وعلم هو الذي دفعه لأن يقول فيه ما قاله، كما دفعه لأخذ المشورة والنصح منه - فيما بعد - في مسألة هجائه للزبرقان بن بدر [2].

ويبادل ابن عباس (رضي الله عنهما) الحطيئة بالرأي، إن علم ابن عباس (رضي الله عنهما) بفن الحطيئة وقدرته على الحكم والمفاضلة بين الشعراء دفعه لأن يسأله عن أشعر الشعراء، قائلاً له: " يا أبا مليكة، من أشعر الناس؟ قال: أَمِنَ الماضين أم من الباقين؟ قال من الماضين. قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفِرْه ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتمِ

---

(1) عيون الأخبار: مج 1: 3 / 229.

وفي رواية أبو العيناء عن محمد بن سلام ان الحطيئة قال: " من هذا الذي نزل عن القوم في سنّه ومدته؟ وتقدمهم في قوله وعلمه؟ فقيل هذا ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذا عبد الله بن عباس ". حلية المحاضرة: 1 / 421.

(2) للإستزادة ينظر: الأغاني 2 / 192 - 193.

وما بدونه الذي يقول:

ولسـت بمسـتبقٍ أخـاً لا تلمّـهُ   عـلى شـعثٍ، أيّ الرجـال المهـذّبُ

ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جـرولاً - يعنـي نفسـه -[1]، فالحطيئـة يـذهب الى تفضيل زهير والنابغة، ثم يضيف نفسه.

ولم يقف الحطيئة عند هذا الحد بل أخذ بإصدار آرائه وأحكامه بين الحين والآخر، مـن ذلك ما قاله في الفرزدق حينما أتى مجلس سعيد بن العاص - وكان الحطيئة وكعب ابـن جحيـل التغلبي حاضرين فيه - فأنشد الفرزدق يمدح ابن العاص بقوله[2]:

تـرى الغـرّ الجحـاجحَ مـن قـريش   إذا مـا الأمـرُ في الحـدثانِ عـالا
بنـي عـمّ النبـي ورهْـطَ عمـرو   وعـثمان الأُلى غلبـوا فعـالا
قيامـاً ينظـرون الـى سعيـدٍ   كأنـهم يـرونَ بـه هـلالا

فقال الحطيئة: " هذا والـلـه هو الشعر، لا ما تُعلّل به منذ اليوم أيها الأمير! فقـال لـه كعب بن جعيل: فضّله على نفسك ولا تفضّله على غيرك. قال: بـل والـلـه أفضّله عـلى نـفسي وعلى غيري. يا غلام! أدركت من قبلك، وسبقتَ من بعدك ثم قال لـه الحطيئـة: يـا غـلام لـئن بقيتَ لتبرزنَّ علينا[3].

---

(1) الاغاني: 2 / 193. ينظر: العمدة: 1 / 96، المزهر في علوم اللغة: 2 / 481.

(2) ديوان الفرزدق: 70/2. عال: فدح وثقل.

(3) طبقات فحول الشعراء: 1 / 322، ينظر: أمالي المرتضى: 1 / 296، العمدة: 2 / 79، معجم الادباء: يـاقوت الحمـوي 7 / 258.

فنظرة الحطيئة الثاقبة جعلته يفطن لقدرات الفرزدق الفنية، ويتنبّأ له بمستقبل عظيم، يفوق فيه غيره، ويعلو نجمه، وما ذلك إلا لقوة شعره، وأصالة فنه وتمكنه من أداته.

ولم يكتف الحطيئة بإصدار أحكامه وإبداء آرائه في الشعراء، فقد كان يعمد في بعض الأحيان للموازنة بينهم، وتفضيل بعضهم على بعض، من ذلك ما رواه أبو عبيدة عن الحطيئة حين دخل مجلس سعيد بن العاص متنكراً ... فلما قام الناس وبقي الخواصّ، أخذوا يتذاكرون أيام العرب وأشعارها، فلما أسهبوا قال الحطيئة: " ما أصبتم جيّد الشعر ولا شاعر العرب، فقال له سعيد : أتعرف من ذلك شيئاً؟ قال: نعم، قال: فمن أشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

لا أعــدّ الإقتــار عــدماً ولكــن   فقــدُ مــنْ قــد رُزئتــهُ الإعــدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها، فقال له: من يقولها؟ قال: أبو دؤاد الإيادي. قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

أفلــحْ بمــا شــئت فقــد يــدرك بالــ   ــجهلِ وقــد يخــدّعُ الأريــبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها، قال: ومن يقولها؟ قال: عبيد بن الأبرص [1].

وقد علق ابن رشيق على تفضيل الحطيئة لأبي دؤاد الإيادي بأنه " وإن كان فحلاً قديماً، وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره، فلم يقبل

---

(1) الشعر والشعراء: 1 / 324 وينظر: الأغاني: 2 / 281.

فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة [1]، وتعليق ابن رشيق يشعرنا بنبرة الإستغراب من تفضيله لأبي دؤاد دون غيره من الشعراء.

ويختلف ابن سلام عن أبي عبيدة في روايته للخبر السابق حيث يورد أبياتاً لشعراء آخرين، فقد فضل زهيراً ورآه أشعر الشعراء لأنه يقول:

قــد جعــل المبتغــون الخــيرَ في هــرمٍ   والسائــــلون الى أبوابــــه طرُقــــا

ثم فضل النابغة لقوله:

فإنــــك شـــمسٌ والملـــوك كواكـــبٌ   إذا طلعـــتْ لم يبْـــدُ مـــنهنَّ كوكـــبُ.[2]

وقد أُثرتْ عن الحطيئة أحكام أخرى في هذا المضمار، إذ تنقل الأخبار ان الحطيئة دخل مجلس عتبة بن النهّاس ...، فجلس فقال له عتيبة: " من أشعر الناس؟ قال الذي يقول:

ومــن يجعــل المعــروف مــن دون عرضــه   يفــرهُ ومــن لا يتــق الشــتمَ يُشــتمِ

قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

مــــن يســــأل النــــاس يحرمــــوه   وســــائل اللــــه لا يخيــــب

يعني زهيراً وعبيداً [3].

---

(1) العمدة: 1 / 97. ينظر: المزهر في علوم اللغة: 2 / 481.

(2) ينظر: طبقات فحول الشعراء: 1 / 120 و 121.

(3) العقد الفريد: 1 / 283 – 284. وقد أشرنا الى القصة في (شعره وفنونه) ينظر رسالتنا:

وكان يرى ان أشعر الشعراء " النابغة إذا رهب، وزهيراً إذا رغب، وجرير إذا غضب [1].

ويبدو ان حديث المفاضلة كان يستهوي الحطيئة كثيراً، ودليل ذلك ما تضمنته وصيته من آراء نقدية – وإن كانت غير معلّلة كسائر الارآء في ذلك الوقت – إذ ذهب فيها الى تفضيل بعض الشعراء وعدّهم أشعر العرب، من ذلك تفضيله للشماخ إذ يقول:

إذا انـــبض الرامــــون عنهـــا ترنمـــتْ   تــــرنم ثكـــــلى أوجعـــــتها الجنائــــزُ

ولضابيء بن الحارث، إذ يقول:

لكــــــل جديـــــد لــــــذة غــــير اننــــي   وجــــدتُ جديـــد المـــوتِ غـــير لذيـــذِ

ولامريء القيس، إذ يقول:

فـــيا لـــك مـــن ليـــلٍ كـــأن نجومـــه   بكـــل مغـــار الفتـــلِ شُـــدّتْ بيـــذبُلِ

ولحسان بن ثابت، إذ يقول:

يُغشـــونَ حتـــى مـــا تهـــرّ كلابهـــمْ   لا يســـألون عـــن الســـواد المقبـــل [2]

وبعد أن ينتهي الحطيئة من بيان أشعر العرب – عنده – يعلن رأيه في الشعر نفسه ببيتين إثنين إذ يقول فيهما:

الشـــعرُ صـــعبٌ وطويـــل ســـلمهْ   إذا ارتقـــى فيـــه الـــذي لا يعلمُـــه

---

(1) المصدر السابق : 5 / 271.

(2) ينظر: الأغاني: 2/195-196، العقد الفريد: 271/5.

زلّـــتْ بـــه الـــى الحضـــيض قَدَمـــه   يريـــــد أن يعـــــربه فيعجمُـــــه.[1]

وقبل أن نختتم حديثنا عن آرائه في الشعراء لا بد لنا أن نقف قليلاً لننظـر في تلـك الآراء ونتساءل: لماذا اختار الحطيئة هؤلاء الشعراء دون غيرهم؟ ولمـاذا فضـل زهـير أكـثر مـن مـرة؟ وجوابنا على ذلك: إنّ اختياره لم يقع إلا على الفحول من الشعراء، وإن اختلفت مكانة أو طبقـة أحدهم عن الآخر، وتفضيله لزهير أكثر من مرة يرجع لتأثره به بوصفه أستاذه الـذي أعانـه عـلى تنمية موهبته وتهذيبها، أما تفضيله لزهير والنابغة فيبدو سببه أكثر وضوحاً إذ كانا من الشعراء المتكسبين الذين اتخذوا من الشعر وسيلة للعيش وعلى نهجهما سار الحطيئة، ولكن الذي يبدو انه لم يفضل النابغة بشكل مطلـق إذ قيـد تفضـيله، لأن النابغـة - وعـلى حـد قـول الحطيئـة - مفسدٌ لشعره بضراعته - ومما يجدر الإلتفات اليه هنا أنّ معظم الأبيات التـي فضـلها كانـت في المديح وهو الفن الأثير عند الحطيئة، ومهما يكن من أمر فإن تفضيل الحطيئة لهؤلاء الشـعراء يفصح عما كان من إعجاب الحطيئة بهم، لمكانتهم العالية، ولما تحملهم أشـعارهم مـن أصـالة وجودة.

لقد أعطى الحطيئة الحق لنفسه، ليضع له مكاناً بين الشـعراء، ففـي حديثـه مـع ابـن عباس (رضي اللـه عنهما) يذهب الى تفضيل نفسه، إذ يقول: " واللـه يا ابن عم رسول اللـه، لو لا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين، فأما الباقون فلا تشك أني أشـعرهم وأصردهـم سـهماً إذا رميت " فقال ابن عباس: " كذلك أنت يا أبا مليكة "[2].

كما ذهب لتفضيل نفسـه في مجلـس سـعيد بـن العـاص - اذ يقـول : " وحسـبك بي إذا وضعت إحدى رجليَّ على الأخرى، ثم عوَيتُ في إثر القوافي كما يعوي الفصيل في إثر أمه "[3].

---

(1) ينظر: الأغاني: 2 / 196.

(2) العمدة: 1 / 97، ينظر: المزهر: 2 / 481.

(3) الاغاني: 2 / 196.

ويبدو ان إعجاب الشاعر بنفسه قد دفع به ـ حيـنما لقيـه عبـد الـرحمن بـن أبي بكـرة وسأله: من أشعر الناس يا أبا مليكة؟ - لأن يخرج لسانه ويقول: " هذا إذا طمع " [1].

ونستنتج من كل ما عرضناه، أنّ الشاعرية الأصيلة عند الحطيئة أكسبته النظرة النقدية الفاحصة والقدرة على التذوق الشعري الجميل، وفراسته الأدبية أعانتـه عـلى كشـف الشـاعرية الخصبة – وهو ما يتجلى في حديثه عن الفرزدق – وتمييزه بين كل ما هو جيد وأصيل.

(1) الأغاني: 2 / 170، العقد الفريد: 5 / 326.

الفصل الثاني

موقف النقاد القدامى من شعره

- المبحث الأول: الطبع والتكلّف
- المبحث الثاني: الظواهر البلاغية
- المبحث الثالث: السرقات الشعرية
- المبحث الرابع: الظواهر اللغوية والعروضية

المبحث الأول

الطبع والتكلّف:

اندفع كثير من النقاد القدماء الى تفضيل الشعر القديم المتّسم عندهم بالطبع، على الشعر المحدث المتّسم بالتكلّف، وكانوا يكثرون من حديثهم عن هذه المسألة، ويلحون على الشعراء بها، بل أنهم أخذوا على بعض الشعراء في العصر الجاهلي وصدر الإسلام تكلّفهم للشعر، لأنهم كانوا يعمدون الى تنقيح أشعارهم وتهذيبها وصقلها، كي تخرج مستوية، في درجة عالية من الجودة والإتقان. ولتأكيد النقاد على معيار الطبع أو التكلف، فقد أصبحا مصطلحين نقديين قائمين بذاتهما، يعتمد عليهما النقاد للحكم على الشعراء بالجودة لطبعهم، أو بالعيب لتكلّفهم.

والأصمعي من أوائل النقاد الذين أشاروا الى هذين المصطلحين فقد" كان الأصمعي يتعصب للشعر القديم على المحدث" [1]، وحين يعرض للشعر القديم يقف عند شعر بعض شعرائه أمثال الحطيئة وأستاذه زهير فيقول: " زهير والحطيئة وأمثالهما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين [2] لأنه يرى" أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرهما [3]، فهو وإن كان يتعصب للقديم إلا انه يجد بعض المحدثين متكلفاً كالمحدثين من الشعراء ولذلك حينما فضل بعض المحدثين على بعض قرن بهما عبيد الشعر - كما يسميهم - فإعجابه مثلاً ببشار دعاه الى القول

(1) فحولة الشعراء: 48.

(2) المصدر السابق: 49.

(3) العمدة: 1 / 133.

عنه: " كان مطبوعاً لا يكلف نفسه شيئاً متعذراً [1] وكان يشبه بشاراً بالأعشى والنابغة، ويفضله على مروان الذي كان يشبهه بزهير و الحطيئة [2]، ويقول: " هو متكلف [3]، فالأصمعي يربط الجودة بالطبع فكلما كان الشاعر مطبوعاً عُدّ مجوداً في فنه.

ومما ينقله الجاحظ عن الأصمعي في الحطيئة قوله: " الحطيئة عبدٌ لشعره" [4]. ثم يستطرد الجاحظ معلقاً" عاب شعره حين وجده كلّه متخيراً منتخباً مستوياً، لمكان الصنعة والتكلّف، والقيام عليه" [5] فهو يعيب عليه تنقيحه لشعره وتهذيبه له.

ويفصح الجاحظ في أقواله عن مدى تأثره بأستاذه الأصمعي فقد كان يعرض لآراء الأصمعي ثم يدعمها بآرائه، من ذلك قوله: " وقال الأصمعي: زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما، عبيد الشعر، وكذلك كلّ من جوّد في جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر، حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة. وكان يُقال: لولا ان الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلّف وأصحاب الصنعة، ومن يلتمس قهر الكلام، واغتصاب الألفاظ، لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهواً رهواً، وتنثال عليهم الألفاظ انثيالاً"[6] ومما يلاحظ على الجاحظ انه وإن آمن إيماناً عميقاً بأقوال الأصمعي وردد آراءه في التكلف والمتكلفين من الشعراء، إلا انه كان يعد العمل الأدبي عموماً والشعر خصوصاً صناعة أو حرفة تعتمد على التفنن في التعبير والصياغة، والإجادة والإتقان بهما،

(1) فحولة الشعراء: 52.

(2) ينظر: المصدر السابق: 48.

(3) المصدر السابق: 52.

(4) البيان والتبيين: 1 / 206.

(5) المصدر السابق: 1 / 206.

(6) المصدر السابق: 2 / 13.

حيث يقول: " وإنما الشعر صناعة وضربٌ من النسج، وجنس من التصوير [1] وبهذا يدعم قول ابن سلام في صناعة الشعر إذ يقول" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم به، كسائر أصناف العلم والصناعات [2] والجاحظ الذي يعيب على زهير و الحطيئة تنقيحهما للشعر يقول: " ومن الشعراء العرب من يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريناً، وزمناً طويلاً، يردد فيها نظره، ويجبل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه، إتهاماً لعقله، وتتبعاً على نفسه، فيجعل عقله زماماً على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، إشفاقاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، ليصير قائلها فحلاً خنذيذاً وشاعراً مغلقا [3] ويفهم منه هنا ان الشاعر الذي يعمل على إحكام قصائده بتنقيحها وتهذيبها، شاعر فحل، وهو أعلى الشعراء منزلة. ويجد ان التنقيح الشعري شيء ضروري للشعراء المتكسبين خصوصاً، إذا كان الممدوح من الملوك والسادة، فيعلل له، ويذكره بقوله:" ومن تكسب بشعره. والتمس به صلات الأشراف والقادة، وجوائز الملوك والسادة، في قصائد السماطين، أو بالطوال التي تنشد يوم الحفل، لم يجد بداً من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما فإذا قالوا غير ذلك أخذوا عفو الكلام [4].

ويظهر الجاحظ مضطرباً في أقواله تلك، إذ لا نجد له رأياً محدداً، ففي الوقت الذي يأخذ بقول الأصمعي في تقديم الشعر المطبوع على المتكلف، يرى ان الشعر صناعة، وان الشاعر يصير فحلاً حين يهذب شعره، كما يلتمس عذراً للمنقحين من الشعراء، فالجاحظ - مما يبدو - لم يكن واضحاً كل

---

(1) الحيوان: 3 / 132.

(2) طبقات فحول الشعراء: 1 / 5.

(3) البيان والتبيين: 2 / 9.

(4) المصدر السابق: 2 / 13.

الوضوح في حديثه عن التكلف والطبع، الذي أثار جدل النقاد، فأطلقوا ألسنتهم ليعبر كل واحد منهم عن مفهومه الخاص ورؤياه الذاتية بشأنهما.

وابن قتيبة (ت 276 هـ) كان واحداً من النقاد المعاصرين للجاحظ، والخائضين معه في الحديث عن الطبع والتكلف، ويرى انّ" المتكلّف هو الذي قوّم شعره بالثِقاف، ونقّحَه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر [1]، وبالإمكان معرفة المطبوع من المتكلف، لأن المتكلف إن كان جيداً إلا انه يظهر فيه معاناة صاحبه، وإعمال فكره واستفراغ مجهوده [2]، ولذا قال: " وتتبّين التكلّف في الشعر أيضاً، بأن ترى البيت فيه مقروناً بغير جاره، ومضموماً الى غير لفقِه، ولذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء أنا أشعر منك قال: وبم ذاك؟ فقال: لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه [3].

ويتحدث قدامة بن جعفر عن الطبع والتكلّف بوصفهما من عيوب الشعر قائلاً: " أن يركب الشاعر فيه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذاً ... وهذا الباب مجوّز للقدماء، ليس من أجل إنه حسن، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابياً، غلبت عليه العجرفة فيه، وللحاجة أيضاً للإستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب له والتكلف لما يستعمله فيه، لكن لعادته، وعلى سجيّة لفظه. فأما أصحاب التكلف لذلك، فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عن السمع [4] فالمتكلف عند قدامة هو الذي يقحم ألفاظ غريبة وحشية في شعره ويخرج على طبعه ويستخدم ألفاظ لا تمت لعصره أو بيئته بصلة، مما يسِم شعره بالغموض والتعقيد.

---

(1) الشعر والشعراء: 1 / 78.

(2) ينظر: المصدر السابق: 1 / 88.

(3) المصدر السابق: 1 / 90.

(4) نقد الشعر: 172 (ط دار الكتب العلمية)، أو 65 (ط أنصار السنة المحمدية).

ومما يبدو ان صاحب الوساطة كان أوضح من سابقيه إذ يرى" أنّ الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء، ثم تكون الدُربة مادة له، وقوة لكل واحد من أسبابه، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرّز وبقدر نصيبه منها كون مرتبته من الإحسان، ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم ... "[1].

فلا بد أن يتوافر في الشعر طبع، الى جانب الصناعة، لكي يحسن القول ويستقيم، فيكون أكثر ظهوراً وأعظم بروزاً عما سواه.

وإذا كان ابن قتيبة قد حاول أن يقدم لنا تعريفاً للتكلف، فأبو هلال العسكري حاول هو الآخر أن يضع أمامنا تعريفاً آخر للتكلف وإن كان لا يبتعد كثيراً عما قاله سابقوه، فمعناه يقارب معنى الجاحظ بقهر المعاني واغتصاب الألفاظ، إذ يقول: " فالتكلف طلب الشيء بصعوبة للجهل بطرائق طلبه بسهولة، فالكلام إذا جمع وطلب بتعب وجهد، وتنولت ألفاظه من بعد، فهو متكلف"[2] فالتكلف حسب هذا التعريف يعد إفتعالاً للفظ والموضوع وهذا يعني ابتعاده عن الصدق الفني الذي أشار اليه الأصمعي، والجاحظ وابن قتيبة؛ وتعريف العسكري لا يمكن أن يكون أكثر من عملية استقراء لأقوال سابقيه، ثم صياغتها بأسلوبه الخاص، لأنه لم يأتِ بجديد يذكر في هذا التعريف؛ وقد بين كيف يُعمل الشعر فقال: " وإذا أردت أن تعمل شعراً فإحضر المعاني التي تريد نظمها فِكرُك، وأخطرها على قلبك، واطلب لها وزناً يتأتى فيه أيرادها، وقافية يحتملها؛ فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية، ولا تتمكن منه في أخرى، أو تكون في هذه أقرب طريقاً، وأيسر كُلفةً منه في تلك، فإذا عملت القصيدة فهّذبها ونقحها، بالقاء ما غثّ من أبياتها، ورث ورَذل، والإقتصار على ما حسُن وفخم، بإبدال حرفٍ منها بآخر أجود منه،

(1) الوساطة: 15.

(2) كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: 10-11.

حتى تستوي أجزاؤها، وتتضارع، هواديها وإعجازها [1]، فكأنه يحاول أن يرسم للمتعلم الخط الصحيح في طريق تعلم الشعر، فهو يؤمن بأن الشعر لا يكون مطبوعاً مطلقاً، ولكنه لا بد أن يكون فيه صناعة وتفنن؛ ولذا أشار الى صنيع الحطيئة، وأمثاله في أشعارهم؛ فقال: " وكان الحطيئة يعمل القصيدة في شهره وينظر فيها ثلاثة اشهر ثم يبرزها، وكان ابو نُواس يعمل القصيدة، ويتركها ليلةً، ثم ينظر فيها فيلقي أكثرها، ويقتصر على العيون منها؛ فلهذا قصر أكثر قصائده. وكان البحتري يلقي من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب به فخرج شعره مهذباً [2]، فلم يرَ في صنيع الحطيئة عيباً يُذكر، ولم يعبه كما عابه الأصمعي بل قرن به أبرز شعراء العصر العباسي، وأكثرهم جودة في شعره، لانه يجد في تنقيح الشعر ما يجعله مهذباً.

ربما كان صاحب العمدة أدق تعبيراً عن هذا المعنى من كل أولئك النقاد الذين سبقوه، فقد عرّف التكلف تعريفاً موجزاً في قوله: " هو ما بعد عن الطبع" [3] وكان يسمي الشعر المتكلف مصنوعاً [4] ويرى أنّ" المطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً" [5] والمصنوع عنده من الشعر القديم" ليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين، لكن وقع فيه ما سموه صنعة من غير قصد ولا تَعَمُّلٍ، فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل ... والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها، بأن تجانس أو تطابق أو تقابل ... كما يفعل المحدثون، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر ... حتى عدّوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله [6]:

(1) المصدر السابق : 145.
(2) المصدر السابق: 147.
(3) العمدة: 1 / 295.
(4) ينظر: المصدر السابق: 1 / 129.
(5) المصدر السابق: 1 / 129
(6) المصدر السابق: 1 / 129.

فــــلا وأبيــــك مـــــا ظلمـــــتْ قريــــعٌ	بــــأن يبنـــوا المكـــارم حيـــث شـــاءوا
ولا وأبيـــــك مــــا ظلمـــــت قريــــعٌ	ولا جرمـــــوا لـــــذاك ولا أســـــاءوا
بعنـــــده جــــارهم أن ينعشـــــوها	فيخــــبر لـــــذاك نعــــمٌ وشـــــاءُ
فيبنـــــي مـــــجدهم ويقيـــــم فيـــــها	ويمــــشي إن اريـــد بـــه المشـــاءُ"[1]

فإبن رشيق لا يرى في شعر زهير و الحطيئة، ما يراه في شعر المحدثين الذين إفرطوا في صنعة الشعر وتكلفه، ويجد أن صنعتهم ـ صنعة زهير و الحطيئة ـ وقعت بطباعهم عفواً، وعنده أنّ أفضل الشعر الذي يتوازن فيه الطبع والصنعة، دون أن يطغى أحدهما على الآخر، فلا يصح الحكم بجودة المطبوع وتردى المصنوع مطلقاً ولا ندفع" أن البيت اذا وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمّل كان المصنوع أفضلهما[2] وعنده" لا يكون الشاعر حاذقاً مجوّداً حتى يتفقد شعره، ويعيد فيه نظره، فيسقط رديّه، ويثبت جيّده، ويكون سمحاً بالركيك منه، مطرحاً له، راغباً عنه، فإن بيتاً جيداً يقاوم ألف رديء"[3] ولكن لا ينبغي للصانع أن لا يبالغ في صنعته لأن" الحاذق بهذه الصناعة – إذا غلب عليه حبّ التصنيع – ان يترك للطبع مجالاً يتسع فيه"[4].

وحين يعرض ابن رشيق لقول الأصمعي" لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي أشعار العرب،ويستمع الأخبار،ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ"[5] يعلق عليه قائلاً: " وأول ذلك أن يعلم العروض، ليكون ميزاناً له على قوله، والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه، والنسب وأيام

(1) المصدر السابق: 1 / 129.
(2) المصدر السابق: 1 / 131.
(3) المصدر السابق: 1 / 200.
(4) المصدر السابق: 1 / 131.
(5) المصدر السابق: 1 / 197.

الناس؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب، وذكرها بمدح أو ذمٍ" [1] وتفسيره لقول الأصمعي على هذا النحو يدل على اضطراب الأصمعي في بعض أقواله، فهو حين يعيب زهير و الحطيئة لتهذيب أشعارهما وتنقيحهما وتفقدهما لها، يلزم الشاعر - ليصير فحلاً - أن يحفظ الأشعار ويتعلم المعاني ويداول الألفاظ في ذهنه، وكل هذا لا يكون طبعاً في الإنسان، وإنما هو مهارة تكتسب وتؤخذ عن طريق العلم والتعلم.

وابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) لا يجد الطبع محصوراً في القديم، والتكلف في المحدث من الشعر، لأن من القدماء من تكلف في أشعاره، ودليله أنّ زهير بن أبي سلمى عمل سبع قصائد في سبع سنين، وحينما يفضل الرواة شعره يقولون: كان يختار الألفاظ ويجتهد في أحكام الصنعة، وكانوا يشبهون الحطيئة بزهير في طريقة شعره [2]، ولم يزد ابن سنان في حديثه عن الطبع والتكلف عن حديث سابقيه، فقد أخذ برأيهم، ولم يخالفهم في شيء إلا في الأسلوب وصياغة التعبير.

وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) يجد في التكلف الزائد عيباً ينبغي تجاوزه إذ يقول: " كان أحق أصناف التعقيد ما يتعبك، ثم لا يجدي عليك ويؤرقك ثم لا يروق لك، ..... أو الذي لا يؤسيك. من خيره في أول الأمر، فتستريح الى اليأس، ولكنه يطمعك، ويسحب على المواعيد الكاذبة حتى اذا طال العناء وكثر الجهد، تكشف عن غير طائل، وحصلت منه على ندم لتعبك في غير حاصل [3] وهذا يعني ان عبد القاهر الجرجاني كان يذم التكلف الذي لا طائل منه غير التعب والإجهاد.

---

(1) المصدر السابق: 1 / 198.

(2) ينظر: سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي: 275.

(3) أسرار البلاغة: 120 ـ 121.

وابن منقذ (ت 584 هـ) أحد الذين قالوا بالتهذيب والتنقيح الشعري، إذ يقول:" ... واعمل الأبيات متفرقةً على ما يجود به الخاطر، ثم انظمه في الآخرة، وحصّل المبدأ والمقطع والخروج، فهو أصعب ما في القصيدة، وميّز في فكرك محطّ الرياسة، ومصبّ القصيدة، فإنّه أسهل عليك، وأشعرها أولاً، وهذّبها آخراً، فقد قيل عن الحطيئة انه كان يعمل في القصيدة في شهرين، ويهذّبها في شهرين، وقيل عن زهير انه كان يعمل القصيدة في شهرين ويهذبها في حول، ولذلك سمي شعره المنقح الحولي [1] فإبن منقذ يؤكد تهذيب الشعر، لذا كرر قوله: فهذّبها أولاً وهذبها آخراً، واستشهاده بصنيع زهير و الحطيئة في الشعر يعني انّه يجد في تنقيح الشعر ضرورة من ضروراته، وتعصّبه للشعر الحديث - على ما يبدو - هو الذي دفعه للقول بذلك.

ويعقد ابن أبي الأصبع المصري (ت 654 هـ) باباً، في التهذيب والتأديب يؤكد فيه ضرورة التهذيب، فمتى اعتنى الأديب بأدبه، فحسنه بإبدال وتغيير، وحذف وقلب، وتقديم وتأخير، كان كلامه موصوفاً بالمهذّب، منعوتاً بالمنقّح، وإنْ قل ابتكاره للمعاني [2] ويدعم ابن ابي الاصبع قوله بالتنقيح بمقولة عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه) في زهير حين قال لأبن عباس (رضي اللـه عنهما):" أنشدني شعر أشعر القوم. فقال: ومن ذاك؟ قال: زهير، قال: وبمَ استحقّ عندك ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال رأيته لا يعاضل بين الكلام، ولا يتبع وحشي الألفاظ، ولا يمدح الرجال إلا بما يكون للرجال، وما ذاك إلا لتنقيحه شعره، وترداد نظره في كلامه [3] وختم هذا الباب بوصيته التي استشفها من خلال الإطلاع على أقوال سابقيه بهذا الشأن، فقال: " وميّز في فكرك محطّ الرسالة، ومصب القصيدة قبل العمل، فإن ذلك أسهل عليك، وأشعرها أولاً.

---

(1) البديع في نقد الشعر: 295.

(2) تحرير التحبير: 401.

(3) المصدر السابق: 402.

ونقّحها ثانياً. وكرّر التنقيح، وعاود التهذيب، ولا تخرجها عنك إلا بعد تدقيق النقد، وإنعام النظر، وقد كان الحطيئة يعمل القصيدة في شهرين، وينقحها في شهرين، اقتداءً بزهير فإنه كان راويته [1] وقوله هذا واضح لا يحتاج الى مزيد من الشرح لتوضيحه، ومما يبدو ان المتأخرين لم يجدوا في الشعر المصنوع عيباً يذكر، بل العكس فقد ذهب أغلبهم الى ضرورة تنقيح الشعر، وتهذيبه، يستقيم ويحسن، وقد جاء عن حازم القرطاجني (ت684 هـ) انه قال: " ان الطباع قد تداخلها من الإختلال والفساد أضعاف ما تداخل الألسنة من اللحن، فهي تستجيد الغثّ وتستغثّ الجيد من الكلام ما لم تقع بردّها الى اعتبار الكلام بالقوانين البلاغية، فيعلم بذلك ما يحسن وما لا يحسن [2] ثم يستطرد مضيفاً: " ان الطباع أحوج الى التقويم في تصحيح المعاني والعبارات عنها من الألسنة الى ذلك في تصحيح مجاري أواخر الكلم، إذ لم تكن العرب تستغني بصحة طباعها وجودة أفكارها عن تسديد طباعها وتقديمها باعتبار معاني الكلام بالقوانين المصححة لها، وجعلها ذلك علماً تتدارسه في أنديتها ويستدرك به بعضهم على بعض [3].

ويبدو لنا في كل ما عرضناه من اقوال النقاد انهم جعلوا (المتكلف) الذي يسمى احيانا (المصنوع) ضد (المطبوع)أي أن الشاعر المطبوع ليس بمتكلف وبالعكس وهذا يعني أن الطبع أصبح مصطلحا نقديا يقابل التكلف. فالكلام المطبوع هو الذي يجري على الالسن بحسب ما يوافق الطبيعة الانسانية والفطرة التي فطر عليها، وقد اشار الجاحظ الى هذه المسالة، فوصف المطبوعين من الشعراء بقوله:" هم الذين تاتيهم المعاني سهوا رهوا وتنثال الالفاظ عليهم انثيالاً" [4].

(1) المصدر السابق: 414.
(2) مناهج البلغاء: 26.
(3) المصدر السابق: 26.
(4) البيان والتبين: 13/2.

ويعّرفُ ابن قتيبة المطبوع بقوله: " المطبوع من الشعراء من سمحَ بالشعرِ واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيتهِ عَجُزه، وفي فاتحتهِ قافيتَه، وتبّينتَ على شعره رونقَ الطبع ووَشْيَ الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحَّرْ" [1]، فقد أضهر العلاقة بين الطبع والصدق الفني، وهي عنده علاقة طردية، فكلما كان الشاعر مطبوعاً كان أكثر صدقاً.

امّا الجاحظ فقد ربطَ الطبع بالارتجال، وهذا يتضح من قوله: " وكلّ شئ للعرب، فانمّا هو بديهة وارتجال، كأنه الهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو ان يصرف وهمه الى الكلام، أو الى رجز يوم الخصام، او حين يمتح على رأس بئر، أو يحدو ببعير، أو عند القارعة، أو عند صراع، او في حرب، فما هو الا أن يصرف وهمه الى جملة المذهب، أو الى العمود الذي اليه قصد، فتأتيه المعاني أرسالا وتنثال الالفاظ انثيالاً، ثم لايقيده على نفسه، ولا يدرسه واحداً من ولده. وكانوا أميين لايكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون وكان الكلا م الجيد عندهم أظهر وأ كثر وهم عليه اقدر [2]، وبهذا فالفن المطبوع عند الجاحظ هو الذي يرتبط أرتباطاً وثيقاً بالارتجال الشعري، كما جعل الارتجال والبديهة كلمتين مترادفتين، واللتين فرق ابن رشيق بينهما حين قال: " البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا ومن اهل عصرنا هي الارتجال، وليست به، لان البديهة فيها الفكرة والتأيد، والارتجال ما كان انهمارا وتدفقاً لا يتوقف فيه قائله [3]. واذا كان ابن رشيق يفرق بين البديهة والارتجال، فانه يربط بين الطبع والاصالة فالفن المطبوع أصيل، وهو الاصل عنده [4].

ولم تقف مسألة الطبع والتكلف عند هؤلاء النقاد، فكان لبعض المتأخرين منهم نصيب فيها، وابن خلدون (ت 808 هـ) ـ فيما يظهر ـ لم يستسغ خلافهم، فعبّر عن رأيه في الكلام المطبوع بقوله: " اعلم أنهم اذا

(1) الشعر والشعراء: 90/1.

(2) البيان والتبيين: 3/ 28.

(3) العمدة: 1/ 189.

(4) ينظر: المصدر السابق: 129/1.

قالوا (الكلام المطبوع) فإنهم يعنون بـه الكـلام الـذي كملـت طبيعتـه وسـجيته، مـن إفادة مدلوله المقصود منه، لانه عبارة وخطاب، وليس المقصود منـه النطـق فقـط، بـل المـتكلم يقصد أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة، ويـدل بـه دلالـة وثيقـة [1]. ويبـدو أن المطبـوع عنده يرتبط بقواعد معينة لايمكن ان يتجرد منهـا اذ يقـول: " ثـم يتبـع تراكيـب الكـلام في هـذه السّجِيّة التي له بالاصالة، ضروب من التحسين والتزيين، بعد كمال الإفادة وكأنها تعطيهـا رونـق الفصاحة من الأسجاع والموازنة بين جمل الكلام، وتقسيمه بالاقسـام المختلفـة الأحكـام، والتوريـة باللفظ المشترك من الخفي من معانيه، والمطابقـة بـين المتضـادات، ليقـع التجـانس بـين الالفـاظ والمعاني، فيحصل للكلام رونق ولـذة في الأسـماع، وحـلاوة وجـمال، كلهـا زائـدة عـلى الفائـدة"[2] فالشعر المطبوع على هذا له اصول تقترن بالفن والصناعة.

والحقيقة التي نرمي اليها: اذا كان الشعر مطبوعا إرتجاليا في بدايته، فلا يمكـن ان يكـون كذلك حينما اصبح فنّاً له اسسه وقواعده، ولا بد للشـاعر ان يـنقّح ويهـذّب عملـه، ويسـير وفـق القواعد الصحيحة للشعر، وهنا نصل الى جوهر الكلام، حيث لابد لكل شعر شئ من الطبع وقليل من الصقل والتهذيب فلا يغلب احدهما على الاخر فيصبح الشعر مطبوعا، او متكلّفـا فينـال منـه اصحاب الطبع او انصار التكلف ونحن نسلّم بصحة ما يقال عن اختلاف حظوظ شعراء من الطبع، واختلاف حالات الشاعر الواحد في ذلك بدليل قول الفرزدق: " أنا اشعر الناس عند الناس، وربمـا مرت عليّ ساعة ونزع ضرس، اهون عليّ من ان اقول بيتا واحداً [3] ولذا فلا بد من وجـود صـناعة لتهذيب الطباع باضافة ما حسن وحذف ما غث ورذل ليستقيم الكلام ويحسن.

---

(1) المقدمة: ابن خلدون : 545.

(2) المصدر السابق: 545.

(3) البيان والتبيين: 20/1.

المبحث الثاني

الظواهر البلاغية:

عني البلاغيون القدماء بتتبع الظواهر البلاغية عند الشعراء، ليجعلوا منها امثلة وشواهد تؤكد اقوالهم وتدعم آراءهم، وشعر الحطيئة احد تلك الاشعار التي عكفوا على دراستها باهتمام شديد وعناية كبيرة، للكشف عما فيها من مسائل بلاغية وفنية تستحق النظر والتمعن.

ولمتطلبات المبحث العلمي وضرورة العمل المنهجي، أرتأيت هنا ان اقسم تلك الفنون البلاغية على ثلاثه اقسام بحسب تقسيم المتأخرين لها [1]، من معانٍ وبيان وبديع، لأوضّح الاجناس البلاغية التي تناولها الحطيئة في كلّ علم من علوم البلاغة الثلاث.

وعلم المعاني الذي يُعنى بأساليب الكلام عند العرب، قد عرّفه السكاكي (ت 626 هـ) بقوله:" هو تتبع خواص تراكيب الكلام، في الإفادة، وما يتصل بها، من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" [2] ويضّم هذا العلم ضروبا متنوعة، ومن ضروبه التي ولجها الحطيئة: (الامر)، ـ وهو احد مباحث الانشاء [3] ـ ومعناها اصطلاحا: " قولٌ ينبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء [4]، ويمثل له ثعلب بقول الحطيئة [5]:

---

(1) يُعدّ السكاكي اول من وضع هذا التقسيم بهذا الشكل لاغراض تعليمية منهجية تعين الدارس على الفهم والحفظ. ينظر: مفتاح العلوم: السكاكي: 23ـ 57.

(2) مفتاح العلوم: 341.

(3) (الانشاء) لغة: الايجاز، واصطلاحاً: كلامٌ لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، وهو قسمان: (غير طلبي) ما لايستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، و (طلبي) وهو الذي يستدعي مطلوبا حاصلا في اعتقاد المتكلم وقت الطلب. ينظر: مفتاح العلوم: 523. الايضاح: الخطيب القزويني: 2/ 55 ـ 56.

(4) كتاب الطراز: يحيى بن حمزه العلوي: 3/ 281ـ 282.

(5) الديوان: 140. ينظر: قواعد الشعر: 36.

اقلُّــــوا علـــــيهم لا إبــــاً لابــــيكم   مــن اللّــوم أو ســدّوا المكــان الــذي ســدوا
اولئــك قــومٌ إن بنــوا احســنوا البُــنى   وإن عاهــدوا أوفــوا وإن عقــدوا شَــدّوا

فقد جاء الحطيئة بفعلي الامر (اقِلّوا) و (سُدُّوا) في بيته الاول وهو يمدح بني سعد، معرضاً بآل الزبرقان بن بدر قائلا لهم بصيغة الامر (كُفّوا عنهم) ـ أي عن بني سعد ـ اللوم في امري او كُفّوا من امري ما كَفَوا فقد ضيعتمُ انتم وسدوا هم، فهلا فعلتم مثل ما فعلوا.

ويذهب الحطيئة للمساواة [1] في بعض ابياته، والتي يطلق عليها ثعلب (المُعدّل من ابيات الشعر) وهو عنده" ما اعتدل شطراه، وتكافأت حاشيتاه، وتم بأيّهما وقف عليه، معناه " [2] ومن ذلك قول الحطيئة [3]:

مــن يفعــل المعــروف لا يعــدم جوازيــه   لا يــذهب العــرفُ بــين اللــه والنــاس

فكل شطر يقف عنده يتم المعنى فيه، فعجز البيت يؤكد صحة معنى صدره، ولا يتممه، لان كل واحد منهما قائم بذاته.

ويبدوا انه ميال للايجاز [4] في شعره وهو واحد من الشعراء الذين اجملوا بعض اماديحهم فكان ذلك" بابا من ابوابه حسنا ايضاً لبلوغه الارادة مع خلوه

(1) وحدّه البلاغيون بأنه: " تساوي اللفظ والمعنى بحيث لايزيد احدهما على الاخر " . ينظر: سر الفصاحة: 209، تحرير التحبير: 197، المثل السائر: ضياء الدين بن الاثير: 2 / 270، الطراز 322/3.
(2) قواعد الشعر: 71.
(3) الديوان: 284. ينظر: قواعد الشعر: 72.
(4) وعقد له ابن سنان بحثا وسماه (الاشارة) وقال عنه: " هو ان يكون المعنى زائدا على اللفظ، أي انه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الاشارة واللمحة" . سر الفصاحة: 199.

عن الاطالة وبعده عن الاكثار ودخوله في باب الاختصار" [1]. ومما اوجز فيه قوله: [2]

تــزور أمــرءً يعطــي عــلى الحمــد مالــه ومـــن يعـــطِ اثمـــان المكـــارم يحمـــدِ

يــرى البخــل لايبقــى عــلى المــرء مالــه ويعلـــم ان المـــال غـــيرُ مخلّـــدِ

كســـوب ومـــتلافٌ اذا مـــا ســـالته تهلّـــل واهتـــز اهتـــزاز المهنّـــدِ

متـــى تأتـــه تـــعشو الى ضـــوء نـــاره تجـــد خـــير نـــار عنـــدها خـــيرُ موقـــدِ

فهو يعطي صورة مكثفة موجزة لخلال الممدوح، ويرى قدامه بن جعفر انه قد " تصرف في الابيات الاولى في اصناف المديح المتقدم ذكرها واتى بجماع الوصف على سبيل الاختصار في البيت الاخير [3]، ولا بد من الاشارة هنا الى مخاله قدامة بـن جعفـر لـراي اسـتاذه ثعلـب، الـذي يجـد الحطيئة مبالغا في البيت الاخير [4]. ولا نتفق مع ثعلب في هذا، والقول هو مـا قالـه قدامـة بـن جعفر.

ومما اوجز فيه ايضا، قوله [5]:

الحمـــد للـــه اننـــي في جـــوار فـــتى حـــامي الحقيقـــة نفّـــاع وضـــرّارِ

لايرفـــع الطّـــرف الا عنـــد مكرمـــة مـــن الحيـــاء ولا يغفـــي عـــلى عـــارِ

وقـد علـق ابـن رشـيق عـلى هــذه الابيـات وغيرهـا بقولـه: " فهــذا شـعر لا يزيـد لفظــه عــلى معنــاه، ولا معنــاه عــلى لفظــه شــيئا [6]، واذا كــان الحطيئــة قــد ســاوى

(1) نقد الشعر: 74. (ط: انصار السنة المحمدية).

(2) الديوان: 161.

(3) نقد الشعر: 75. (ط انصار السنة المحمدية). وقد مر ذكر الابيات سابقاً، ينظر: رسالتنا

(4) ينظر: قواعد الشعر: 49.

(5) الديوان: 394.

(6) العمدة: 1/ 250.

واوجز في بعض ابياته، فانه قد اطنب في البعض الاخر. وللاطناب [1] اجناس متعددة، منها (التذييل):" الذي له موقع جليل ومكان شريف" [2] ويقصد به" اعادة الالفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه" [3] ومن تذييله قوله [4]:

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ومن يسوّي بأنف الناقة الذنبا

فهو يعلي شأن بني انف الناقة في الشطر الاول، وينفي بأسلوب الاستفهام ان يكون لهم منافس في الشرف والسيادة، في الشطر الثاني. وعلى هذا فقد" استوفى المعنى في النصف الاول، وذيل بالنصف الثاني" [5].

ومن تذييله ايضا، قوله [6]:

تزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط اثمان المحامد يحمد

وفي هذا يقول ابن ابي الاصبع" ان عجز البيت كله تذييل، خرج مخرج المثل في غاية الحسن، لان صدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده، وفيه مع اتصاله بالعجز تعطف حسن في قوله (يعطي) و(يعط)، وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة و ملاءمة شديدة، ورابطة وثيقة، مع ان العجز اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا، كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة

(1) وقد اهتم البلاغيون بهذا الاسلوب، وقد عرفه ابن الاثير بقوله: " هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة" . المثل السائر: 2/ 335.

(2) كتاب الصناعيين: 387.

(3) المصدر السابق: 387.

(4) الديوان: 128.

(5) كتاب الصناعيين: 388.

(6) الديوان: 161.

البيت والغرض المطلوب والتمثيل ايضا، وقل ان يوجد بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه" [1]. وقد احسن ابن ابي الاصبع في توضيحه للبيت، اذلم اجد احدا قبله قد فصل القول فيه كما فعل هو.

ومن فنون الاطناب الاخرى (التكرار) وهو: ان ياتي المتكلم بلفظ، ثم يعيده بعينه، سواء اكان اللفظ متفق المعنى ام مختلفا، او ياتي بمعنى ثم يعيده [2] ومنه قول الحطيئة [3]:

الا حبـــذا هنــــد وارض بهـــا هنــــد وهنــــد اتى مــــن دونهـــا النــــأي والبعــــد

فقد عمد الى تكرار اسم محبوبته، ويبدو ان اغلب النقاد لا يعتدون التكرار، لانه يذهب ـ على حد قولهم ـ بشطر من الفصاحة والبلاغة، الا ان ابن سنان الخفاجي ينقل لنا اجازة ابي العلاء بن سليمان لقول الحطيئة السابق حيث يقول:" انه قال: (من حبه لهذه المراة لم ير تكرير اسمها عيبا، ولانه يجد للتلفظ باسمها حلاوة)، فلم ير من الاعتذار للتكرار الا هذا العذر [4].

اما (علم البيان) فمدلوله عند الجاحظ: الكشف، والايضاح، والفهم، والافهام، وهويحتاج الى تمييز وسياسة، وتمام الآلة، واحكام الصنعة وسهولة المخرج، وجهارة المنطق وتكميل الحروف، واقامة الوزن [5]، وقد عرفه السكاكي بقوله:" هو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلاله عليه، وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطا في مطابقة

---

(1) تحرير التحبير: 389.

(2) ينظر: المثل السائر: 2/ 358

(3) الديوان: 140.

(4) سر الفصاحة: 93.

(5) ينظر: البيان والتبين: 1/ 76.

الكلام لتمام المراد منه" [1]، ومباحث هذا العلم كثيرة متنوعة، و(التشبه) احدها، الذي تناوله اللغويون [2] والبلاغيون باهتمام كبير، وهو صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة اوجهات كثيرة لامن جميع جهاته لانه لو ناسبه مناسبة كلية لكان اياه" [3] او" وهو مستدع طرفين (مشبها) و (مشبها له)، واشتراكا بينهما من وجه، وافتراقا من اخر" [4]، وقد ابدع الحطيئة في هذا الفن، فمما روي ان الرشيد سال الاصمعي ـ في احد مجالسه ـ قائلا:" اتعرف احسن من قول الحطيئة يصف لغام ناقته، او تعلم احدا قبله او بعده شبهه تشبيهه حيث يقول:

ترى بين لحييها اذا ما تزغمت لغاما كبيت العنكبوت الممدد

فقال الاصمعي: والله ما علمت احدا تقدمه الى هذا التشبيه، او اشار اليه بعده ولا قبله [5]، والحق انه كان دقيقا في تشبيهه الزبد ـ او اللعاب ـ الخارج من فم ناقته عند هياجها بنسيج العنكبوت حينما يمتد بخيوطه هنا وهناك، فاستطاع بذلك ان يخرج من صور التشبيه المالوفة الى غير المالوفة منها، وهذا ما دعا احد النقاد لوصف هذا التشبيه " بانه الخارج عن التعدي والتقصير [6]، فضلا عن وصفه بالتشبيه العقم لانه من التشبيهات التي" لم يسبق اصحابها

---

(1) مفتاح العلوم: 342.

(2) لعل المبرد من اقدم اللغوين الذين عرفوا التشبيه بقوله: " ان للتشبيه حدا، لان الاشياء تتشابه من وجوه، وتتباين من وجوه، وانما ينظر الى التشبيه من اين وقع " . الكامل: 520/3.

(3) العمدة: 1 / 286.

(4) مفتاح العلوم: 558.

(5) الديوان: 155، فحولة الشعراء: 63.

(6) قواعد الشعر: 40.

اليها، ولا تعدّى احد بعدهم عليها، واشتقاقها فيما ذكر من (الريح العقيم)، وهي التي لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة" [1].

ومن مباحث البيان (الاستعارة)، ولعل الجاحظ اول من عرفها حين قال: (الاستعارة): تسمية الشئ باسم غيره اذا قام مقامه [2]، واتسع السكاكي في تعريفها فقال: " هي ان تذكر احد طرفي المشبه وتريد به الطرف الاخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به [3]. ولشعر الحطيئة حظ وافر منها، من ذلك قوله: [4]

قد ناضلوك فأبدوا من كنائنهم مجداً تليداً ونبلا غير أنكاسِ

ويعني انهم فاخروه، فرجعوا عليه بآبائهم وأجدادهم، لأنهم أصحاب مجد قديم، لم يُعرف عنهم قط تقصير أو ضعف أو دناءة، وفي هذا يجد ابن ابي عون (ت 322 هـ)" استعارة غريبة [5]

ويبدو أن الحطيئة قد أخفق في بعض استعاراته، وأجاد في البعض الآخر، ومما أُخذ عليه استعارته في قوله: [6]

قروا جارك العيمان لما جفوته وقلص عن برد الشراب مشافرة

أي أكرموه فسقوه اللبن بعدما كره الماء الذي قلص شفتيه لشدة برودته في الشتاء. وقد وصف الآمدي (ت 370 هـ) هذه الاستعارة بالقبح [7]، كما عدها الحاتمي من الاستعارات المستهجنة، لانه استعار لما يعقل اسماء والفاظ مالا يعقل،

(1) العمدة: 153/1.
(2) البيان والتبين: 153/1.
(3) مفتاح العلوم: 599.
(4) الديوان: 284.
(5) التشبيهات: ابن أبي عون: 1.
(6) الديوان: 184. قروا: سقوا: العيمان: المشتهي للبن. جفوته: تركه.
(7) ينظر: الموازنة: أبو القاسم الآمدي: 46/1..

لانه جعل للرجل مشفرا في موضع الشفة [1]. اما ابو هلال العسكري فقد جعلها احدى امثلته على سوء الاستعارة، عارضا لها بقوله: " وليس لحسن الاستعارة وسوء الاستعارة مثلا يعتمد، وانما يعتبر ذلك بما تقبله النفس او ترده، وتعلق به او تنبو عنه [2]، فمما تنبو عنه قول الحطيئة السابق الذي يورده معلقا عليه بقول: " واذا اريد بذلك الذم والهجاء كان اقرب للصواب [3] وبرغم كل هذا فقد اعجب العسكري ببعض استعارات الحطيئة التي وجد فيها استعارات جميلة، فاودعها كتابه مثنيا عليها، من ذلك قوله[4]:

الا مــن لقلــب عــارم النظــرات   يقطــع طــول اللــيل بالزفــرات

وقوله: [5]

ومـا خلـت سـلمى قبلهـا ذات رحلـة   اذا قســوري الليــل جيبــت سرابلــه

وقوله: [6]

ولــوا واعطــونا الــذي سئلــوا   مــن بعــد مــوت ساقــط ازره

انــا لنكســوهم وان كرمــوا   ضربــا يطــير خلالــه شــرره

ويجد العسكري استعارة بعيدة تحد في كل بيت من الابيات السابقة [7].

---

(1) ينظر: الرسالة الموضحة: 71 ـ 72.

(2) كتاب اصناعيين: 309.

(3) المصدر السابق: 310. ويروي فيه صدر البيت * سقوا جارك العيمان لما جفونه *

(4) الديوان: 332. ينظر: كتاب الصناعتين: 293.

(5) نقلا عن كتاب الصناعتين: 295. اذ لم اجد البيت في الديوان.

(6) نقلا عن كتاب الصناعتين: 295. اذ لم اجد البيت في الديوان.

(7) ينظر: المصدر السابق: 296.

ومن البيان ايضا (الكناية)، وهي" ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيئ الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به اليه، ويجعله دليلا عليه [1]، ومنها قوله[2]:

فلما رأيت الهون والعير ممسك على رغمه ما اثبت الحبل حافره

فحينما راى الحطيئة من آل الزبرقان الهوان تولى عنهم، لانه لايقبل ان يكون كالحمار الذي ربط على الذل بغير علف. ويعده الحاتمي في باب الكناية، حيث جعل" الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا في اللفظ [3].

ومن كنايته ايضا قوله يهجو امه [4]:

تنحي فاقعدي مني بعيدا اراح الله منك العالمينا

اغربالا اذا استودعت سرا وكانون على المتحدثينا

حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر الصالحينا

فقد اراد بالكانون الكناية عن الثقيل[5]، ومما يذكره ابو العباس الجرجاني (ت 482هـ) عن" الأصمعي، ان (الكانون) هو الذي دخل على قوم وهم في حديث كنوا عنه، وعن ابي عبيدة، انه قال: هو (فاعول) من (كنيت الشئ) أي اخفيته وسترته، ومعناه ان القوم يكنون عنه حديثهم [6].

(1) دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني: 52.
(2) الديوان: 183.
(3) حلية المحاضرة: 13/2.
(4) الديوان: 277.
(5) ينظر: المنتخب من كنايات الادباء: 142.
(6) المصدر السابق: 142.

و(التتبيع)، او كما يسميه البعض (التجاوز) احد اقسام الكناية" وهو ان يريد الشاعر ذكر الشئ فيتجاوزه، ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه [1]. ويمثل له ابن رشيق بقول الحطيئة : [2]

لعمـــرك مـــا قـــراد بنـــي كليـــب اذا نـــــزع القـــــراد بمســــــتطاع

ويضيف معلقا" ان الفحل اذا منع الخطام، نزعوا من قرادته شيئا فلذ ذلك وسكن اليه، ولان لصاحبه حتى يلقى الخطام في رأسه، فزعم الحطيئة ان هؤلاء لايخدعون عن عزهم وإبائهم فيقدر عليهم [3].

اما (علم البديع) فهو ثالث علوم البلاغة، ويعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال [4]، ويضم هذا العلم بابين احدهما في المحسنات المعنوية [5] والاخر في المحسنات اللفظية [6]. ومن المحسنات المعنوية في شعر الحطيئة (الطباق)، وهو" الجمع بين الضدين" [7]. ويذكر ابو هلال العسكري ان المطابقة ـ باجماع الناس ـ هي" الجمع بين الشيء وضده ... مثل الجمع بين السواد والبياض، والليل والنهار، والحر والبرد، وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة ايراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى [8]. ومما

---

(1) العمدة: 1/ 313.

(2) الديوان: 62: [ينظر: العمدة: 1 / 320] أي ان جارهم لايستذل، وهذا مثل ضربه واصله ان البعير يقرد وهو ان يمسح ويرفق به، وينزع صاحبه القراد حتى يذل، فيلقى في راسه الخطا.

(3) العمدة: 1 / 320.

(4) ينظر: مفتاح العلوم: 660.

(5) ينظر: مفتاح العلوم: 0 66.

(6) ينظر: المصدر السابق: 668.

(7) كتاب البديع: عبد اللـه بن المعتز: 36.

(8) كتاب الصناعتين: 316. ينظر: نقد الشعراء: 162. (ط. دار الكتب العلمية).

يجده صاحب الصناعتين ان هناك جماعة من المتقدمين قد طابقوا بالشيء وضده على وجه التقريب وذلك كقول الحطيئة [1]:

وأخـــذت اطـــرار الكـــلام فلـــم تـــدع شتـــــــما يضر ولا مـــــــديحا ينفـــــــع

" والهجاء ضد المدح، فذكر الشتم على وجه التقريب [2].

ومن (المطابقة) ايضا" ان يتقارب (التضاد) دون تصريحه، كقول الحطيئة:

صـــــفوف ومـــــاذي الحديـــــد علـــيهم وبـــــيض كـــــأولاد النعـــــام كثيـــــف

فقد جعل بيض النعام اولادها [3]، وذلك حينما شبه بيض الحديد ببيض النعام، ويضيف العسكري ـ الى ما ذكر انفا ـ طباقة في قوله: [4]

تـــزور امـــرأ يـــؤتي عـــلى الحمـــد مالـــه ومـــن يعـــط اثمـــان المحامـــد يحمـــد

ويعد البديعيون (المبالغة) من المحسنات المعنوية، وهي" ان تثبت [5] للشئ وصفا من الاوصاف تقصد فيه الزيادة على غيره، إما على جهة الامكان او التعذر، أو الاستحالة" ومن ذلك ما وجده قدامة في افراط الحطيئة في ذكر نقيصة وحدة، اذ يقول: [6]

(1) الديوان: 210. ينظر: كتاب الصناعتين: 325.

(2) كتاب لصناعتين: 325.

(3) الديوان: 256. وينظر: المصدر السابق: 115 ـ 116.

(4) الديوان: 161. وينظر كتاب الصناعتين: 131.

(5) كتاب الطراز.

(6) الديوان: ينظر: نقد الشعر97.(ط: انصار السنة المحمدية).كدحت:اجتهدت.فافرخ:هدأ وسكن.

كـــدحت بأظفـــاري وأعملـــت معـــولي   فصـــادفت جلمـــودا مـــن الصـــخر أملســـا
تشـــاغل لمـــا جئـــت في وجـــه حـــاجتي   وأطـــرق حتـــى قلـــت قـــد مـــات او عسى
وأجمعـــــت أن أنعـــــاه حـــــين رأيتـــــه   يفـــوق فـــواق المـــوت حتـــى تنفســـا
فقلـــت لـــه: لا بـــأس لســـت بعائـــد   فـــافرخ تعلـــوه السماديـــر ملبســـاً

زيادة على هذا فقدامة بن جعفر يجده مغرقا ايضا في وصف فضيلة واحدة حين يرثي علقمة بن علاثة [1]، بقوله: [2]

فـــما كـــان بينـــي لـــو لقيتـــك ســـالما   وبـــــين الغنـــــى الا ليـــــال قلائـــــل
ولـــو عشـــت لم املـــل حيـــاتي فـــان تمـــت   فـــما في حيـــاة بعـــد موتـــك طائـــل

ولم يكتف الحطيئة بتزيين شعره بمحسنات معنوية، فعمد للمحسنات اللفظية [3] ايضا، من ذلك استخدامه (الجناس)، وهو ان يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وبعبارة العلوي (ت749 هـ):" اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معناهما" [4].

وللجناس ضروب عدة [5] والمهم عندنا ما التفت اليه النقاد من (جناس) في شعر الحطيئة، فقد استشهد ابو هلال العسكري في (باب الجناس) بقول الحطيئة: [6]

---

(1) ينظر: نقد الشعر: 107 (ط: انصار السنة المحمدية).

(2) الديوان: 24.

(3) ينظر: المثل السائر: 1/ 342.

(4) كتاب الطراز: 2/ 351.

(5) ولقد تبارى بعض البلاغيين في تلمس انواع الجناس، وانتهوا في ذلك الى الغاية القصوى في التقسيم والتفريع، بيد ان اقرب التقسيمات الى حقيقة الموضوع هو ان (الجناس) ضربان رئيسان: (تام) وهو ان تتفق الالفاظ في اربعة امور، هي: انواع الحروف، واعدادها، وهيئاتها، وترتيبها. و(غير تام) وهو ان يختلف اللفظان في امر واحد من الامور الاربعة التي سبق ذكرها. ينظر: مفتاح العلوم: 668.

(6) الديوان: 140. ينظر: كتاب الصناعتين: 342

وان كانت الـنعماء فـيهم جـزوا بهـا   وان انعمـــوا الا كـــدروها ولا كـــدوا

فقد جانس بين (كدروها) و (كدوا) كما جانس بين (الـنعماء) و (انعمـوا) جناسـا غير تام. ومن جناسه ايضا، قوله: [1]

مطـاعين في الهيجـا مطـاعيم مـن الـدجى   بـــنى لهـــم ابـــاؤهم وبـــنى الجـــد

ويشير شهاب الدين الحلبي (ت 725هـ) الى (الجناس) الحاصل في قولـه (مطـاعين) و(مطاعيم) اذ هو جناس بين كلمتين لا تفاوت بينهما الا بحرف واحد[2].

ومن (البديع) ايضا (رد اعجاز الكلام على ما تقدمها)، وعند البلاغيين" اذا قدمت الفاظا تقتضي جوابا، فالمرضي ان تاتي بتلك الالفاظ في الجواب، ولاتنتقل عنها الى غيرها مما هو في معناها [3]، ويقسمه البديعيون على ثلاثة اقسـام [4] مستشـهدين لكـل قسـم مـن المنظـوم والمنثـور ومـما استشهدوا به قول الحطيئة: [5]:

اذا نـــزل الشـــتاء بـــدار قـــوم   تجنـــب جـــار بيتـــهم الشتـــاء

(1) الديوان: 140.

(2) ويسميه (المطرف) وهو عنده: ان تجمع بين كلمتين متجانستين لا تفاوت بينهما الا بحرف واحد من الحروف المتقاربة، سواء وقع اخرا او حشواً. ينظر: حسن التوسل و صناعة الترسل: شهاب الدين الحلبي: 193.

(3) كتاب الصناعيتين: 400.

(4) الاول: ان يرافق اخر كلمة في البيت اخر كلمة في نصفه الاول. والثاني: ان يوافق اول كلمة منه اخر كلمـة في نصـفه الاخـير. والثالث : ما يكون في حشو الكلام ثم في فاصلته. ينظر: كتاب الصناعتين: 401.

(5) الديوان: 102. الشتاء : السنة المجدبه.

فهم يواسون من جاورهم، فيتجنبه الضيق وسوء الحال والمعيشة. وقد وافق الحطيئة لفظا ومعنى بين كلمتين (الشتاء) في صدر البيت وعجزه. [1]

ومنه ايضا قوله : [2]

تـــدرون ان شـــد العصـــاب علـــيكم ونـــأبى اذا شـــد العصـــاب فـــلا نـــدر

فعطاؤهم على الهوان، كعطاء الناقة التي لاتدر اللبن، حتى يعصب فخداها بحبل عصبا شديدا، وقد جعل ابن المعتز (ت 296 هـ) وابو هلال العسكري هذا البيت احد امثلتهما في رد العجز على الصدر [3].

والجدير بالذكر ان البلاغيين لم يدرسوا الاجناس البلاغية الا من خلال دراسة الالفاظ والمعاني، فمن التهذيب عندهم ان يخلص المعنى قبل السبك للفظ، وان يجعل المعنى الشريف في اللفظ الظريف[4].فالعرب انما كانت تفاضل بين الشعر لشرف المعنى وجزالة اللفظ [5].

لذا عني البلاغيون بدراسة الالفاظ والمعاني للوصول الى سر الاجادة في النص الادبي، وكان السؤال الذي يدور في اذهانهم، هل الفضل في الاجادة الفنية لأي نص عائد الى المعاني أم الى الالفاظ؟ وكان راي الجاحظ " ان المعاني مطروحة في الطريق يعرفها، العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وانما الشأن في اقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك فانما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير [6]، ولقد توهم كثير من الباحثين في فهم رأي الجاحظ فظنوه من انصار الالفاظ، وذلك لقوله:" المعاني مطروحة في الطريق ..." في حين يبدو لي انه لم يفصل بين الالفاظ والمعاني، لان النص الجيد عنده، هو ما كانت معانيه جيدة، وأسلوبه مؤثرا، واذا ما انفرد النص بأحدهما أصابه الخلل. وقد أطال القدماء ـ ممن

(1) ينظر: كاب الصاعتين: 402.
(2) الديوان: 305.
(3) ينظر: كتاب البديع: 49، كتاب الصناعتين: 402.
(4) ينظر: البديع في نقد الشعر: 592.
(5) ينظر: رسائل البلغاء: 434.
(6) الحيوان: 131/3ـ 132.

جاءوا بعد الجاحظ ـ الحديث في هذه المسالة، ولسنا هنا بصدد عرض ارأئهم في هذا الشأن، وإنما فيما ذهبوا اليه من حديث عن الفاظ الحطيئة ومعانيه.

ويذكر ابن طباطبا (ت 322 هـ) في تمثيله للأبيات التي قصر فيها أصحابها عن الغايات التي اجروا اليها ولم يسدوا الخلل فيها معنى ولفظا، قول الحطيئة [1]:

ومـــــن يطلـــــب مســـــاعي آل لأي   تصـــــعده الامـــــور الى علاهــــــا

ثم يقول:" كان ينبغي ان يقول: من يطلب مساعيهم عجز عنها،وقصر عن بلوغها، فأما اذا تساوى بهم غيرهم فأي فضل لهم [2] وقد وافق المرزباني [3] (ت 384 هـ) وابو هلال العسكري، ابن الطباطبا في قوله، وإن كان ابو هلال قد اضاف الى تلك الموافقة قوله: " فإن قيل: انه اراد به انه يلقى صعوبة كما يلقى الصاعد من اسفل الى علو، فالعيب ايضا لازم له، لانه لم يعبر عنه تعبيرا مبينا [4].

ويجد ابن الطباطبا اضطراب المعنى في قوله [5]:

صـــفوف ومـــاذي الحديـــد عليهـــم   بـــيض كـــأولاد النعـــام كثيـــف

حيث شبه البيض بأولاد النعام، والحق انه اراد بيض النعام فلم يمكنه [6].

ويرى بعضهم انه لم يحسن استخدام الالفاظ حين قال: [7]

---

(1) الديوان: 117. وينظر: عيار الشعر: ابن طباطبا: 136.

(2) عيار الشعر: ابن الطباطبا: 136.

(3) ينظر: الموشح: المرزباني: 136.

(4) الصناعتين: 100.

(5) الديوان: 256.

(6) ينظر: عيار الشعر: 137، الموشح: 137.

(7) الديوان: 377.

حـــرج، يــــلاوذ بالكنـــاس كأنـــه حـــرج، يـــلاوذ بالكنـــاس كأنـــه
حتـــى اذا مـــا الصـــبح شـــق عمـــوده وعـــــلاه اســـــطع لا يــــرد منــــير
اوفى عـــــلى عقـــد الكثيـــب كأنـــه وســـط القـــداح معقـــب مشـــهور
وحصى الكثيــــب بصـــــفحتيه كأنـــه صـــدأ الحديـــد اطارهـــــن الكيــــر

فعقبوا عليه متسائلين: من اين صار الحصى بصفحتيه، اذا كـان يـزعم انـه لم يـزل يطـوف حتى اصبح واشرف على الكثيب؟ [1].

والنقاد وان عابوا عليه بعض قوله [2] فقد اعجبوا بشعره، ومن ذلك قوله [3]:

وذاك فتــــى ان تأتــــهِ في صنيعـــــه الى مالــــــه لا تأتـــــه بشفيـــــع

فقد وصفت الفاضله هذه بأنها" مـن الفـاظ العـرب البينـة، الفخمـة، القريبـة، المفهمـة [4].وكذلك قوله [5]:

هـــــم القـــوم الـــذين اذا الـــمت مــــن الايـــام مُظلمـــة اضـــــاءوا

ففيه، فضلا عن الجودة، من الرونق ما ليس في سواه مما يشابهه في صحة المعنى وصواب اللفظ [6].

---

(1) ينظر: عيار الشعر: 139، الموشح: 139، الصناعتين: 101.
(2) ولم يعب النقاد ابيات اخرى غير التي اوردناها.
(3) الديوان: 73.
(4) حلية المحاضرة: 2/ 340.
(5) الديوان: 102.
(6) ينظر: كتاب الصناعتين: 177.

ونخلص من كل ما عرضنا له ان تلك الابيات القليلة التي وجد فيها النقاد عيبا كان ينبغي للحطيأة تجنبه، لا تدل على ضعف شاعريته، لانها فيما يبدو سقطات خانه فيها التعبير، وعندها نفرت منه الالفاظ. فلو كان ممن يتعمدون الاغراب لعاب عليه النقاد ابياتاً اخر، ولما اتصف شعره بالانسجام الاسلوبي البديع، الذي يكشف عن مهارته في النظم الشعري. وبعد فالحطيئة شاعر من شعراء العربية خلّده تاريخ الادب، لا على انه الشاعر الاوحد، أو أنه المنزّه عن كل نقص، ولكن على أنه أحد فحول الشعراءالذين لهم جانب كبير من قوة الفن وعلو الشان.

المبحث الثالث

السرقات الشعرية:

ان فكرة السرقات في الشعر العربي قديمة ومعروفة لدى نقادنا القدماء [1] وقد اتسع نطاقها في العصر العباسي، فأُلفت كتب خاصة فيها، كالرسالة الموضحة للحاتمي، والمنصف للسارق والمسروق لابن وكيع (ت 393 هـ)، والابانة عن سرقات المتنبي للعميدي (ت 433 هـ)، وغيرها.

والسرقة لغة: " اخذ مال معتبر من حرز اجنبي لا شبهة فيه خفية ....[2] واما السرقة في الاشعار هي ان يسبق بعض الشعراء الى تقرير معنى من المعاني واستنباطه ثم يأتي بعد شاعرٌ اخر يأخذ ذلك المعنى ويكسوه عبارة اخرى [3].

وقد شكلت السرقة الشعرية مشكلة في النقد العربي بتداخلها في معظم موضوعاته وقضاياه مما ادى الى احتدام الجدل بين النقاد، وانشغالهم مدة طويلة من الزمن بدراستها باذلين جهودا مضنية في ذلك [4]، وقد انحصرت دراستهم في احصاء معاني الشعراء، ليستنبطوا من خلالها نظرية ابتداع المعاني، وتداول المعنى الواحد بين الاجيال المختلفة من الشعراء، ليصلوا الى نتيجة اخذوا يدورون حولها كثيرا وهي التفرقة بين السرقة والابتداع الفني او السرقة المذمومة والسرقة الممدوحة، على اساس ان السرقة المذمومة هي نقل المعنى او اللفظ دون

---

(1) ينظر: فحولة الشعراء: 19، طبقات فحول الشعراء: 54/1، 55، 2/ 55، 733، البيان والتبيين: ا/407، الحيوان: 311/3، 429/6، الشعر والشعراء: 73/1، 134،144ــ 148، 563/2، 581،582،597، 626، 689، الموازنة: 6/1، 58 ـ 137، 311 ـ 371، الوساطة: 183 ـ412.

(2) لسان العرب 21/12. (مادة سرق).

(3) كتاب الطراز: 3 / 188.

(4) ينظر: الموازنة 1/ 58،الوساطة: 183 ـ 412، العمدة: 2/ 280 ـ294، اسرار البلاغة: 313 ـ 317، المثل السائر: 3/ 218 ـ 292.

تحوير فني [1]، اما السرقة المدوخة فهي نقل المعنى او اللفظ مع شيء من التحوير الفني [2]، ولذا عدها بعضهم نوعا من الابتداع الفني [3].

واذا كانت السرقات كما يقول الآمدي: " باب ما يعرى منه احد من الشعراء الا القليل [4]، او كما يقول القاضي الجرجاني" داء قديم وعيب عتيق" [5]، او" باب متسع جدا لا يقدر احد من الشعراء ان يدعي اسلامة فيه [6] كما يقول ابن الرشيق،

فان الحطيئة واحد من الشعراء الذين اتهموا بالسرقة الشعرية والآخذ من السابقين والمعاصرين له. وقد تحدث بعضهم عن سرقاته معلقين عليها بمدح او بذم في حين اكتفى البعض الاخر بالاشارة اليها دون أي تعليق يذكر بشانها، وسناتي لعرض ذلك.

لقد ابتكر النقاد مصطلحات عديدة للسرقة الشعرية [7] وتداولوها في كتبهم، منها الشبه الذي يعني المماثلة [8].

والجاحظ احد القائلين بالشبه، فقد ذكر ان قول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

شبيه بقول بشر بن ابي خازم:

تدارك لحمي بعد ما حلقت به ... مع السر فتخاء الجناح قبوض

فان تجعل النعماء منك تمامه ... ونعماك نعمى لا تزال تفيض

---

(1) ينظر: الوساطة: 188، الصناعتين: 235.

(2) ينظر: الوساطة: 183، الصناعتين، 202.

(3) ينظر: الوساطة: 188 ـ208.

(4) الموازنة: 138/1.

(5) الوساطة: 214.

(6) العمدة 2 / 280.

(7) ومنها: السرقة، الاخذ، الاحتذاء، النقل، السلخ، النسخ .... ينظر: مصطلحات السرقة في التراث النقدي (رسالة ماجستير): سندس محسن العبودي: 326 ـ 328.

(8) ينظر: لسان العرب: 17/ 397. (مادة شبه).

تكـــن لـــك مـــن قـــومي يـــد يشـــكرونها وايـــدي النـــدى في الصـــالحين قـــروض[1]

بيد انه لم يعلق على هذه السرقة او يحدد الشبه بينهما. والشبه الذي نجده يكمن في الأسلوب الذي أعتمد عليه الشاعران بنظمهما، وإن كان الحطيئة قد أبدع وتفوق على ابن ابي خازم، لجميل لفظه، وحسن صياغته، وايجازه، ومما يذكر ان احد المحدثين حاول مجاراة بيت الحطيئة ـ في مضاه ـ فقال [2]:

* ما ضاع عُرف وإن أوليته حجرا *

والذي يبدو هنا انه وإن كان محسناً في قوله إلا أنه لم يرق بقوله الى قول الحطيئة الذي يبدو هنا انه وان كان محسنا الا انه لم يرقَ بقوله الى قول الحطيئة الذي وصف قوله بانه" اصدق بيت قالته العرب واحكمه [3]. ومما ذكره ابن عبد ربه عن قول الحطيئة

* من يفعل الخير لا يعدم جوازيه *

انه قد" اخذه من بعض الكتب القديمة، يقول اللـه تعالى فيما انزل على داود عليه السلام: من يفعل الخير يجده عندي، لا يذهب العرف بيني وبين عبدي [4] مما يعني ان الحطيئة جعل المنثور شعرا منظوما، وهو ما يعده ابن طباطبا من السرقة الحسنة لانه تناول المعنى اللطيف في المنثور وجعله شعرا وهو اخفى وسائل السرقة عند ابن طباطبا واحسنها، ويستشهد لذلك باجابة العتابي [5] حين سئل: " بماذا قدرت على البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام، فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول" [6].

(1) ينظر: الحيوان: 6/ 343.
(2) ينظر: ديوان المعاني: 1/ 118.
(3) المصدر السابق: 1/ 118.
(4) العقد الفريد: 1/ 227. وقد مر ذكر البيت سابقا، ينظر رسالتنا
(5) ويقصد به الشاعر والكاتب كلثوم بن عمرو التغلبي.
(6) عيار الشعر : 114.

والأخذ أحد مصطلحات السرقة وأقدمها تناولا، واكثرها استعمالا، وقد اشار اليه عدد من النقاد الاوائل [1] ومنهم ابن رشيق الذي كان يرى" ان الكلام من الكلام ماخوذ وبه متعلق، والحذق في الاخذ على ضروب [2].

وقد سبقه ابن قتيبة في الاشارة للاخذ حين قال ان بيت الحطيئة:

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

قد اخذه من قول ابي داود الايادي:

ترى جارنا امنا وسطنا يروح بعقد وثيق السبب

اذا ما عقدنا له ذمة شددنا العناج وعقد الكرب.[3]

يريد الحطيئة انهم اذا عقدوا عقدا لجارهم احكموه واوثقوه كاحكام الدلو بالحبل وهو شبيه بمعنى ابي داود ـ البيت الثاني ـ فضلا عن اشتراكهما ببعض الالفاظ، وكلاهما مجيد بقوله، خصوصا في رسم الصورة الشعرية المستمدة من البيئة العربية.

ويجد الجرجاني وهو بصدد دفاعه عن اتهام المحدثين بسرقة المعاني، ان القدماء إستغرقوا المعاني، وان المتقدم لم يترك للمتاخر شيئا [4]، وقد وجد ان السرقة لا تكون الا في المعاني الخاصة، التي انفرد بها اصحابها ونسبت اليهم

---

(1) ينظر: البيان والتبيين: 1/ 37، الشعر والشعراء: 1/ 113، 129 ـ 132، حلية المحاضرة: 1/ 307، 444، 2/ 231، 237، المنصف للسارق والمسروق: ابن وكيع: 1/ 9 ـ 40، ديوان المعاني 22/1، 40، 118، الابانة عن سرقات المتنبي: ابو سعد العميدي: 1 / 23، 25.

(2) قراضة الذهب: ابن رشيق القيرواني: 54.

(3) ينظر: الشعر والشعراء: 1/ 240.

(4) ينظر: الوساطة: 214 ـ 215.

وحدهم. اما المعاني العامة، التي مبعثها غالبا وحدة الفكرة او الشعور الانساني، فلا سرقة في تداول الشعراء لها [1].

ويذهب القاضي الجرجاني للقول في السرقة الممدوحة" إنه لاتعد المعنى مأخوذا حتى يجئ مجئ قول النابغة:

وما كان دون الخير لو جاء سالما أبو حجر الا ليال قلائل[2]

وقول الحطيئة:

ويرى الجرجاني ـ وإن لم يعلق بشئ على الابيات ـ أن هذا الأخذ ينطوي تحت باب السرقة الممدوحة، وإن كان مكشوفا لا يخفى، والأرجح أنه راجع عنده لشيوع تلك الالفاظ والمعاني في عصرهما كما أن معانيهما عامة مشتركة، مبعثها وحدة الشعور والفكر، و الحطيئة وإن كان آخذا من بيت النابغة إلا انه لم يقصر في قوله ولم يستطع احد بعده ان يتقدمه او يلحق به، فقد روى الحاتمي أنّ أحد المحدثين [3] الفصحاء حاول تأول بيت الحطيئة ـ المذكور اعلاه ـ فأطال كل الاطالة، ثم لم يستطعه، ولم يدركه الى ان ضمن ابياته، البيت بعينه فقال: [4]

فما كل ما يخشى الفتى بمصيبة وما كل ما يرجو الفتى هو نائل
وقد قال في هذا الحطيئة قبلنا وصرفت الامثال فيه الاوائل
وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى إلا ليال قلائل

(1) ينظر: الموازنة: 1 / 123. الوساطة: 185.
(2) الوساطة: 195 ـ196.
(3) وهو ابو دهمان الغلابي.
(4) ينظر: حلية المحاضرة: 75/2.

وقد احسن الحاتمي حين قال: " فيا سبحان اللـه ما اشد تفاوت ما بين القـرائح وابعـد مـا بين الطلب والمطلوب [1]

والحاتمي لا يجد من الشعراء من تعرى من الاتباع والأحتـذاء بالمتقـدمين مـن الشـعراء ولا يجد في ذلك عيبا" إلأ انه لا يحمد من الكلام ما كان غابا، ولا من المعاني ما كان مكررا مـرددا، فـلا يسمح للشاعر بأن يكون جمهور شعره عند التصفح مسترقا ملصقا، ومجموعـا ملفقـا، ولا ان يكـثر الاعتماد في شعره ويتناصر السرق في كلامه ومن سبيل المحتذي أن يأخذ المعنـى دون اللفـظ. ثـم ان يطويه ان كان مكشوفا ويكشفه إن كان مستورا ويحسن العبارة عنه، ويختار الوزن العذب له، حتى يكون بالاسماع عبقـا وبـالقلوب علقـا [2]. فالحـاتمي ينصـح الشـاعر بالابتعـاد عـن الغمـوض والاطالة في الكلام على ان هذا لا يعني ان يجعل من الشـعر صـناعة تـدفع بالشـاعر الى التكلـف، كما يعطي الشاعر الحق في الاتباع والأخذ على ان لاتختفي شخصية المحتذى بل ان يظهر الشـاعر قدرته وحسن استعماله تلك المعاني والالفاظ بشكل جديد يعكس قابلياته والفـروق الفرديـة التـي تميز بها ممن سواه مما يعطي نصه خصوصية واضحة متميزة، ويستشـهد الحـاتمي لـذلك" بقـول الاعشى:

وذرنـــا وقومـــا إن هـــم عمـــدوا لنـــا   أبـــا ثابـــت واقعـــد فإنـــك طاعـــم

فأخذه الحطيئة، فاحسن العبارة عنه، واستوفى المعنى فيه، فصار أحق به من المخترع لـه، بقوله:

دع المكـــــارم لاترحـــــل لبغيتهـــــا   واقعـــد فأنـــك انـــت الطـــاعم الكـــاسي [3]

---

(1) المصدر السابق: 2 / 75.

(2) الرسالة الموضحة: 151 ـ 152.

(3) المصدر السابق: 152.

فسرقة الحطيئة هذه تقع تحت مصطلح الاستحقاق، الذي يعرفه حازم القرطاجي بقوله:" ان فضلت فيه عبارة المتاخر عبارة المتقدم، فذلك الاستحقاق، لانه استحق نسبة المعنى إليه باجادته نظم العبارة عنه" [1] وعلى هذا فالأعشى وإن كان له فضل السبق الى المعنى وابتكاره، إلا أن الحطيئة بحسن أخذه، وبراعة صياغته، التي أجاد وابدع فيها، صار أحق بالمعنى من المخترع له. ويقدم الحاتمي في حليته مجموعة من ابيات الحطيئة التي أخذها من غيره، والتي سنعرض لها بدون استثناء أي بيت.

فمما يراه الحاتمي في قول أبي الطمحان القيني:

واني من القوم الذين هم هم   اذا مات منهم سيد قام صاحبه

نجوم سماء كلما انقض كوكب   بدا كوكب تأوي اليه كواكبه.

إن ابا الطمحان اول من اخترع هذا المعنى، الذي تناوله الحطيئة فتقدم به الحطيئة وأحسن، اذ قال:

نمشي على ضوء احساب أضاءت لنا   كما أضاءت نجوم الليل للساري.[2]

كما ان الحطيئة" اورد المعنى في عبارة اخرى ووفق فيها، فقال:

هم القوم الذين إذا ألمت   من الأيام مظلمة اضاءوا

فلو ان السماء دنت لمجد   ومكرمة،دنت لهم السماء

---

(1) مناهج البلغاء: 193

(2) ينظر: حلية المحاضرة: 1 / 400.

هـــم حلـــوا مــــن الشـــــر في المعـــلى   ومـــن كـــرم العشـــيرة حيـــث شـــاءوا [1]

و الحطيئة وإن كان محتذيا بأبي الطمحان الذي له فضل السبق للمعنى، إلا انـه قـد وفـق في تناول المعنى وعرضه، واحسن فيه كل الاحسان، وتقدم به عـلى مخترعـه فألفاظـه اسـهل عـلى اللسان، وأخف وقعا على الاذن، وأشد علقا بالنفس من ابيات ابي الطمحان.

ويرى ابو اسحاق القيرواني (ت 453 هـ) ـ صاحب زهر الادب ـ أن الحطيئة استمد ابياتـه السابقة من ابي السمط بن ابي حفصة، ولكنه لم يقدم لنا ابيات ابي السمط لنعرف طبيعـة السرقـة هل كانت بالمعنى ام باللفظ ام بكليهما؟ وهذا ما جعلنا نشك في قوله لأنه لم يكن دقيقا في حديثه حين قال: ويبدو ان الحطيئة اخذه عن أبي السمط بـن ابي حفصـة [2]، فكلمـة (يبـدو) لا تحسـم المسأله وانما تخضعها لاحتمال الاخذ وعدمه، كما اننا لم نجد له من يؤيده، في حين ذكر ابـو هـلال العسكري أن الحطيئة اخذ ابياته ـ السابقة الذكر ـ من ابي الطمحان القيني [3]، وبـذا يوافـق ابـو هلال العسكري الحاتمي فيما ذهب إليه.

والحاتمي الذي يجد الحطيئة محسنا كل الاحسان في قوله: [4]

لقـــــد مــــر يــــتكم لـــو ان درتكـــم   يومـــا يجيـــئ بهـــا مســـحي وإبســـاسي

وقـــــد نظـــــرتكم إعشـــــاء صـــــادرةٍ   للخمـــس طـــال بهـــا حـــوزي وتنســـاسي

حتـــى إذا مـــا بـــدا لي غيـــب انفســـكم   ولم يكـــــن لجراحـــــي فـــــيكم آسي

ازمعــــت يأســــامبيناً مــــن نــــوالكم   ولـــن تـــرى طـــاردا للحـــر كاليـــاس

(1) المصدر السابق: 1 / 401.

(2) زهر الاداب: 1 / 508.

(3) ينظر: ديوان المعاني 1 / 22.

(4) الديوان: 283، وينظر: حلية المحاضرة: 392/1 ـ 393. [وفيها تقديم وتاخير في الابيات].

مــا كــان ذنــب بغــيض ان رأى رجــلاً ... ذا فاقــة عــاش في مســتوعرٍ شــاس

جــاراً لقــوم أطــالوا هــون مــنزله ... وغـــادروه مقـــيما بـــين ارمـــاس

ملـــوا قـــراه وهرتـــه كلابهـــم ... وجرحـــــوه بانيـــــاب واضراس

دع المكــارم لاترحــل لبغيتهــا مــن يفعــل ... واقعــد فانــك انــت الطــاعم الكــاسي

مــن يفعــل الخــير لا يعــدم جوازيــه ... لا يــذهب العــرف بــين اللــه والنــاس

مــا كــان ذنبــي ان فلــت معــاولكم ... مـــن آل لأي صـــفاة اصـــلها راسي

قــد ناضــلوك فســلوا مــن كنانتهــم ... مجــداً تليــداً ونبــلاً غــير انكــاس

يقول: " قال ابو علي: والحطيئة وان كان محسنا في هذه الابيات متقدما فيهـا جميـع مـن سلك هذه السبيل، فأنما اقتدى اسلوب الاعشى في تفضيله على علقمة بن علاثة عـامر بـن الطفيـل [(1)]، وقوله (اقتدى اسلوب الاعشى) يعني انه نهج نهج الاعشى في صياغته ونظمه، فسرقتـه ـ عـلى هذا ـ سرقة اسلوبية، وابن قتيبة من اوائل النقاد الذين تنبهوا لهذا النوع من السرقة، اذ وجـد ان الاتباع والاحتذاء يكونان في الطريقة والنهج ايضا دون اللفظ والمعنى، فهو يقـول عـن مسـلم بـن الوليد: " هو اول من الطف في المعاني ورقق في القول، وعليه يعول الطائي [(2)] أي أن الطائي ـ يقصد به أبا تمام ـ سار على وفق أسلوب مسلم بن الوليد في النظم الشعري.

ويعقد الحاتمي بابا في تكافؤ المتبع والمبتدع في احسانهما، يذكر فيه ان الحطيئة اخذ قوله:

بــأرض تــرى فــرخ الحبــاري كأنــه ... بهــا راكــب مــوف عــلى ظهــر فرقــد

(1) حلية المحاضرة: 1 / 293.

(2) الشعر والشعراء: 2/ 832.

من قول عدي بن زيد:

بفـــــلاة كـــــان الضـــــب فيهـــــا   حـــين يومـــــي نعـــامة او بعـــير [1].

وقد اصاب الحاتمي حين جعلها بمستوى واحد من الاحسان والجودة.

ويذكر الحاتمي ـ ايضا ـ ان من" اناشيد الباهلي [2]، قوله:

بـــأرض تـــرى فيهـــا الحبـــارى كانهـــا   قلـــوص اضـــلتها بعـــلى عبيرهـــا

ومثله للحطيئة:

بـــأرض تـــرى فـــرخ الحبـــارى كأنـــه   بهـــا راكـــب مـــوف عـــلى ظهـــر قـــردد"[3]

وقوله (ومثله) يشير للسرقة لأن المثل يعني الشبه، والحذو، والمساواة. [4]

وعقد الحاتمي بابا اخر في النظر والملاحظة [5]، وقد عرض له بالقول:" وهذه ضروب دقيقـة قلما ترد المدارك من الاشارة الى المعنى، وإخفاء السر"[6]. ويجد أن من" لطيف النظر والملاحظـة قول أوس بن حجر:

ســـأجزيك او يجزيـــك عنـــي مثـــوب   وحســـبك ان يثنـــى عليـــك وتحمـــدى

---

(1) ينظر: حلية الشعر المحاضرة: 2 / 74.

(2) وهو اعشى باهلة احد شعراء العرب في الجاهلية.

(3) حلية المحاضرة: 2 / 128.

(4) ينظر: لسان العرب: 14 / 131 (مادة مثل)

(5) وهما من مصطلحات السرقة، وابن طباطبا من اوائل النقاد الذين اشاروا اليهما وهو يقدم نصائحه للشاعر المحدث ـ ينظر عيار الشعر: 47 ـ 48.

(6) حلية المحاضر: 2 / 86.

ينظر إليه قول الحطيئة نظرا خفيا حتى يكشف قناعه:

مـــن يفعـــل الخـــير لا يعـــدم جوازيـــه   لا يـــذهب العـــرف بـــين اللـــه والنـــاس

فقوله (لا يذهب العرف بين الـلـه والنـاس) هـو قـول أوس بـن حجـر (سـأجزيك او يجزيـك عنـي مثـوب) لان المثـوب هـو الـلـه عزوجـل. وفي بيـت الحطئية زيادة بذكره الناس [1] والحق ان الحطيئة بملاحظته لقول أوس وحسن فهمـه، وعظـيم ملكته استطاع ان يخلق بيتا شعريا جميلا لا يقل روعة في نظمه عن بيت أوس نفسه.

ومما يشير الى السرقة ايضا قولهم: فلان سبق فلان، فالسبق" هو ان يأخذ البيـت، فيـنقص من لفظه، او يزيد في معناه، او يحرره، فيكون اولى به من قائله، لكن الاول سابق، والاخـر لاحـق" [2]، والحاتمي احد القائلين بالسبق، وقد نقل عن أبي عبيدة أنه قال: " ومما سـبق إليـه الأعشى قوله:

وفي كـــل عـــام انـــت جاشـــم غـــزوة   تشـــد لأقصـــاها عـــزيم عزائكـــا

مؤرثـــة مـــالا وفي الاصـــل رفعـــة   لمـــا ضـــاع فيهـــا مـــن قـــروء نســـائكا

فاخذه الحطيئة فقال:

اذا مـــا اراد الغـــزو لم يـــثن همـــه   كعـــاب عليهـــا نظـــم در يزينهـــا [3]

والحق اننـا لانلمـس تشـابها قريبـا او بعيـدا ـ بـالمعنى او المبنـى ـ بـين الابيـات ليشـعرنا بالسرقة. وعلى هذا فالحـاتمي غـير موفـق في الاستشـهاد بهـذه الابيـات عـلى أخـذ الحطيئـة مـن الاعشى.

---

(1) المصدر السابق: 2 / 86.

(2) البديع في نقد الشعر. 222.

(3) حلية المحاضرة: 2/ 246.

وعرض ابو هلال العسكري لبعض سرقات الشعراء، من ذلك ما ذكره في حق السبق والاختراع لأمية بن أبي الصلت في قوله في عبد الله بن جدعان، " إذ قال:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك ان شيمتك الحياء

كريم لا يغيره صباح ... عن الخلق الكريم ولا المساء

وارضك أرض مكرمة بنتها ... بنو تيم وانت لهم سماء

ونحوه قوله:

لكل قبيلة شرف وعز ... وانت الرأس يقدم كل هادي

ومنه قول الحطيئة:

قوم هم الانف والاذناب غيرهم ... ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا! [1]

ولم يعلق العسكري بأي شئ على هذه الابيات اكثر مما ذكرناه، ولكن يبدو انه قد اخذ قوله من البيت الاخير لأمية بن ابي الصلت، حيث شبه فيه الممدوح الذي تقدم اهله وقبيلته بشرفه وعلو مكانته، بالرأس الذي يعلو الجسد ويسيطر عليه. وقد اخذ الحطيئة اسلوب امية في الصياغة فشبه ممدوحه بالناقة مقارنا بأسلوب الاستفهام الانكاري لانعدام وجه الشبه والمقارنة بين الانف الذي يرمز به للعزة والشموخ والكبرياء عند العرب، وبين الذنب الذي يرمز به لأنخفاض المنزلة لوقعه في مؤخرة الجسد، وقد استطاع بصياغته هذه ان يتفوق على سابقيه، ويصبح لقوله خصوصية فريدة، ليصير البيت اكثر تداولا

---

(1) ديوان المعاني: 1 / 26.

وشهرة من غيره، ومثالا يحتذيه الشعراء من بعده، ولا عجاب المتنبي بقول الحطيئة قال: [1]

قصـــدتك والراجـــون قصـــدي الـــيهم كثـــير ولكـــن لـــيس كالـــذنب الانـــف

فالمتنبي الذي شغل الناس بفنه الشعري، وتفوق علـى شـعراء عصره، اخـذ قولـه مـن قـول الحطيئة، ولم يكتف بأخذ المعنى فقط بل عمـد لـبعض الفاظـه، وكـل هـذا يشـهد بجـودة شـعر الحطيئة، ورقي فنه وجماله.

وقدم أبو هلال بيتا اخر للحطياة قائلا: ان الحطيئة" أخذ قوله:

أغـــــــربالا اذا اســـــــتودعت سرا وكانونـــــا عـــــلى المتحدثينـــــا

من قول كعب بن زهير:

ولا تمســـك بالعهـــد الـــذي عهـــدت الا كـــما يمســـك المـــاء الغرابيـــل [2]

و الحطيئة ـ براي العسكري ـ استمد معـاني هجائـه مـن قـول كعـب بـن زهـير في الغـزل والعتاب، ويبدو ان أبا هلال العسكري قد نسي ـ حينما اتهم الحطيئة بالسرقـة ـ انـه راويـة زهـير وابنه كعب وان روايته لهما جعلته ينهج نهجهما في الصياغة الشعرية كـما دعتـه للاشـتراك معهـما ببعض الالفاظ والمعاني.

واســـامة بـــن منقـــذ كغـــيره مـــن النقـــاد الـــذين اهتمـــوا بالسرقـــات الشـــعرية، واعتنـــوا بتتبعهـــا وعرضـــوا آراءهـــم فيهـــا، فقـــد عقـــد في بديعـــة بابـــا في الســـابق

(1) ديوان المتنبي: 107. قصيدة (سمت في الخير والشر كفه) ويمدح بها أبا الفرج احمد بن الحسين القاضي.
(2) ديوان المعاني: 1 / 40.

واللاحق والتداول والتناول، والذي يعرض فيه لمفهوم السرقة عنده [1]، كما يشير لاحسان بعض الشعراء في سرقتهم، حتى ليصبح الشاعر مستحقا للمعنى الذي سرقه، واولى بالمعنى من سابقه ومخترعه، وقد مثل لذلك بقول" الأفوه الأوديً الذي يقول فيه:

وترى الطير على اثارها   رأي عين ثقة ان ستمار

اخذه النابغة فقال:

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقهم   عصائب طير تهتدي بعصائب
جوانج قد ايقن ان قبيلته   اذا ما التقى الجمعان اول غالب

وأخذه الحطيئة، فقال:

ترى عافيات الطير قد وثقت لها   بشبع من الخيل العتاق منازله [2]

ويستمر اسامة بذكر الشعراء الذين تناولوا معنى هذا البيت وهم حميدبن ثور ومسلم وابو نواس وابو تمام والمتنبي[3]،دون ان يعلق على الابيات او يوضح نوع السرقة فيها، وقد اكتفيت هنا بذكر الابيات الثلاثة الاولى لبيان حقيقة تناول هؤلاء الشعراء الثلاثة للمعنى الواحد - وهو اتباع، الطير للجيش المنتصر طمعا في الحصول على حظها من الغنيمة - فقد تداول هؤلاء الشعراء على اختلافهم هذا المعنى فعبر كل واحد منهم عن احساسه بالمعنى في صورة تبدو مختلفة في بعض ملامحها عن صورة الاخر، وقد تفاوتت صياغتهم تفاوتا واضحا تبعا لتفاوت وتباين حظوظهم من الثقافة والفكر، ورهافة الحس، ودقة الخيال. فقد تناول

(1) ينظر: البديع في نقد الشعر: 222.
(2) المصدر السابق: 224.
(3) ينظر:المصدر السابق:224، وما بعدها لمن اراد الاطلاع على ابيات الشعراء المذكورين في اعلاه.

النابغة المعنى فصور الطير في صورة عصائب او جماعات غفيرة تحلق فوق الجيش وتتبع الواحدة منها الاخرى، وهو بهذا لم يزد في عرضه شيئا، سوى المبالغة في تصوير كثافة عدد الطير المصاحب للجيش المنتصر.

اما الحطيئة فقد صور الطير وقد جاءت تطلب ما يُأكل لانها وثقت من وجود الطعام الذي يشبعها، فهو يؤكد على انتصار ممدوحه على اعدائه وقتله لهم، ليكون للطير نصيب من النصر من خلال الحصول على الطعام الوفير الذي سيملا بطونها.

ويمكن القول: ان الحطيئة قد استطاع ابراز المعنى في صورة اكثر حدة وطرافة من صورتي الشاعرين السابقين. وبهذا يتضح، ان الشاعر المتأخر قد يتفوق احيانا على من تقدمه من الشعراء في تناوله لمعنى سبق اليه هذا المتقدم، فيحاول المتاخر، الذي يحتذي معنى شاعر سبقه، وان يخفي معالم هذا المعنى بحيله الفنية، كالاختصار منه او الزيادة عليه، او تغيير الغرض،او الوزن،او الجنس الادبي، ثم عرضه في صورة جديدة وصياغة طريفة [1].

---

(1) ينظر: الوساطة: 206.

ومما يثير الدهشة حقا ان شاعرا مثل الحطيئة عرف بجودة شعره ، وروعة فنه، قد عمد لسرقة بعض ابيات سابقيه ومعاصريه ولو تفحصنا المسألة فسنجد ان التشابه الحاصل في بعض ابياته وابيات غيره راجع **لأسباب عدة** :

اولهما: ان هذه المعاني والالفاظ كانت شائعة ومتداولة بين الشعراء الامر الذي دفع الجاحظ الى القول : بان " المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الاعجمي والعربي [1]

ثانيهما: ان الحطيئة كان احد الشعراء الرواة الذين عمدوا لحفظ ورواية اشعار غيرهم ممّا وفّر لهم ثروة لغوية هائلة ، وخزيناً من المعاني، ومن ثم اصبح استعمالهم لها امر طبيعي ، اذ يستعير الشاعر الفاظ ومعاني غيره من دون شعور او قصد، ولأهمية الرواية بالنسبة الى الشاعر يقول ابو نواس: " ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال [2]. وفي هذا ما يجعلنا ندحض قول ابي هلال العسكري ـ السابق الذي ادعى فيه ان الحطيئة اخذ احد ابياته من كعب بن زهير.

ثالثها: ان ما اتهم به الحطيئة من سرقة لا يمثل شيئا بالنسبة الى مجموعة ما قاله من شعر، فهو شئ ضئيل جدا لا يمكن الاخذ عليه، ولكننا وقفنا عنده لنقدم كل ما دار حول شاعرنا وشعره.

رابعها : يظهر من كل ما عرضنا له من اقوال النقاد في سرقاته انه لم يكن مسيئا قط في احتذائه لسابقيه لانه كان يعمد لتحسين عبارته ، وصقل صياغته بما يضفي على نصه شيئا من روحه وذاته الشاعرة.

---

(1) الحيوان: 3 / 131.

(2) المستطرف من كل فن مستظرف: الابشيهي: 1 /60.

ومن الاجدر التسليم بصحة ما ذهب اليه بعض النقاد ، بان الشاعر المتاخر في حاجة للاطلاع على اثار من تقدمه من الشعراء ، فالشعر ليس موهبة فحسب ، وانما هو ايضا دراسة لآثار السابقين وتمّرس بها ، بغية الافادة منها [1] ،ومن ثم فإن تداول المعاني بين الاجيال المختلفة من الشعراء امرا طبيعيا ، ولكن لا ينبغي ان يقف هذا التداول عند حد التقليد الاعمى والنقل الحرفي لمعاني الاخرين وصيغهم ، وانما ينبغي تجاوز ذلك لابراز شخصية الشاعر وذاته وفكره وخياله. وقد اصاب ابو هلال العسكري حين قال : " ان من اخذ معنى بلفظه كان له سارقا، ومن اخذه ببعض لفظه كان سالخا، ومن اخذه فكساه لفظا من عنده، اجود من لفظه كان هو اولى به ، ممن تقدمه [2] ، فالعبرة اذن بالصياغة ، فلا تثبت السرقة الادبية ، الا بنقل الصياغة بإكملها لفظا ومعنى، او نقل المعنى نقلا حرفيا دون تحوير فني، وهو ما يندر وجوده في شعر الحطيئة ، لانه حينما ياخذ المعنى، يعمد الى صياغته جديدة ، ليست كصياغته الاولى ، وبما يضفي على نصه الشعري شيئا من روحه ، ويمنحه خصوصية معينة ، لذا فإننا لا نعد الحطيئة سارقا، بل مبدعاً ، ومثالا يحتذى به بعده.

---

(1) ينظر: العمدة: 1 / 196 ـ 197.

(2) كتاب الصناعتين: 203.

المبحث الرابع

الظواهر اللغوية والعروضية:

يقرّ أكثر أهل اللغة بعلم الحطيئة بالشعر وسعة باعه فيه ، ويعللون ذلك بما يمتلك من موهبة فذة ، وتمرس ودراسة على يد زهير بن ابي سلمى ، وغير ذلك مما يعين على الإحاطة باللغة والتبحّر فيها. إلا ان إعجابهم بعلمه لا يمنع من أن يُؤاخذه رجال اللغة على ما شذْ من كلماته ويعدونها عيبا ينبغي تجنّبه وإن كانت تلك العيوب قليلة لاتنال من منزلته وشأنه. ودراستهم لشعره لم تقف عند حدّ معيّن، فقد درسوا مفرداته ومن ثم حاولوا معرفة ما وافق من شعره قواعدهم النحوية وما شذّ عنها فضلا عن دراستهم لعروضه.

ونعرض هنا ما استوقف علماء اللغة من شعره موضحين آراءهم والاسس التي استندوا إليها في اقوالهم ، من ذلك قولهم في قوله [1] :

وإن قال مولاهم على جُل حادث   من الدهر رُدوا فضل احلامِكِمْ رُدوا

فقد عابوا عليه كسر الكاف في (أَحلامِكِمْ) مسايرا لغة ناس من بكر بن وائل ـ وهي لغة رديئة عند أهل اللغة ـ الذين يشبهون الكاف بالهاء بوصفه علم إضمار ، ولما وقعت الكاف في (أحلامِكِم) بعد مكسور ، أتبعوا الكسرة الكسرة [2].

ويرى المُبرد أن ذلك غلط فاحش منهم ، لأن الكاف لاتشبه الهاء في الخفاء ، نحو ذلك قولك (مررت بِهِمْ) و(مررت بِكِمْ) فقد جاز كسر الهاء

(1) الديوان: 140.

(2) ينظر: الكتاب: سيبويه: 2/ 294.

لخفائها وهو مالايجوز في الكاف، لذا عدّ المبرد (أحلامِكِم)في بيت الحطيئة " خطأ عند أهل النظر مردود [1].

ومما أخذوا عليه قوله [2] :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنى   وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

فقد حكى الاصمعي انه دخل على حمّاد بن سلمة وهو حدث ، فسأله كيف ينشد قول الحطيئة ـ السابق ـ فذكر الاصمعي له البيت فقال حماد : " يا بنيّ ، أحسنوا البُنا. يقال : بَنَى ، يَبنى ، بِناءً في الأبنية والعمران ، وبَنَا ، يبنُو ، بُنا في الشرف " [3]. ونرى أن الحطيئة كان يريد هذه اللفظة بعينها ولم يرد (البنا) ، لأن شاعرا مثله عُرف بتنقيحه وتهذيبه للشعر العربي لايمكن ان يكون غافلا عن الفرق بين الدلالتين.

ويجد سيبويه (ت 180 هـ) أن الحطيئة عمد للإيجاز في قوله [4] :

وشر المنايا ميت وسط أهله   كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

إذ استعمل الفعل في اللفظ لا المعنى ، فقد قصد بقوله هذا ، أن شر المنايا منية ميت [5].

ويبدو الحطيئة محقا في إيجازه فلو لم يوجز في قوله لما استقام الوزن ، ولأصبح صدر البيت أقرب للكلام المنثور منه الى الشعر.

---

(1) المقتضب: أبو العباس المبرد: 1/:270.

(2) الديوان: 140.

(3) الكامل: 2/ 187. ينظر: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: الحسن العسكري: 98، الخصائص: 3/ 298، المزهر في علوم اللغة: 2/ 377.

(4).نقلا عن كتاب سيبويه: 110/1. ينظر: الديوان: 45. ويروى فيه البيت:

وشر المنايا هالك وسط اهله   كهلك الفتاة ايقظ الحر حاضره

(5) ينظر: كتاب سيبويه: 1/ 110، ما يجوز للشاعر في الضرورة: أبو عبد الله القزاز القيرواني: 36، امالي المرتضى: 49/1.

ويرى اكثر اهل اللغة " أن العرب تكرر اذا اختلف اللفظان وان كان المعنى واحدا [1] ويستشهدون لذلك بشواهد عدة منها قول الحطيئة [2] :

ألا حبذا هند وارض بها هند   وهند أتى من دونها النأي والبعد

ونقل ابن النحاس (ت 338 هـ) عن أبي العباس المبّرد ، أن التكرار لايجوز دون فائدة ، وأما قول الحطيئة (النأي والبعد) فالقول فيه : أن (النأي) ما قل عن البعد و(البعد)لا يقع إلا لما كثر [3]. وعلى هذا فقول الحطيئة السابق لم يخرج على رأي المبرد وإنما أكّده ، وهذا ما يجعلنا لا نأخذ بما قيل من أن ذكر (البعد) مع ذكر (النأي) فضل[4].

ويرى ابن جني (ت 392 هـ) ان لفظة (جوازيه) في قول الحطيئة [5] :

من يفعل الخير لايعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

تحتمل امرين ، فإما ان تكون جمع (جاز) بمعنى لا يعدم شاكرٌ عليه ، وإما ان تكون جمع (جزاء) ويعني لا يعدم جزاء عليه [6] ،وقد جوز ابن جني ايضا " أن يجمع (جوازيه) جمع (جزاء) وذلك لمشابهة المصدر باسم الفاعل [7] ، لكن القياس يستدعي أن يكون (جوازي) جمع مفردة (جازي) كما جمع (فارس) على (فوارس) لأن (فواعل) يطرد في (فاعله) اطرادا تاما نحو (ضاربة ضوارب ، وشاعرة شواعر) وفي (فاعل) اذا كان وصفا لمذكر ما لا يعقل نحو

---

(1) شرح القصائد التسع: ابن النحاس: 461.
(2) الديوان: 140.
(3) ينظر: شرح القصائد التسع: 461 0.
(4) ينظر: الموشح: 140.
(5) الديوان: 284.
(6) ينظر: الخصائص: 488/2 ـ 489.
(7) المصدر السابق: 489/2.

(صاهل وصواهل) او وصفا لمؤنث عاقل نحو (طامث طوامث) او وصفا لمذكر عاقل وان كان قليلا نحو :فوارس ونواكس ونحوهما جوازي [1].

ويحاول قسم من اهل اللغة ان يخرجوا بعض ابيات الشعر على ما يوافق قواعدهم ، فابن جني الذي ينكر ان يكون لجماعة تيم اب واحد ، يرى في قول الحطيئة [2] :

أقلـــوا علـــيهم لا أبـــا لأبيكـــم   مـــن اللـــوم او سُـــدوا المكـــان الـــذي سَـــدوا

إن في هذا امرين ، احدهما : انه لا يريد حقيقة الأب وانما غرضه الدعاء ففحش بذكر الاب ، والاخر : انه قد يكون المراد بقوله (لأبيكم) الجمع ، أي : لا ابا لآبائكم أي الدعاء على آبائهم فجاء جمعا [3].ويبدو الرأي الأول اقرب للصواب ، فالحطيئة لم يقصد الأفحاش والنيل من الزبرقان حينما عرض له في مديحه لبني سعد ، وانما اراد ان يكف لوم الزبرقان وآله عن بني سعد الذين اكرموه واحسنوا اليه بعدما اساءت اليه زوج الزبرقان.

ويرى عبد القادر البغدادي في قول الحطيئة [4] :

سـيرى أُمـام فـإن ألا كـثرين حصـى   والأكـــرمين ، اذا مـــا ينســـبون أبـــا

ان"الظاهر ان يقول آباء بالجمع،وانما وحد الأب لأنهم كانوا ابناء أب واحد [5].

ويجمع معظم النحاة على نصب الفعل بإضمار (أن) بعد واو المعية في مواضع معينة[6] ، ويمثل بعضهم لذلك بقول الحطيئة [7] :

---

(1) ينظر: شرح ابن عقيل: بهاء الدين بن عقيل: 4/ 131.
(2) الديوان: 140.
(3) ينظر الخصائص: 1/ 345 ـ 346، خزانة الادب: 107/4.
(4) الديوان: 128.
(5) خزانة الأدب: 3 /287.
(6) وهذه المواضع هي: أ – النفي، ب – الأمر، ج- النهي، د – التمني، هـ الاستفهام.
ينظر: كتاب سيبويه: 425/1، المقتضب: 2/ 27، مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري: 2/ 669، شرح شذور الذهب: ابن هشام الأنصاري: 321، شرح الأشموني: 3/ 567.
(7) نقلا عن سيبويه: 425/1. وينظر: الديوان: 98. وفيه يروى صدر البيت
* الم اك مسلما فيكون بيني *

ألم أك جاركـــــم وتكـــون بينـــي   وبينكـــــم المـــــودة والإخـــــاء

والشاهد في البيت السابق ـ هو جواز رفع الفعل المضارع المعطوف على آخر مجزوم قبله وذلك بتقدير فعل محذوف يعرب مجزوما بـ (لم) ويكون الظاهر المجزوم منسبكا مع (أن) المصدرية المحذوفة في محل رفع فاعل للفعل المحذوف ويكون التقدير : (ألم يقع ان أكون جاركم وتكون بيني وبينكم المودة) [1]

ويذهب سيبويه والمبرد للقول في قوله [2] :

أفي الــــولائم أولادا لواحـــــدة   وفي العيـــــــادة أولادا لعـــــــلات

الى انه نصب (أولادا) باضمار فعل ناسخ من اخوات كان ـ اذ أجرى (أولادا) مجرى الاسماء التي اخذت من الفعل ، وان لم تؤخذ منه ، ويشبهان به : قولك : " أ تميميا مرة وقيسيا اخرى، كأنك قلت أ تتحول تميميا مرة ، وقيسيا اخرى [3] ـ والمعنى (أتصيرون أولادا لواحدة) [4].

و الحطيئة وان خرج على القياس في بعض اقواله ، فانه لم يخرج عما أجازه النحاة وذلك في قوله [5] :

ثلاثـــــة أنفـــــس وثـــــلاث ذود   لقـــد جـــار الزمـــان عـــلى عيـــالي

فالقيـاس أن يقـول ثـلاث أنفـس ،لأن الـنفس مؤنثـة [6] ، ولم يحمـل النحـاة ذلـك عـلى الغلـط، وانمـا جـوزوه لكـثرة اسـتعمال الـنفس مقصـودا بهـا الانسـان وهـذا

---

(1)ينظر: كتاب سيبويه: 1/ 425، المقتضب: 2/ 27، شرح الأشموني: 3/ 567.
(2) نقلا عن كتاب سيبويه: 1/ 172، والمقتضب: 3/ 265. اذ لم اجد البيت في الديوان.
(3) كتاب سيبويه: 1/ 425، ينظر: المقتضب: 3/ 265.
(4) ينظر: كتاب سيبويه: 172/1، المقتضب: 3/ 256.
(5) نقلا عن كتاب سيبويه: 2/ 175. وفي الديوان يروى صدر البيت: * نحن ثلاثة وثلاث ذود * ينظر: الديوان: 395.
(6) ينظر: كتاب سيبويه: 1/ 172.

ما دفع به لحمل النفس على معنى الشخص أو إنسان فذكر [1] ، والحمل على المعنى ـ كما يقول ابن جني ـ " مذهب نسيج في العربية "[2].

ويتفق الحطيئة والنحاة بقوله : [3]

وغررتني وزعمت انك لابن في الصيف تامر

اذ جاء بـ(لابن) و (تامر) ـ أي ذو لبن وتمر ـ بدون ياء نسب ، وقد صلح ذلك لدلالتهما على صناعة.[4]. ويذهب المبرد الى ان الصناعة تدل على ما تدل عليه الياء وذلك كقولك لصاحب الثياب ، ثواب ، وقد بنى الاسم هنا على (فاعل) لانه يدل على صاحبه شئ يزاول [5]

ويذهب العلماء في قوله : [6]

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

الى ان (تعشو) رفع لانه واقع موقع الحال [7]. والمعنى (متى تأته عاشيا الى ضوء ناره).

---

(1) ويذكر لنا ابو البركات الانباري ان النحاة يستشهدون بهذا البيت في موضعين: الاول انه اتى بلفظ العدد مقترنا بالتاء مع ان القياس عندهم ان يقول (ثلاث انفس) لان المعدود مؤنث. والثاني: انه اضاف لفظ العدد الى اسم الجمع ـ الذود ـ في قوله (وثلاث ذود) والاصل عندهم ان يضاف اسم العدد الى جمع التكسير من جموع القلة. ينظر الانصاف في مسائل الخلاف: ابو البركات الانباري: 1 / 758 ـ 772.

(2) الخصائص: 2 / 412، وينظر: كتاب سيبويه: 2 / 175، مجالس ثعلب: 304، الانصاف في مسائل الخلاف: 1/ 771، شرح الاشموني، 3 / 620.

(3) الديوان: 168، ينظر: الخصائص: 2 / 411.

(4) ينظر: الانصاف في مسائل الخلاف: 1 /771 ـ 772، مغنى اللبيب: 2 / 411، شرح الاشموني: 3 / 620.

(5) ينظر: المقتضب: 3/ 161، الانصاف في مسائل الخلاف: 1/ 758. خزانة الادب: 7 / 367.

(6) الديوان: 161.

(7) ينظر: الكتاب:445/1، 2/ 65، مجالس ثعلب: 468، خزانة الادب: 74/3.

وابن يعيش (ت 643 هـ) كان اكثر وضوحا من سابقيه، في قوله :" قد يقع الفعل موقع الحال اذا كان في معناه وكان المراد به الحال المصاحبة للفعل، فتقول: جاء زيد يضحك أي ضاحكا [1].

ويستشهد اللغويون بقوله [2] :

والشعر صعب وطويل سلمها إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه يريد أن يُعربه فيعجمه

على صحة رفع (يُعجِمُه) على الاستئناف والقطع ، وعدم صحة نصبه على نية العطف على المنصوب ، (فيعجِمُه) لا بد أن يكون مرفوعا ـ على حد قول المبرد ـ لأن معناه خارجا ومنقطعا عن معنى (يعربه) [3] ، وبذا لا يجوز النصب على العطف لفساد المعنى ، لأنه لا يريد إعجامه [4].

ويذهب النحاة في جمع التكسير الى ان كل اسم ثلاثي على (فَعْل) صحيح العين جمعه (أفْعُل) ويمثلون له بـ (كلبٍ) و (أكلب). واما جمعه على (أفْعَال) فشاذ ، كـ(فرخ) و (أفراخ) [5] ، كقول الحطيئة : [6]

ماذا تقول لأفراخ بذي مرح ماذا تقول لأفراخ بذي مرح

ومذهب الجمهور على انه لا يقاس عليه ، في حين ذهب الفراء (ت 207 هـ) الى انه يقاس عليه فيما فاؤه همزة نحو (ألف) او واو نحو (وهم) [7].

(1) شرح المفصل: ابن يعيش: 2 / 66.
(2) الديوان: 356.
(3) ينظر: المقتضب: 2/ 34.
(4) ينظر: اللمع في العربية: ابن جني: 403 ـ 404، مغني اللبيب: 1 /168.
(5) ينظر: المقتضب: 2/ 195: شرح ابن عقيل: 4/ 117.
(6) الديوان: 208.
(7) نقلا عن شرح الأشموني: 3/ 674.

ومما يذكره ابن جني في الحذف، ان هناك من يحذف المفعول به،كما في قول الحطيئة [1] :

منعمـــــة تصـــــون اليـــــك منهـــــا كصونـــــــك مـــــــن رداء شرعبـــــي

فقد حذف المفعول به هنا ،وتقدير الكلام : تصون الحديث منها [2].

ومما يراه ابن جني بـ (من) في قول الحطيئة [3] :

أزمعـــت يأســـا مبينـــا مـــن نـــوالكم ولـــن تـــرى طـــاردا للحـــر كاليـــأس

أنه : " لا يجوز ان يكون قوله (من نوالكم) متعلقا بيأس وقد وصفه بمبين ، وان كان المعنى يقتضيه ، لان الاعراب مانع منه [4] ، اما ابن هشام فيذهب للقول : " ان (من) الصواب ان تعلقها (بيئست) المحذوف ، لان المصدر لا يوصف قبل ان ياتي معموله [5]

اما (من) في قوله [6] :

طافـــت أُمامـــة بالركبـــان آونـــة يـــا حســـنه مـــن قـــوام مـــا ومنتقبـــا

فتعد زائدة في التمييز،ودليل ذلك صحة عطف المنصوب على المجرور بـ (من)[7]، وهذا ما نجده في بيت الحطيئة اذ عطف (منتقبا) المنصوب على (قوام) المجرور بـ (من) الزائدة لفظا المنصوب محلا.

واما قول الحطيئة [8] :

---

(1) الديوان: 35. الشرعبي ضرب من ثياب اليمن وهو الثوب الطويل.

(2) ينظر: الخصائص: 2/ 372.

(3) الديوان: 283.

(4) الخصائص: 3/ 259.

(5) مغني اللبيب: 2/ 588.

(6) الديوان: 121.

(7) ينظر: شرح الاشموني: 1/ 265، خزانة الادب: 3/ 289.

(8) نقلا عن الخصائص: 3/ 220، وخزانة الادب: 86/5. اذ لم اجد البيت في ديوانه.

فإياكـــــــم وحيــــــــة بطـــــــن واد   همـــــوز النـــــاب لـــــيس لكـــــم بسي

فقد استشهد ابن جني بهذا البيت على جر الجوار،اذ جر (همـوز النـاب) " لمجاورتـه لـواد مع اختلاف المضاف والمضاف اليه تذكيرا وتأنيثا ، فان حية مؤنثة وما بعدها مذكر [1].

ومما يذكره البغدادي في خزانته : " أن سيبويه استدل به على جر الجوار ، ردا على الخليـل في زعمه انه لا يجوز إلا اذا اتفق المضاف والمضاف اليه ، في امور ... ومنهـا اتفـاقهما عـلى التـذكير والتأنيث ، وهذا البيـت يـرد عليـه ، فـان (همـوز) نعـت الحيـة المنصـوبة ، وجـر لمجاورتـه لاحـد المجرورين ، وهو (بطن) او (واد) [2].

لقد حمل بعض علماء اللغة أبياتا من الشعر العربي على القلـب [3] ، وحملهـا آخرون على وجوه يصح الكلام عليها لفظا ومعنى من تلك الابيات بيت الحطيئة [4].

فلـــما خشـــيت الهـــون والعـــير ممســـك   عـــلى رغمـــه مـــا اثبـــت الحبـــل حـــافره

اذ ذهـــب عـــدد مـــن علـــماء اللغـــة لعـــدة مقلوبـــا، ومـــنهم ابـــن قتيبـــه الـــذي رأى ان الوجـــه أن يقـــول: " مـــا امســـك حـــافره الحبـــل ، لان الحـــافر ممســـك للحبـــل لا يفارقـــه مـــا

(1) الخصائص: 3/ 221.

(2) خزانة الادب: 86/5.

(3) وهو ان يضطره الوزن الى احالة المعنى وقلبه لخلاف ما قصده. ويعده المرزباني من عيوب الشعر. ينظر: نقد الشـعر: 217. (ط ـ انصار السنة المحمدية)، الموشح: 128.

(4).الديوان: 183.

دام به مربوطا، الحبل ممسك للحافر [1]،وقد وافقه الزجاجي[2] (ت340 هـ) والمرزباني[3] فيما ذهب.

في حين ينفي بعض العلماء أي قلب في البيت السابق ، ومنهم الاصمعي الذي روي عنه قوله : " إن الحافر هو الذي يمسك الحبل، إذ لولاه لخرج الحبل من رجله" [4].

ولايجد ابن سنان أي قلب في قول الحطيئة السابق لأن الحبل والحافر ـ عنده ـ قد شغل احدهما الاخر [5].

ويذهب حازم القرطاجني مذهب ابن سنان في عدم وجود قلب في بيت الحطيئة، ويستدل بذلك بما استدل به ابن سنان قبله [6]. والحق اننا لا نجد في البيت أي قلب ولقول عندنا ما قاله الاصمعي.

ويشير النحاة الى ان هناك اسماء لازمت النداء ولا تستعمل في غير النداء [7]، ومنها ما كان على (فَعَالِ) مبنياً على الكسر وهو سبّ للمؤنث نحو يا (خباث) بمعنى يا خبيثة ، و يا (لكاع) بمعنى يا لئيمة ، وقد استعمل الحطيئة اسم (لكاع) في غير ما وضع له ، في قوله [8] :

أطوف ما أطوف ثم آوي   الى بيت قعيدته لكاع

---

(1)تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة:194. ويذهب ابن قتيبة في تأويله ان من المقلوب ان يوصف الشئ يضد صنفه للتطير وللتفاؤل، أو ان يقدم ما يوضحه التأخير ويؤخر ما يوضحه التقديم. وينظر: تأويل مشكل القرآن: 185 ـ 195

(2) ويرى انه رفع (الحافر) لانه جعل الفاعل مفعولا والمفعول فاعلا. ينظر: مجالس العلماء: ابو القاسم الزجاجي: 22.

(3) ينظر: الموشح: 128.

(4) ضرائر الشعر: ابن عصفور الاشبلي: 271.

(5) ينظر: سر الفصاحة: 104. ويرى ابن سنان في قلب الكلام افسادا للمعنى، وصرفه عن وجهه.

(6) مناهج البلغاء: 181.

(7) ومما لا يستعمل الا في النداء، نحو يا (فل) أي رجل، ويا (لؤمان): أي عظيم اللؤم، ويا (نومان): أي يا كثير النوم، وهو مسموع. ينظر: شرح ابن عقيل: 277/3 ـ 278.

(8) الديوان: 280.

فقوله (لكاع) يدل ظاهره على انه خبر لمبتدا محذوف فجاء به في غير النداء للضـــرورة [1]، ويعـده ابن هشام من الضرورات الشاذة [2]. ومما ينبغي ذكره ان للنحـاة ـ في هـذا البيـت ـ شـاهدا اخـر بقوله (ما أُطوّفُ) حيث ادخل (ما) المصدرية الظرفية على فعل مضارع غير منفي بـ (لم) ، وهو قليل[3].

ومما اجازه النحاة في الضرورة ، استعمال الماضي بمعنى المستقبل ، نحو قوله [4] :

شـــهد الحطيئـــة يـــوم يلقـــى ربـــه   ان الوليـــــد احـــــق بالعـــــذر

فجاء بالفعل (شَهَدَ) الماضي في الاستقبال (يَشْهُدُ) ضرورة [5].

ويذهب علماء اللغة في قوله [6] :

فيـــه الرمـــاح وفيـــه كـــل ســـابغة   جـــدلاء محكمـــة مـــن صـــنع ســـلام

الى انه اراد داود (عليه السلام) ـ لانه كان يصنع الدروع ـ فغلط الى سليمان (عليه السلام) ، وقد غير اسم سليمان فقال سلاّم [7]. ويرى ابن المدبر ان هناك امورا تجوز في الشعر ولا تجوز في غـيره وتحمل هذه الامور على موضع اضطرار ، ومنها الحذف والاغراب ، وسوء الـنظم ، والتقـديم والتـاخير ،

---

(1) ينظر: المقتضب: 283/4، شرح الاشموني: 2/ 48، خزانة الادب: 404/2.

(2) ويدهب ابن هشام ايضا للقول: ان الكلام ادا قدر بـ (قعيدته يقال لها يا لكاع) فانه يكون جاريا عـلى القيـاس، ولا ضرورة في البيت. ينظر: شرح شذور الذهب: 93/3.

(3) ينظر: شرح ابن عقيل: 1 / 139 ـ 140.

(4) الديوان: 233.

(5) ينظر: مجالس ثعلب: 256، ما يجوز للشاعر في الضرورة: 174 ـ175.

(6) الديوان: 227.

(7) ينظر: الوساطة: 14، ضرائر الشعر: 168، المزهر في علوم اللغة: 2/ 500.

والاضمار في مواضع الاظهار [1] ، وعلى هـذا فالحطيئـة ـ كـما يبـدو لي ـ غـير مخطـئ في قولـه لان الضرورة ـ كما يرى القزاز القيرواني (ت 412 هـ) ــ دعتـه لتغيـير الاسـم فهـو لم يـرد بـذكر سـلام سليمان وانما ابوه [2] ، وقد سهل هذا التغيير عند ابن عصفور الاشبيلي (ت 669 هــ) لان سـليمان وسلام المشتق منه يرجعان الى معنى السلامة [3].

واما قوله [4] :

الا يكـــــن مـــــال يثـــاب فانــــــه ســـيأتي ثنـــائي زيـــدا بـــن مهلهـــل

فالوجه عند ابن جني " ان يكون (ابنَ مُهَلْهِلِ) بدلا من (زيد) لا وصفا له ، لانه لو كـان وصفا لحـذف تنوينـه ، فقيـل : (زيْـدَ بـنَ مُهَلْهِـلِ) ، ويجـوز ايضـا ان يكـون وصـفا اخـرج عـلى اصله،ككثير من الاشياء التي تخرج على اصولها تنبيها على اوائل احوالها [5]، ويتفق القـيرواني وابـن يعيش بان الضرورة تجيز للشاعر اثبات التنوين ، في (زيداً) ، وان كان حقه اسقاطه [6].

وان كان النصب على الياء والواو في قولنا (لن يرميَ) و (لن يغزوَ) امر متعارف عليه عند اهل اللغة، الا ان ابـا عبـد اللــه القـيرواني جـوز للشـاعر تسـكينهما في الشـعر عنـد الضرورة [7] ، ويستدل لذلك بقول الحطيئة [8] :

يــــا دار هنـــــد عفـــــت إلا أثافيهـــــا بــــين الطـــــوى فصـــــارت فواديهـــــا

(1) ينظر: الرسالة العذراء: ابن المدبر: 19.

(2) ينظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة: 213.

(3) ينظر: ضرائر الشعر: 239.

(4) الديوان: 84.

(5) الخصائص: 2 / 941.

(6) ينظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة: 165، شرح المفصل: 6/2.

(7) ينظر: ما يجوز للشاعر في الضرورة: 138.

(8) الديوان: 201.

فالحطيئة وكما يقول القيرواني : " خفف الاثافي واسكن الياء في النصب لانه استثناء ، فحق الياء ان تكون منصوبة ، ولكن قائل هذا يفعل به ما يفعل في الجر والرفع من حذف الحركات [1].

ان عناية العلماء بدراسة ابيات الشعر من حيث سلامة لغتها ، وصحة تراكيبها ونظمها ، لا يقل عن عنايتهم ببناء تفعيلاتها ، فالعناية بالقافية امر لابد منه ، وقد وجدوا ان من " حكم الشاعر - اذا اعتمد بناء قصيدة - ان يتخير من القوافي اسهلها لفظا ، واوضحها معنىً ، وينفي الجافي عنها، ويميز القلق منها، ويسوق البيت الى القافية سوقا لطيفاً، حتى يكون لفقه وطبقه. فانه اذا اعتمد ذلك ، وقعت القافية غير قلقه ولا نافرة [2]. وبناء القصيدة على هذا - يعتمد على بناء البيت من حيث طريقة نظمه ، ورصف قوافيه ، وملاءمتها لأوزانها. ومما يجدر بالشاعر العمل به عند نظم القصيدة هو الوقوف لتخير القوافي، بل يحسن به ان يعنى اولا بتهذيب القافية؛ لتكون سلسلة المخرج مألوفه ، ملائمة للغرض الذي يقصده الشاعر ، لأنها مركز البيت حمدا كان ذاك الشعر او ذماً ، وتشبيبا كان او نسبياً ، ووصفا كان او تشبيها [3]. لان القافية كما قيل " تجري مجرى السجع ، وان المختار منها ما كان متمكنا يدل الكلام عليه [4]. وقد فطن الحطيئة لاهمية القافية فحثّ الشعراء على ضرورة تنقيحها لانها وكما يقول : " حوافر الشعر [5].

وكما ينبغي للشاعر ان يعنى بتهذيب القافية - اولا - ينبغي له تهذيب الاوزان المناسبة للقوافي - ثانيا- لتقبلها النفس لحسنها [6]. و الحطيئة بوصفه احد

---

(1) ما يجوز للشاعر في الضرورة: 139.

(2) حلية المحاضرة 1 / 236.

(3) ينظر: الرسالة الموضحة: 42.

(4) سر الفصاحة: 171.

(5) الرسالة الموضحة: 42.

(6) ينظر: البديع في نقد الشعر: 289.

الذين عنوا بالتهذيب ، عني عناية كبيرة بقوافيه ، فهي بوجه عام متمكنة مستقره. ومما مثل به ابن طباطبا العلوي للقوافي الواقعة في مواضعها، المتمكنة في مواقعها ، قول الحطيئة [1] :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

فقوله : الكاسي ، عجيبة الموقع عند ابن طباطبا [2].

ويجد ابن طباطبا في قوله [3] :

هم القوم الذين اذا اعترتهم من الايام مظلمة اضاءوا

اذا نزل الشتاء بجار قوم تجنب جار بيتهم الشتاء

ان قوله (اضاءوا) حسنة الموقع [4]. وقد حاول الحاتمي ان يعلل لنا سبب اعجابه بها، فقال:" ان موقعها لطيف وذلك لان (اضاءوا) لايمكن تغيرها بغيرها ، ولا تغييرها بما يسد مسدها [5]. وقد اصاب الحاتمي في قوله فتغيير اللفظ قد يؤدي الى تغيير المعنى الذي قصده الشاعر.

لقد التزم الحطيئة في بعض قوافيه إعادة مالايلزمه طلبا للزيادة في التناسب والتماثل، من ذلك قوله [6] :

---

(1) الديوان: 284.

(2) ينظر: عيار الشعر: 147.

(3) الديوان: 102.

(4) ينظر: عيار الشعر: 147.

(5) الرسالة الموضحة: 43. وقد نقل الحاتمي عند محمد بن يزيز قوله: " ما اعرف قافيه احسن موقعا من قول الحطيئة". حلية المحاضرة: 1 / 236.

(6) الديوان: 233.

ألا مـــن لقلـــب عـــارم النظـــرات يقطـــع طـــول الليـــل بالزفـــرات
إذا مـــا الثريـــا آخـــر الليـــل اعنقـــت كواكبهـــا كـــالجزع منحـــدرات

فقد التزم الراء في جميع ابياته مثل حرف الروي، وهي غير لازمة فيها [1]. ويبدو انه عمد لذلك لاثبات وجوده ، وبيان قدراته امام قومه الذين لم يحفلوا به حبا واحتراما كما كانت قبائل العرب تحفل بالشعراء من ابنائها وتتفاخر بهم.

والقافية احيانا قد تضطر الشاعر الى ما نسميه بالتطويل ـ وهو الزيادة الخالية من الفائدة غير المتعينة ـ او التكرار ، كما في قول الحطيئة [2]:

قالـــت امامـــة لا تجـــزع فقلـــت لهـــا ان العـــزاء وإن الصـــبر قـــد غلبـــا
هـــلا التمســـت لنـــا إن كنـــت صـــادقة مـــالا نعـــيش بـــه في الخـــرج او نســـبا

ويجد ضياء الدين بن الاثير ان " البيت الاول معيب ، لانه كرر (العزاء والصبر)، إذ معناهما واحد، ولم يرد في قافية لان القافيه هي الباء [3]

وقد تضطر القافية الشاعر الى الاستعارة، كما في قوله : [4]

قـــروا جـــارك العـــيمان لمـــا تركتـــه وقلـــص عـــن بـــرد الشراب مشـــافره

فقد اراد بقوله: (مشافره) شفتيه.وهذا ما اشار اليه ابن طباطبا والمرزباني [5].

ومن كل ما تقدم نصل الى حقيقة فن الحطيئة ، وهو وان اخفق احيانا في بعض اشعاره الا ان غلطه قليل جدا بالنسبة لشعره وحتى بالنسبة لغيره من الشعراء ودليل ذلك ما ذكرته سابقا من اقوال النقاد التي يؤكدون فيها على

---

(1) ينظر: سر الفصاحة: 171، وسائل البلغاء: 458.
(2) الديوان: 127.
(3) المثل السائر : 3 / 36 ـ 37.
(4) الديوان: 184.
(5) وقد عد ابن طباطبا والمرزباني (مشافرة) من القوافي القلقة دون ان يعللا سبب ذلك. ينظر: عيار الشعر: 140، الموشح: 140.

ندرة وجود مطعن او عيب في شعر الحطيئة ، فقد كان محسناً باختياره للالفاظ المناسـبة للمعـاني التي يقصدها ، زيادة على حسن اختياره للبحور والقوافي التي تناسب الغرض الشعري التي جـاءت من اجله. مما يجعل لشعره موسيقى رائعة ، تفصح للسامع عن مدى براعة صانعها.

الفصل الثالث

موقف النقاد المحدثين من الشاعر ومناهجهم في دراسته

- المبحث الأول: المنهج التقليدي
- المبحث الثاني: المنهج النفسي
- المبحث الثالث: المنهج التحليلي

المبحث الأول

المنهج التقليدي:

حظي تراثنا الادبي باهتمام المحدثين، إذ عملوا على دراسة معظم ما وصل إلينا من شعر ونثر في محاولة لفهم خفايا هذا الادب واستنباطه ليسهل فهم وتعلمه، وقد ذهب النقاد في دراسة الادب العربي القديم مذاهب عدّة، فكان لكل منهم منهج يحتذى؛ فمنهم من اخذ على عاتقه تطبيق المناهج الغربية الحديثة على الادب العربي كالمنهج النفسي [1]، والمنهج التاريخي [2]، والمنهج التأثري [3] وغيرها من المناهج النقدية الحديثة على حين التزم فريق من النقاد بالمنهج التقليدي في دراسته لاي نص ادبي مظهرين بذلك النواحي الفنية والجمالية من دون التحليل العميق والدقيق لتلك النصوص التي قيد دراستهم.

و الحطيئة - كما يبدو لي- لم يحظَ باهتمام كبير لدى اصحاب المناهج النقدية الحديثة ـ باستثناء المنهج النفسي والتحليلي -اذ ان اكثر الدراسات التي دارت حوله تقع ضمن المنهج التقليدي ويتضح ذلك كثيراً في بعض كتب الادب العربي اذ تعرض للحطيأة بوصفه من ابرز شعراء العربية المخضرمين وراوية من رواة الشعر العربي واحد الذين يعنون بالتنقيح الشعري [4].

---

(1) ويعتمد على نظريات علم النفس والتحليل النفسي. ينظر: مقدمة في النقد الادبي الحديث: علي جواد الطاهر: 423 ـ 432.

(2) ويعنى اساسا بدراسة العوامل المؤثرة في الادب وصلته بزمانه وعصره. ينظر: المصدر السابق: 397 ـ 404.

(3) ويقوم على وصف الانطباعات والأحاسيس التي تتركها قراءة النص في نفس الناقد. ينظر: المصدر السابق: 415 ـ 422.

(4) ينظر: الادب العربي وتاريخه: محمود مصطفى: 36/1 1 ـ154، الموجز في الادب العربي وتاريخه (الادب الجاهلي) مجموعة مؤلفين: 1 / 171 ـ 178، تاريخ الادب العربي: احمد حسن الزيات: 1 / 155 ـ 156، دراسة الشعراء: محمد حسن نائل المرصفي: 260 ـ 280. تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي): شوقي ضيف: 317 ـ 318، 326، شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه: يحيى الجبوري: 63، 242 ـ 246، 309 ـ 349، تاريخ الادب العربي: بروكلمان: 1 / 77، تاريخ الادب العربي: عمر فروخ: 1 / 331 ـ 338، تاريخ الادب العربي في الجاهلية والاسلام: محمد حسن درويش: 143، 235 ـ 238.

ان اهم ما يعرضه النقاد التقليديون في دراستهم له مسألتان الاولى: حياته وشخصيته والثانية شعره، وقد ارتاينا هنا ان نتحدث عن المسألة الثانية وهي شعر الشاعر ونترك الحديث عن المسألة الاولى لعدة اسباب: اولها: ان معظم كلامهم فيها لا يخرج عن نطاق ما رواه القدماء من اخبار وروايات عنه وقد عرضنا لها بشكلٍ وافٍ في الفصل الاول من هذه الرسالة.

والثاني: لابعاد البحث عن التكرار والاطالة لأن نقاد المنهج النفسي اهتموا كثيراً بتفصيلات حياته وشخصيته في محاولة تسليط الضوء على نقاهما للكشف عن تجاربه والغوص في اعماقه لابراز الجوانب الخفية الكامنة وراء كل احساس وفعل عنده ... وفضلاً عن هذا وذاك فان دراسة الشعر تبدو اكثر وضوحا عند المحدثين الامر الذي يدفعنا للتركيز عليها وابراز الاراء النقدية الخاصة بها على عكس ما نجده في دراسة حياته عند التقليدين والتي تتسم بطابع كلاسيكي جاف الى حد ما.

أن اول ما أستوقف النقادفي شعره هو روايته لزهير بن ابي سلمى وتخرجه عليه في الفصاحة وألاجادة في المدح وتعلم الشعر والمبالغة في تجويده وأحكامه بملازمته أياه وروايته عنه [1]، وان لم يقتبس عن زهير حكمته وعفته وحسن خلقه [2].

لقد عاش الحطيئة في بيت زهير [3] حقبة من الزمن، تلك الحقبة التي يعدها بعضهم أسعد مدة من حياته، وقد كان يحفظ فيها شعر زهير ويرويه للناس [4].

---

(1) ينظر: الوسيط في الادب العربي: أحمد ألاسكندري ومصطفى عناني: 162، الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية: سيد حنفي حسين: 211، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: يحيى الجبوري: 16، جواهر الادب في ابيات وانشاء لغة العرب: أحمد الهاشمي: 409، الشعراء نقاداً: عبد الجبار المطلبي، 16، عصر القرآن: محمد مهدي البصير: 76.

(2) ينظر: الوسيط في الادب العربي: 162.

(3) ويجد الدكتور سيد حنفي ان الحطيئة لم يشابه أستاذه وانما شابه زميله كعب بن زهير فهما" متشابهان في اشياء كثيرة، متشابهان في خلقهما، وفي أتلافهما للمال، في تشبثهما بكل ما كانا عليه في الجاهلية من اخلاق وعادات، في كرههما للدين الجديد، وفي دخولهما الاسلام تقية وخوفا من القتل، وفي أنتهاز الفرصة للخروج منه، وقد عاشا في الجاهلية في بيت واحد وتتلمذا على أستاذ واحد، وقالا الشعر على يد هذا الأستاذ" . الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية: 187.

(4) ينظر: المصدر السابق: 210.

ويبدو ان الموهبة الشعرية هي التي دفعت بالحطيئة الى الرواية [1]، وقد لمس زهير هذه الموهبة فحاول تذميمها وتهذيبها من خلال تعليم الحطيئة مع ابنه كعب أصول النظم والصياغة وضرورة العناية والتجديد حتى نمت موهبته واكتمل شاعريته، وقد اهلته دراسته تلك لان يكون احد الذين يعنون بالتنقيح والتثقيف الشعري ويتأنقون في صياغة اشعارهم ومراجعتها، ولا يظهرونها او يذيعونها على الملأ الا بعد ان يستكملوا أسبابهم بحيث لايتركون مجالا لناقدهم، إذ هم يتفقدون انفسهم قبل ان يتفقدهم الآخرون ولهذا كانوا مدار حديث النقاد قديما وحديثا، وقد دفع الحديث عنهم للخوض في مسألة المطبوع والمتكلف من الشعر.

واذا كنا قد عرضنا لآراء القدماء في هذه المسألة ـ في الفصل السابق ـ فسنعرض هنا لآراء بعض المحدثين والتي نجد فيها نظرة موضوعية تدل على مدى سعة استيعاب المحدثين وعمق فهمهم للمسألة [2]. وربما كان رأي الدكتور شوقي ضيف من اهم تلك الاراء إذ يذهب الى القول في الشعر الجاهلي: إنه" ليس تعبيرا فنيا حرا، بل هو تعبير فني مقيد، ليس تعبير الطبيعة والطبع، بل هو تعبير التكلف والصنعة، اما الفكرة التي تذهب عندنا الى تقسيم الشعراء اصحاب طبع واصحاب صنعة، والتي نرى امتدادها في العصر الحديث، فاكبر الظن انها في حاجة الى شيء من التصحيح، فان اكثر اثار الشعر العربي ونماذجه لا تؤيد هذا التقسيم الذي لايتفق وطبيعة الشعر العربي وحقائقه، فكله شعر مصنوع فيه اثر التكلف والصنعة" [3].

---

(1) ينظر: الشعراء نقاداً: 15.

(2) ينظر: موقف النقاد من الشعر الجاهلي: محمد عبد المنعم خفاجي 27ـ28، الاصول الفنية للشعر الجاهلي: سعد اسماعيل شلبي، 38 ـ48، شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين: ، النقد اللغوي عند العرب: نعمة رحيم العزاوي: 43 ـ45، مواقف في الادب والنقد: عبد الجبار المطلبي: 196، دراسات في الادب ونصوص العصر الجاهلي: محمد عبد القادر: 282 ـ283، النقد العربي: عبد المنعم تليمة وعبد الحكيم راضي: 265 ـ 267.

(3) الفن ومذاهبه: شوقي ضيف 20.

وفي قول الدكتور شوقي ضيف ما يؤكد خلو الشعر من الطبع المطلق، او بمعنى اخر، فان بناء القصيدة لا يمكن ان يكون الا صناعة ـ الا ان الطبع والصناعة يكونا بنسب متفاوتة من نص لاخر[1].

وقد درس احد الباحثين هذه المسألة بشكل مفصل. ودراسته ـ كما تبدو لي ـ من افضل الدراسات عن الطبع والصنعة من بعد دراسة شوقي ضيف اذ انه درس الطبع والصنعة بوصفهما معياراً نقدياً استوقف النقاد القدامى كثيراً في الحكم على النص الادبي ومبدعه. وقد عرض للمسالة واعطى رأيا نقديا فيها يحسم الى حد ما المناقشة التي دارت حولها اذ يجد ان الحديث عن الطبع والصنعة حديث لا نفع فيه ولا جدوى منه اذ لا يوجد مقياس محدد يمكن الاعتماد عليه واخضاع النص الادبي له لمعرفة وتمييز المطبوع من المصنوع [2]، ورأيه هذا يقارب بعض الشيء في مضمونه ما قاله الدكتور طه احمد ابراهيم من قبله حينما حاول ان ينفي الصنعة عن الشعر الجاهلي والاسلامي وعدّه مطبوعاً قوياً وذلك من خلال مناقشته لمقولة الاصمعي ووصفه لطفيل وزهير و الحطيئة بعبيد الشعر اذ يجد ان عناية هؤلاء وغيرهم باشعارهم" ليس معناه التكلف والصنعة اذ كان زهير حريصاً على الا يخرج شعره للناس الا بعد تهذيبه وما كان هذا التهذيب الا ابعاد ما لا يحتاج اليه المعنى، او ابعاد معنى لا جلال له، او تغيير عبارة باختها او لفظة بغيرها اتم واكمل [3]، وقد يكون لهذا العمل اسبابه ودوافعه عند هؤلاء الشعراء اذ يرجعه بعض النقاد الى التكسب [4]،على حين يرجعه بعضهم لحالة الشاعر النفسية [5]،ومهما يكن من امر فإن التنقيح في

---

(1) ينظر: المصدر السابق 22 ـ 24.

(2) ينظر: الطبع والصنعة معياراً نقدياً عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري (رسالة ماجستير) عبد السلام محمد رشيد 1ـ 10.

(3) تاريخ النقد عند العرب: طه احمد ابراهيم 99.

(4) ينظر: ظاهرة التكسب بالشعر: درويش الجندي 241 ـ 242، التكسب بالشعر: جلال الخياط: 16، 37، الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية 218 ـ 222، 237، الشعر الجاهلي: محمد عبد المنعم الخفاجي 221، الحياة الادبية في عصر الجاهلية وصدر الاسلام: محمد عبد المنعم الخفاجي وصلاح الدين المنجد 184 ـ 185.

(5) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: ريكان ابراهيم 46 ـ 47.

الاغلب يزيد الادب جمالا وروعة [1]، وبما يفضي عليه حلة بهية ترفل باللطافة والجمال وعلى هـذا فتنقيح الحطيئة فضل له اذ جعل شعره في صدارة الشعر العربي.

ان شاعرية الحطيئة وحسن اتقانه لصنعته دفع النقاد للحديث عنـه، وللمحـدثين آراء في شعره، لا تقل اهمية ومكانة عن آراء القدماء. وفي مقدمتهم رأي عميد الادب العربي الدكتور طـه حسين الذي لا يجد أي اثر منكر في شعر الحطيئة كما نجده في شخصيته اذ أنه سمح رائع اللفـظ في صفاء ومتانة وسهولة في كل الفنون الشعرية التي طرقها ـ ما عدا الهجـاء ـ [2] وهـذا مـا دفـع ـ على ما يبدو ـ عميد الادب لاكبار الحطيئة واتخـاذه اسـتاذاً فضـلاً عـن حرصـه عـلى تجويـد فنـه والعناية به [3].

ويجد الدكتور محمود مصطفى ان لقوافي الحطيئة" اسر قوافي زهـير، ولقولـه نقـاء قـول زهير وخلوه من المعاضلة والتعقيد ... وانك لتراه في كل مجال قوي اللفظ مجتمعه شريف المعنى بارعة، لم يعدّ عليه الناقدون، كما عدّوا على غيره، بل لقد عقبوا اقواله باحكام تجعلها في الـذروة من كلام العرب" [4].

ويذهب احمد حسن الزيات لوصف شعر الحطيئة بالمتانة والغزارة وصفاء الاسلوب فضلا عن قلة ما في شعره من سخافة نسج او ركاكة لفظ او نبو قافية مما يوجد في شعر غيره [5].

ويوافـق عبـد اللـــه الطبـاع سـابقيه في رأيــه اذ يـرى ان شـعره يمتـاز بجزالــة اللفــظ وحســـن تركيـــب وشـــدة الاسر وبعـــد عـــن الاســـفاف لعنايتـــه بـــه وتنخلـــه ايـــاه [6]. وقـــد

---

(1) ينظر: دراسات في نقد الادب العربي: يدوي طباته 203.

(2) ينظر: في الادب الجاهلي: طه حسين 327.

(3) ينظر: حديث الاربعاء: طه حسين 139.

(4) الادب العربي وتاريخه: محمود مصطفى 147.

(5) ينظر: تاريخ الادب العربي (الزيات) 156.

(6) ينظر: الحطيئة شاعر من عبقر: عبد اللـه انيس الطباع 14، 66.

وصفه ايضاً بقوله" ان الحطيئة شاعر ممتاز، لبق عرف كيف يسيء وعرف كيف يحسن، وعرف كيف يعيش بين الاساءة والاحسان" [1].

ويتابع احمد الاسكندري واحمد الهاشمي ما ذهب اليه الزيات اذ يظهر التشابه جليا في ارائهم ـ وان اختلفوا في الاسلوب بعض الشيء ـ وذلك في اتفاقهم على ان الحطيئة يكاد يكون افضل الشعراء المخضرمين على الاطلاق لولا ما وصم به من صفات تغض من شأنه [2].

ومما يجده سيد حنفي" انه متين الشعر خلاق التصوير [3].

ومتانة شعر الحطيئة هي التي دفعت الدكتورة سنية احمد للقول: " ان بعض نقاد القرن الثاني آثروا الشاعر الذي يتميز بمتانة بنائه اللغوي، وبهذه الصفة ذكروا الحطيئة" [4]؛ وقد ارجع الدكتور محمود الجادر متانة شعره الى تمسكه بالمفاهيم الجاهلية في الشعر[5].

ويذهب عبد القادر حسن أمين الى ان شعر الحطيئة" في جملته سلس مواتٍ، يأنس به القلب، ويستسيغه اللسان دون عثرات" [6].

ويظهر اعجاب عبد الغني خماس بشعره من خلال تشبيهه" بالسبيكة الذهبية من اين نظرت اليها استهوتك ببريقها، وقد شهد له الكل بأنه شاعر لا يجارى وصائغ لجواهر الكلام لا يبارى، فاذا مدح رفع ممدوحه، واذا هجا وضع من هجاه. كان متين الاسلوب محبوك العبارة، تتخلل ابياته موسيقى لها وقعها الخاص وسحرها الآخاذ" [7].

---

(1) المصدر السابق 66.

(2) ينظر: الوسيط في الادب العربي 162، جواهر الادب 382.

(3) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته 237.

(4) النقد عند اللغويين: سينة أحمد: 154. وينظر: تاريخ الادب العربي (فروخ): 1/ 257.

(5) ينظر: الثعالبي ناقداً واديبا: محمود عبد الله الجادر: 273.

(6) الحطيئة بين الهجاء والمديح: عبد القادر حسن أمين (مجلة آداب المستنصرية، ع 3، 1978) 67.

(7) الحطيئة الشاعر المفترى عليه: 32.

ومما نخلص اليه من خلال عرضنا لكل تلك الآراء ان شعر الحطيئة في جملته وباجماع النقاد يتصف بجزالة اللفظ ومتانة السبك وصفاء الديباجة. ولمكانته وعظيم شاعريته لم يكتف النقاد بعرض آرائهم في شعره عامة وانما اخذوا بدراسة الاغراض التي عالجها الشاعر في شعره وسنعرض تباعا لما قيل في فنونه الشعرية.

المدح

المدح فن من فنون الكلام يراد به الثناء على انسان بذكر فضائله وصفاته الحميدة. وقد أخذ الشعراء به وتعوده العرب منذ العصر الجاهلي، وان لم يكن له في اول الجاهلية مظهر خاص به يجني الفرد من ورائه مغنما [1]، وقد شاع المدح وكثر بعد تبذل الشعراء واتخاذه أداة للارتزاق ومهنة للتكسب [2]حتى شمل هذا الفن اغلب صفحات دواوين شعرائنا القدامى. اذ كان الشعراء يتحدثون عن خصالهم النبيلة وتغنون بالصفات والفضائل الانسانية التي يتمنون رؤيتها في ممدوحيهم كالكرم، والشجاعة، والتواضع والحلم، والصفح، وسعة الادراك والى غير ذلك من المزايا التي تهالك عليها الشعراء يطلونها بسحر القول واشراقه ويبرزونها بحلل متنوعة متجددة وبما يرضون به اذواقهم وممدوحيهم [3]، وكان الحطيئة اماما من أئمة هذا الباب.

والمدح عند الحطيئة لم يخرج عن نطاق ما تعارف عليه سائر الشعراء المداحين، اذ كان واحد من الشعراء الجوالين الذين يمدحون الاشراف لينالوا عطاياهم [4]. وقد انعكس اندفاعه ورغبته في الحصول على المال والعطايا

---

(1) ينظر: الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر والاسلام: 128.

(2) ينظر: ظاهرة التكسب بالشعر: 59، التكسب بالشعر: 16، الشعر الجاهلي (خفاجي):241.

(3) ينظر: الحياة الادبية في عصري الجاهلية وصدر الاسلام 129.

(4) تاريخ الادب العربي: بروكلمان 77/1. الحطيئة (حاوي) 67 – 68.

بشكل محسوس في مدائحه اذ اننا نلمس ما يهدهد به" شعور الممدوح بموسيقى شعرية تتصاعد من الاوزان والقوافي والالفاظ وتخلق جوا يبعث على العطاء وهو يرسل خلال تلك الموسيقى اقوال التزلف، لينة حينا، نافخة ببوق التبجيل والتعظيم حينا آخر، ويذكر من صفات الممدوح ما يفهمه ان الشاعر بحاجة اليه، ويصرح له ان الشاعر فقير معدم، ثم يحوط الطلب بصفات

اخرى للممدوح مشتقة من معاني الشجاعة والبأس"[1]. من ذلك ما نلمسه في مديحه لآل شماس وقومه اذ يقول[2]:

فليجزه الله خيرا من اخى ثقة	وليهده بهدى الخيرات هاديها
المخلف الالف بعد الالف تتلفها	والواهب المائة المعكاء راعيها
لله درهم قوما ذوي حسب	يوما اذا جلبةٌ حلت مراسيها
أهل الحفاظ اذا ما أزمة أزمت	بالناس حاضرهم منها وباديها
والموثقون لجار البيت ان عقدوا	ومنهم سابق الجلّى وداعيها

و الحطيئة وان لم يكن متفردا في هذا النمط من اساليب صياغة الفن الشعري الا انه احد المبرزين فيه وذلك لإلمامه به بعدما استقر فن المديح" وتحددت سننه واساليبه في شعر النابغة والاعشى ... ولهذا فاننا نكاد لا نشهد قصيدة للحطيئة في المدح الا وهي تجاري اسلوب المدح القديم، أكان ذلك في الاستهلال بالطلل والحبيبة والفلاة المقفرة ام في التنقل من موضوع الى آخر مع قليل او كثير مما دأب النقاد على تسميته بحسن التخلص"[3].

(1) الموجز في الادب العربي وتاريخه (الادب الجاهلي) 173/1، الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 190.
(2) الديوان 203. المعكاء: المكتنزة الغليظة، الجلبة: السنة الشديدة، الجلّى: الامر الشديد، داعيها: جالبها.
(3) الحطيئة (حاوي) 68.

يغطي المديح مساحة واسعة من شعر الحطيئة قد تصل لاكثر من نصف ديوانه، اذ يبلغ عدد قصائد المدح نده تسعة وخمسين قصيدة وقطعة وان اطول قصيدة في باب المدح قوامها اثنان واربعون بيتا [1]. ومعظم هذه القصائد المدحية في بني انف الناقة الذين استقدموه من جوار الزبرقان بن بدر واحسنوا استضافته واكرامه [2].

ان أهم ما يميز مدائح الحطيئة هو الصدق والبعد عن الغلو والكذب على الرغم من تكسب الشاعر بها [3]. وهنا تبرز قيمة مدائحه اذ" انه لا ينحل ممدوحه فضائل غيره ولا يبالغ في تصوير فضائله، وانما يستعرض ما عنده من حميد الخصال وشريف الفعال ويتمثله ثم يصوره في حذق وبراعة وصدق وامانة" [4] ومما يولد في النفس احساسا باصالة شعره، وعلى هذا فصدق الحطيئة دفع احد النقاد للقول: " قلما نجد قريضا يبلغ ما بلغه الحطيئة من صدق الاحساس بشمائل الممدوح والانفعال بكرمه، حتى انه لا يجد معنى لحياته اذاقضى الممدوح نحبه [5]، والى جانب ما يمتاز به مديحه من صدق فانه" يُشعرك بأنه دنه عارف ببواطن الامور واقف على حقائقها خبير بأطواء النفوس واسرارها وهذا ما يجعل شعره قوي اللفظ عذب الاسلوب وبما يكتسب الرضى ويستثير الاعجاب" [6].

من ذلك قوله في بني قريع [7]:

تزور امرأً يعطي على الحمد ماله ... ومن يعط اثمان المحامد يحمدِ

تزور امرً ان يعطك اليوم نائلاً ... بكفيه لا يمنعك من نائل الغدِ

---

(1) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة 27 (التتمة).

(2) ينظر: الحطيئة (حاوي) 69، الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 346.

(3) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة 27 (التتمة).

(4) عصر القرآن 79.

(5) الحطيئة بين الهجاء والمديح 75.

(6) الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 345.

(7) الديوان 161.

وقوله في مدح علقمة بن علاثه [1]:

فتى لا يضام الدهر ما عاش جاره   وليس لإدمان القرى بملولِ
اخو ثقة ضخم الدسيعة ماجد   كريم النثا مولاه غير ذليلِ
اذا الناس مدوا للفعال اكفهم   بذخت بعادي السراة طويلِ

ان بناء قصيدة المدح عند الحطيئة لا يخرج على نطاق ما تعارف عليه الشعراء في بناء القصيدة العربية، فغالبا ما يبتدىء الشاعر قصيدته بالغزل، والذي لا تتمثل فيه ذاتيه الشاعر بقدر ما تتمثل فيه قدرته العالية في الصناعة الشعرية، ومجاراته لكبار الشعراء في النظم [2]. ويرى الدكتور عبد القادر حسن امين، ان الحطيئة لم يعمد الى هذا الغزل الا ليساعده على تصعيد الجو النفسي والوجداني لتقبل كلمات المدح مغّلفة باحساس انفعالي، فاذا ما خلت القصيدة من المقدمة الغزلية او الطلية دلّ ذلك على ضعف في الاعداد وعدم اكتراث بمكانة الممدوح فضلا عما يشير الى نقص القصيدة وعدم تكاملها [3]، ومن ذلك قوله في مدحه لآل شماس [4]:

الا طرقتنا بعد ما هجعوا هند   وقد سرن غورا واستبان لنا نجد
الا حبذا هند وارض بها هند   وهند اتى من دونها النأي والبعد
اتت آل شماس بن لأي وانما   اتاهم بها الاحلام والحسب العدُّ
فان الشقي من تعادي صدورهم   وذو الجد من لانوا اليه ومن ودوا

(1) الديوان 9. اخو ثقة: يوثق به، الدسيعة: دفعة من المال، النثا: الذكر، بذخت: فخرت، بعادي: بمجد قديم.
(2) ينظر: الحطيئة (حاوي) 75.
(3) ينظر: الجطيئة بين الهجاء والمديح 70 ـ 71.
(4) الديوان 140.

ويجد الدكتور. طه حسين ان هذه الابيات " من خير ما قاله الجاهليون في المدح وهو على ذلك شديد التاثر بمدح زهير واسلوبه الشعري" [1].

اما عبد الغني خماس فيقرر انها من ارق القصائد الجاهية، وان الشاعر حملنا فيها للاعتقاد بأن آل شماس قد وهبوا بصفات عظيمة حتى اثبتت السيادة الا ان تحط في رحالهم [2].

وبعد ان ينتهي الشاعر من مقدمته ينتقل الى وصف الناقة" وهو اسلوب كلاسيكي درج عليه شعراء البادية اذ كان من دواعي الفخر لديهم ان يصفوا رواحلهم بصفات القوة والسرعة [3]، من ذلك قوله [4]:

فعدّ طلاب الجن عنها بجسرة تخيل في جدل الزمام ذمولِ

عذافره حرف كان قتودها على هقلة بالشيطين جفولِ

ويغلب على ظن الدكتور عبد القادر حسن امين انفراد الحطيئة بكلمة (فدى) قاصدا بها فداء نفسه وناقته للممدوح [5]، مثل قوله [6]:

فدى لابن بدر تاقتي ونسوعها وقل له، لا بل فداء له اهلي

وكما كان الحطيئة يعمد الى الاكثار من كلمة (مجد) في قصائده المدحية، لما تتضمنه الكلمة من فضائل يحرص الانسان العربي على اكتسابها [7].

(1) في الادب الجاهلي 330.

(2) ينظر: الحطيئة الشاعر المفترى عليه 41.

(3) الحطيئة بن الهجاء والمديح 74.

(4) الديوان 5. عدّ: اصرف، الجسرة: العظيمة، تخيل: تختال من نشاطها، العذافرة: الشديدة، الحرف: الضامر، القتود: عيدان الراحل، هقلة: نعامة، الشيطن: موضع، جفول: مسرعة.

(5) ينظر: الحطيئة بين الهجاء والمديح 75.

(6) الديوان 32.

(7) ينظر: الحطيئة بين الهجاء والمديح 76.

وتظهر قدرات الحطيئة في حسن بنائه الشعري بشكل واضح في مديحه لعمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه)، اذ انه لا يمدحه كما يمدح غيره من ولاة المسلمين لانه يعلم انـه يمـدح رجـلاً ، صلباً، عادلاً، " لا فائدة ترجى منه ان مدحه كما يمدح الاخرين فهو قيم على امـوال المسـلمين، لا يخرج منها الا بمقدار، ولا يصرف منها الا في وجه مباح، فلم يبقَ الا ان يستعطفه بأطفاله الجياع، وبأمهم التي لا تشبع، واتخذ من ذلك اسلوباً لم يدرج عليه في سائر مديحه" [(1)].

وخلاصة القول: ان الحطيئة شاعر ملمّ بالمدح متمكن فيه، وهو يجاري في بنـاء مدائحـه اسلوب ما تعـوده القـدماء في بنـاء مـدائحهم، وقـد كـان يعمـد الى ذكـر الفضـائل النفسـية عنـد ممدوحه، كـما كـان يلتفـت في مدائحـه الى البيئـة المحيطـة بـه، نـاقلا المعـاني الشـائعة، مغاليـا بالصعوبة التي اجتازها للوصول الى ممدوحه.

الهجاء:

اتجه الحطيئة الى فن اخر من فنون الشعر العربي الا وهو الهجاء، الـذي عُنـي بـه عنايـة فائقة، حتى اطلق عليه الشاعر الهجّاء [(2)].

ولكثرة اشتهار الحطيئة بالهجاء، وذهاب صيته فيه، تحاماه بعض الناس فرارا من لسانه ـ كما فعل حسان بن ثابت [(3)] والنهّاس العجلي [(4)] ـ في حين التف بعضهم حولـه ليسـتعينوا بـه عـلى منافسيهم [(5)].

---

(1) المصدر السابق 76 ـ 77.

(2) ينظر: دراسة الشعراء 274. والشاعر " الهجّاء ناقد بطبعه عياب، تسـترعيه حماقـات النـاس واخطـائهم اكـثر مـما تسـترعيه فضائلهم، والهجّاء ساخط على المجتمع ثائر على ما فيه ضيق به" الهجاء والهجّاءون في الجاهلية: محمد محمد حسين 27.

(3) يروى ان الحطيئة وقف مرة على حسان بن ثابت وهو ينشد، فقال حسان" كيف تسمع يا اعـرابي؟ قـال: مـا أسـمع بأسـا، قال حسان، أما تسمعون الى الاعرابي؟ ما كنيتك ايها الرجل، قال: أبو مليكـة، قـال: مـا كنـت أهـون عـليّ منـك حـين أكنيـت بأمرأة، فما أسمك؟ قال: الحطيئة، فوقع أسمه من حسان موقع الصاعقة، فاطرق رأسه، ثم قال: أمضِ بسلام" . الكامل 8.

(4) وقد مر ذكر قصته مع الحطيئة في الفصل الاول من هذه الدراسة، ينظر : رسالتنا

(5) ينظر: في الادب الجاهلي 326.

ويجد الدكتور محمد محمد حسين ان للحطيئة اثرا كبيرا في رفع قيمة هذا الفن، اذ كان الهجاء" في معظمه قليل الخطر من الناحية الفنية، حتى نبغ فيه شاعر كبير هو الحطيئة فارتفعت قيمته، وعظم خطره، فقد أحترف هذا الشاعر الهجاء، كما أحترف المديح...فأصبح الهجاء على يديه صناعة يقف عليها الشاعر جهده، ويتقن فيها ما يجعل لها الأثر المرجو في الناس" [(1)].

لقد عد الحطيئة" أهجى الشعراء القدامى" [(2)]، لما يتميز به من قوة تأثير عالية، اذ كان يعمد في هجائه الى سلب الفضائل النفسية من مهجويه معتمدا لذلك اسلوب الموازنة والمفاضلة [(3)]، من ذلك قوله [(4)]:

فإن تك ذا عزّ حديث فإنهم   لهم إرثِ مجد لم تخنه زوافرُه

وإن تك ذا شاء كثير فإنهم   ذوو جامل لا يهدأ الليل سامرُه

قروا جارك العيمان لما تركته   وقلّص عن برد الشراب مشافره

وفي هذه الابيات يوازن الشاعر بين الزبرقان بن بدر (مهجوه) وبين آل بغيض (ممدوحيه). وهنا تظهر براعة الشاعر، إذ يحتاج هذا الاسلوب الى مهارة عالية، لانه يتردد بين فنين من فنون التعبير: المديح والهجاء، ليظهر التفاوت بينهما [(5)]، وفي هذا تأثير بالغ في نفسية العربي ـ الذي يميل بطبعه الى المفاخرة ـ لان هذا الاسلوب غير محدد الدلالة، لاعتماده على التلميح دون التصريح، إذ المعاني تكون متوارية خلف التعبير [(6)].

إن احتراف الحطيئة للهجاء واتخاذه مورد رزق له، دفع الدكتور جلال الخياط للمغالاة في الحديث عن هجائه، حينما قرر انه لم يسلم أحد من هجائه

(1) الهجاء والهجاءون في الجاهلية 102.

(2) تاريخ الادب العربي (بركلمان) 2/ 77.

(3) ينظر: الهجاء والهجاءون في الجاهلية 109، الحطيئة (البستاني): (كد)، الشعر الجاهلي: (الجبوري) 239، دراسات في الادب الاسلامي 100، الهجاء الجاهلي: عباس بيومي 315.

(4) الديوان 184. زوافره: قومه أو انصاره، قروا: سقوا، تركته: جفوته، مشافره: شفته.

(5) ينظر: الشعر الجاهلي 315.

(6) ينظر: الشعر الجاهلي (خفاجي) 244، الهجاء الجاهلي 318.

حتى ابنائه [1]، وان كنا نؤمن بكثرة هجاء الحطيئة الا اننا لا نؤمن بهجائه لأبنائه لما عُرف عن حرص الحطيئة على ابنائه واهتمامه بتربيتهم وحبه لهم وعطفه عليهم.

و الحطيئة وان كان لاذع الهجاء [2]، الا ان اغلب النقاد لا يجدون في هجائه وبذاءة قول، ومن أوائل هؤلاء النقاد الدكتور طه حسين الذي قال: " كان الحطيئة هجّاءً لكن هجاءه أقل فحشا من هجاء أستاذيه أوس وزهير ولهذين الشاعرين من الهجو ما نستحي أن نورده في هذا الكتاب، فأما هجاء الحطيئة، فهو على شدته ولذعه قليل الحظ من الفحش، وربما غلبت عليه العفة. وهو حين يقصد الى الهجاء، انما ينال الناس من قبل منزلتهم الاجتماعية، وما كان العرب يحمدونه او يكرهونه من الاخلاق والخصال" [3] ويعلل البستاني هذا بان" الحطيئة كان نفعياً لا يتطلب من وراء الهجاء الا الكسب" [4].

وقد تبع الدكتور طه حسين عدد من النقاد، على حين ذهب عدد منهم لخلاف ذلك، مؤكدين فحش هجاءه [5]، دون ان يقدموا للقارئ ما يؤكد قولهم، ويدحض كلام الدكتور طه حسين واتباعه.

ان لبراعة الحطيئة وموهبته الفذة على خلق الصور وابتكارها، دور كبير في قوة هجائه وسرعة انتشاره بين الناس، على ما يرى الدكتور محمد حسين" بصيرة الهجاء الاصيل، في الاهتداء الى وجه الشبه بين موضوع هجائه،

---

(1) ينظر: التكسب بالشعر : جلال الخياط 17.

(2) ينظر: دراسة الشعراء 274.

(3) في الادب الجاهلي 326، ينظر: الموجز في تاريخ الادب العربي 176، في الادب العباسي: محمد مهدي البصير، تاريخ الادب العربي (الزيات) 156، نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة 29 (التتمة)، الوجه الآخر للحطيئة 98، الحطيئة بين الهجاء والمديح 79، عصر القرآن 81.

(4) الحطيئة (البستاني) كد.

(5) ينظر: الشعر الجاهلي (خفاجي) 224، الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 131.

وبين ابشع الصور، وابعثها على الضحك، وادعاها للزراية" [1]، ويذهب الناقد بعد ذلك للاستشـهاد ببعض ابيات الحطيئة ليدعم بها قوله، وهي [2]:

ابلـــغ بنـــي عـــبس بـــان نجارهـــم لــــــؤم وان ابـــــاهم كــــــالهجرس

يُعطـــي الخسيســـة راغبـــا مـــن رامهـــا بالضـــيم بعـــد تكلـــح وتعـــبس

لقد حاول ايليا حاوي ان يقدم لنا الخصائص العامة لهجاء الحطيئة، التي يمكن اجمالها بـ:

اولا: ان هجاء الحطيئة في مرحلته الاولى، ناتج عن اختلالـه الـنفسي والجسـدي، الا انـه حوله الى شيء طبيعي في ذاته، حتى اخذ يتكسب به كما يتكسب بالمديح.

ثانيا: ان اغلب صوره مستمدة من البيئة المحيطة به، وهي صور مادية ملتصقة بالحس.

ثالثا: استقلال القصيدة الهجائية، من اهم ميزات شعر الحطيئة، وهـذا ظـاهرفي معظـم قصائده كما في هجائه لأمه وزوجها وأخويه.

رابعا: الوحدة الفنية العضوية، والتي يندر وجودها في الشعر الجـاهلي المـخضرم، ولهـذا ارتباط وثيق باستقلالية القصيدة، وفي هذا يمثل الحطيئة ظاهرة خاصة في الشـعر الجاهلي.

خامسا: براعته في صياغة عباراته، وتماسكها بعضها مع بعض، وهذا يرجـع في الاصـل الى كثرة تنقيحه وتهذيبه لشعره.

---

(1) الهجاء والهجاءون في الجاهلية 111.

(2) الديوان 273. ينظر: المصدر السابق111. نجارهم: حسبهم وفصلهم، اهجرس: الثعلب، الخسيسة: الذل.

سادسا: اعتماده على تحليل الحالات النفسية، وذلك يظهر من خلال هجاء البخيل، اذ اعتمد فيه على تحليل نفسيته وما ينتابه من انفعال نفسي مع الاحداث.

سابعا: السخرية * والاستخفاف بما يطالعه في نفوس مهجويه، فيتندر عليه ضاحكا.

ثامنا: يهجو المهجو بتقصيره عن ادراك مثاله، فيما يكون هجاؤه بالتقصير من واقعه اشد واعظم [1].

لقد" شمخ الحطيئة باهاجيه" [2]، التي كان يغلب عليها الطبع، وإن كان الحطيئة من شعراء مذهب الصنعة والتنقيح الشعري، وهجاؤه في جملته" يقوم على البساطة في التعبير، ... والاخيلة البعيدة والملاءمات اللفظية" [3].

وعلى الرغم من قسوة هجاء الحطيئة الا انه كان فيه جانب كبير من النزاهة [4]، وقد حاول الدكتور عبد القادر حسن امين بيان ذلك من خلال موازنة هجاء الحطيئة بهجاء غيره من الشعراء، من ذلك موازنته بهجاء النجاشي الذي كان يسفّ في هجائه اذ يتناول فيه القبيلة والفرد كما فعل في هجاء الانصار واهل الرأي والحكم والشرف في العرب، وهذا ما لا نلمحه في هجاء الحطيئة،

---

* يرى د. شوقي ضيف ان الحطيئة استعار سخريته من استاذه زهير، فاشاعها في اهاجيه كما في هجائه للزبرقان بن بدر. ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) لشوقي ضيف 317، السخرية فيي الادب العربي: نعمان محمد امين 84 ـ 88.

(1) ينظر: فن الهجاء وتطوه عند العرب: ايليا حاوي 175 ـ 180.

(2) النقد العربي 539.

(3) الحطيئة البدوي المحترف 168.

(4) ينظر: عصر القرآن 81.

اذ قلما يتناول المهجو بالاذى والتشنيع ففي اعماقه رواسب حياء تمنعه من التطاول على الاخرين اكثر مما ينبغي [1].

ومما ينبغي الوقوف عنده قبل ان نطوي الحديث في هجائه، الاشارة الى بنية هذه القصائد، اذ التزم الشاعر في معظمها بالنمط التقليدي للقصيدة العربية، كما غلب العنصر التقليدي على لوحات افتتاحه، ويعلل الدكتور محمود الجادر هذا الامر باضطراب حياة الشاعر وانشغاله بها من جهة واهتمامه بالغرض الشعري من جهة اخرى، وهذا ما جعله يباشر الغرض في بعض قصائده [2]، وهذا ما نراه بوضوح في مقطوعاته الهجائية كما في هجائه لامه ولأبنيه وأخويه [3].

ونخلص من كل ذلك ان الحطيئة شاعر مقتدر في الهجاء كما هو في المديح لا بل انه اشتهر بالهجاء اكثر من شهرته بالمديح، وقد كانت صور هجائه مستمدة من واقع بيئته وما فيها من قيم ومثل عليا، وهي صور مادية تعبر بالحوادث والمشاهد عن المعاني الذهنية التي تدور في فكره وخياله معا، وتظهر براعته في طريقة توليف المعاني والافكار التي تدور في ذهنه مع الالفاظ التي تناسبها مما يكون له تأثير بالغ في نفس المهجو، وبذلك يكون الشاعر مصيبا للهدف الذي يسعى اليه في هجائه.

أغراضه الأخرى

إن اكثار الحطيئة من المديح والهجاء، دفع معظم النقاد للاهتمام بهذين الفنين دون سواهما، واكتفى قسم قليل منهم بالاشارة البسيطة الى اغراضه

---

(1) ينظر: الحطيئة بين الهجاء والمديح 81 ـ 82.

(2) ينظر: أوس بن حجر ورواته الجاهليين 323 ـ 324.

(3) ينظر: الديوان 273، 276، 277، 278، 281.

الاخرى، ولأجل الالمام بكل جوانب دراسة الشاعر ارتأينا ان نقف هنا لعرض تلك الاغراض على الرغم من قلتها.

ومن اول أغراضه الغزل، الذي عمد اليه في مقدمات بعض قصائده على عادة الشعراء، من ذلك ما استهل به مديح بغيض بن بدر [1]:

طافت أمامةُ بالركبان آونة	يا حسنه من قوامٍ، ما ومنتقبا
اذ تستبيك بمصقولٍ عوارضه	حمش اللثاث ترى في غربه شنبا
قد أخلفت عهدها من بعد جدّته	وكذبت حب ملهوفٍ وما كذبا

وحينما نقرأ هذه الابيات يحضر الى اذهاننا التساؤل الآتي: هل أنشد الحطيئة هذه الابيات وغيرها عن تجربة صادقة ومعاناة حقيقية أم أن غزله جاء نتيجة التزامه بالنمط التقليدي الذي التزمه الشعراء القدامى في البناء الشعري؟

ويختلف النقاد في الاجابة عن هذا التساؤل، فقد وجد ايليا حاوي ان الشاعر لم يعمد الى الغزل الا ليجاري الشعراء بطريقة النظم الشعري [2].

ويجد الدكتور عبد القادر حسن أمين ان غزل الحطيئة غزل بارد لا حرارة فيه لانه لم يصدر من قلب عانى الحب والهوى ولكن الشاعر لجأ اليه ليهيىء نفسه والممدوح للدخول الى غرضه الاساس [3].

ويرى الدكتور محمود الجادر ان الحطيئة وجد في الغزل متنفسا لمعاناته التي باعثها حرمان الشاعر من الجمال، واضطراب حياته التي لم تتح له استقرار في العواطف والمشاعر مما جعل غزله عميق الاحساس بالجمال، تظهر فيه قدرة الشاعر على التشخيص، اذ تكاد صور المرأة في غزل الحطيئة تقارب الى حد ما صورتها عند امرئ القيس اذ يتابع كل منهما المحاسن الجسدية،

---

(1) الديوان 121.

(2) ينظر: الحطيئة (حاوي) 71.

(3) ينظر: الحطيئة بين الهجاء والمديح 70 - 71.

على ان الحطيئة قد لا يعنى بمتابعة محاسن المرأة، وانما يفرغ لبعض عناصر الجمال، اذ لايخرج تشخيصه عن الاستعانة بصور الظباء والأدم والبقر الوحشي، وحينما يفرغ لمشهد واحد من مشاهد الجمال فانه يقلبه على وجوهه كافة [(1)].

اما بالنسبة لتعدد أسماء محبوباته كما في قوله [(2)]:

يـــا دار هنـــد عفـــت إلا أثافيهـــا ... بـــين الطـــوى فصـــارت فواديهـــا

وقوله [(3)]:

عفـــا مســـحلان مـــن ســـليمى فحـــامره ... تمشي بـــه ظلمانـــه وجـــاذره

وقوله [(4)]:

شـاقتـــــك أضعــــان لليلـــــ ... ـــلـــى يـــوم ناظـــرة بواكـــر

في الآل ترفعهـــــا الحــــــداهُ ... كأنـــــها سحـــــقٌ مـواقـــر

فمن هند الى سلمى الى ليلى. ولم يعط د. عبد القادر حسن أمين الحكم الفصل في هذه المسألة إذ قال: " وتعددها يوحي الى حب مرحلي صادق، او حب مصطنع تقتضيه الاعراف، بعيدا عن دوافع الوجد والتلهف" [(5)].

---

(1) ينظر: شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين 316 – 318، وينظر: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه 245.

(2) الديوان 201. الأثافي: الحجارة التي يوضع عليها القدر.

(3) الديوان 180. مسحلان وحامر: موضعان، ظلمان: ذكر النعام، الجاذر: اولاد البقر.

(4) الديوان 165. سحقٌ: نخل طوال، شبه الظعن بالنخل، المواقر: الكثيرة الحمل.

(5) الحطيئة بين الهجاء والمديح 71.

على حين يظن الدكتور محمود الجادر ان" (ليلى) اسم حقيقي أو رمز لامرأة بعينها في الأقل، فالحطيئة يصر على استخدامه في لوحات الظعن ذات الطابع الغزلي أو التي تنفتح على لوحة الغزل" [1].

ويبدو ان أعجاب الحطيئة وحبه لزوجته واضحا، إذ تغزّل بها في بعض مقدمات قصائده، من ذلك تغزله بها في مقدمة مديحه لبني أنف الناقة، إذ قال [2]:

آثرتُ إدلاجي على ليل حرةٍ هضيم الحشا حُسانةِ المتجردِ

إذ النوم ألهاها عن الزاد خلتها بُعيد الكرى باتت على طي مُجسدِ

إذا ارتفقت فوق الفراش حسبتها تخاف انبتات الخصر ما لم تشددِ

إذ يبين ان جمال زوجته الفتان لم يصرفه عن رحلته، وهو يصرح بجمالها، ويجد الدكتور حسين عطوان ان الحطيئة أظهر انشغاله بجمالها المادي، إذ ألح إلحاحا شديدا في وصف مفاتنها مستعينا ببعض التشبيهات الحسية [3].

ومما ينبغي ذكره، احتواء الديوان على قصيدة منفردة في الغزل، التي يقول فيها [4]:

---

(1) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين 313.

(2) الديوان 147. الادلاج: السير في الليل، المتجرد: الجسم، الهاها: غلبها، الجساد : الزعفران، الانبتات: الانقطاع.

(3) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في صدر الاسلام: حسين عطوان 48.

(4) الديوان361 العُيّاف: الذين يزجون الطير، الحمول: الابل، خيبري الدوالح: النخل الموقر اراد المنسوب الى خيبر، اثاث: كثير السعف، غرب: الدلو الضخمة، ناضح: البعير الذي يجر الدلو الضخمة، الجون: الماء الابيض ويكون الاسود في لونه، الاباطح: بطون الاودية، غريض: طري.

أَلم تســـأل العُيّـــاف ان كنـــت صـــادقا غـــداة اللـــوى مـــا أنبأتـــك البـــوارح

يسرع الفـــــراق اذ تولـــــت حمولهـــــا كـــــما يســـــتقل الخيـــــبري الـــــدوالح

أثاثـــــــاً اعاليـــــــه رواء اصـــــــوله ســـقاه بمـــاء البـــئر غـــرب وناضـــح

اذ ذقـــت فاهـــا ذقـــت طعـــم مدامـــة بنطفـــة جـــون ســـال منـــه الابـــاطح

غـــريض جـــرت فيـــه الصـــبابين منحنـــى واعيـــــاص ســـــدر بينهـــــن مـــــراوح

والوصف فن اخر من الفنون التي طرقها الشاعر، وقد ذهب بعضهم الى القول فيه" كـان الحطيئة بارع الوصف، واسع الخيال، دقيق التصوير" [1]، ودليلهم في هذا وصفه للبخيـل، ومنـه قوله [2]:

كـــدحت بأظفـــاري وأعملـــت معـــولي فصـــادفت جلمـــودا مـــن الصـــخر املســـا

فقد اعجب قسم من النقاد بهذا البيت اعجابا شـديدا ـ فعمـدوا لدراسـته كـل عـلى وفـق منهجه الخاص [3] ـ لما فيها من صور جمالية تدل على سعة خيال الشاعر ودقته وبراعته في رسمها، ويبـدو ان اعجـاب الـدكتور عبـد المـنعم الخفـاجي و الـدكتور صـلاح الـدين المنجـد دفعهـما الى الاستغراب بان" يكون هذا التصوير الـدقيق مـن شـاعر جـاهلي، لان الشـاعر الجـاهلي لم يعـرف الغوص على المعاني، وتكوين الفكرة، والبعد في الخيال الى هـذا الحـد، وابياتـه هـذه تشـعر بـان الحطيئة شاعر سابق لوقته وكأنه فيها شاعر تقمص ثوب الحضارة العباسية قبـل ان تخلـق بمـائتي عام [4].

وقد اعجب هذان النقادان بقصيدته في وصف الاعرابي ـ (وطاوي ثلاث) ـ لما فيها من دقة وصف، وقوة رصف، وتأنق في الصياغة [5].

---

(1) الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 350.

(2) الديوان 282.

(3) سنعرض لدراستها في المنهج التحليلي.

(4) ينظر: الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 350.

(5) ينظر: المصدر السابق 351.

ويذهب قسم من النقاد للحديث عن وصف الناقة في مقـدمات قصـائده، ويعـدّ الـدكتور درويـش الجنـدي الحطيئـة مـن اعظـم شـعراء العربيـة عنايـة بوصـف الناقـة، اذ كـان يـتلمس المناسبات لوصفها، حتى برزت في شعره بروزا قويا [1].

ويجد الدكتور سيد حنفي ان الحطيئة قصّر في وصف الناقة والصيد، ولم يرد اجهاد نفسه بوصفها، لانه متعجل في الوصول الى الممدوح ليمدحه وينال عطاءه [2].

ويذهب الدكتور عبد القادر حسن امين انه لم يخرج عن النمط التقليدي في وصـف الناقـة والذي سار عليه معظم الشعراء في عصره [3].

اما الدكتور محمود الجادر فقد وجـد في دراسـته ان مشـهد الناقـة" يبـدو عنـد الحطيئـة مختصرا ومشدودا الى الاوصاف والتفاصيل التراثية، على انه استطاع ان يمنح بعـض اوصـافه عمقـا فنيا اتاحة له تمكنه من القول وقدرته الفنية المتميـزة، تلمـح ذلـك في قولـه يصـف ارتفـاع الناقـة وامتدادها:

"كـــأن هـــوي الـــريح بـــين فروجهـــا تجـــاوب اظـــآر عـــلى ربـــع ردي" [4].

ويعلل الدكتور محمود الجادر اطالة الحطيئة في وصف الناقة حينما مـدح بغيض ومـدح عمر بن الخطاب (رضي الـلـه عنه) انها بسبب اعتماده على معاني ووزن وقافية معلقة طرفـة في الاولى، ومعاني ووزن وقافية قصيدتين لعمر بن قميئة في الثانية [5].

---

(1) ينظر: الحطيئة البدوي المحترف 113.

ويرى د. درويش الجندي ان الحطيئة يستتبع وصف الناقة، وصف وحش الصحراء اذ يشبه الناقة احيانـا في سرعتهـا بـالحمار الوحشي، ثم ينتقل من الكلام على الناقة الى وصف الحمار الوحشي المشبه به، وكأن ذلك الوصف مقصودا لذاته، لم يجئ عرضاً وتبعا لوصف الناقة، ثم يعرض لوصف بعض مسال الصحراء، وقد يستتبع ذلك وصف الحروب. ينظر: المصدر السـابق 126 ـ 140.

(2) ينظر: الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية 216.

(3) ينظر: الحطيئة بين الهجاء والمديح 72.

(4) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين 396.

(5) ينظر: المصدر السابق 398.

اما رثاء الحطيئة فأغلبه يبتعد عن حرارة الرثاء، وربما كان اقوى رثاء للحطيئة هو قصيدته في رثاء علقمة بن علاثة التي لا تكاد تخرج عن اطار المديح، واغلب الظن انه قد اعدها لمديح علقمة وحينما وصل حوران ووجد علقمة قد توفي، ادخل في القصيدة قليلاً من التعديلات التي تقرّبها من الرّثاء [1]، ومنها قوله [2]:

الى القائل الفعال علقمة الندى	رحلت قلوصي تجتويها المناهلُ
الى ماجد الآباء فرع عثمثم	له عطن يوم التفاضل آهلُ
وما كان بيني لو لقيتك سالما	وبين الغنى الا ليال قلائلُ
لعمري لنعم المرء من آل جعفر	بحوران امسى اعلقته الحبائلُ
لقد غادرت حزما وبراً ونائلاً	ولبا اصيلاً خالفته المجاهلُ

اما الشكوى، ففي شعر الحطيئة شكوى، ارجعها بعضهم الى كثرة عياله وفقره من جهة وذهاب الشباب وتقدم السن من جهة ثانية [3]. ومن شكواه ما قاله لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعدما اطلقه من حبسه، واخذ عليه عهدا الا يعود الى هجاء الناس وايذائهم بهجائه، قال [4]:

اشكو اليك فاشكني ذرية	لا يشبعون وامهم لا تشبع
كثروا علي فلا يموت كبيرهم	حتى الحساب ولا الصغير المرضع
وجفاء مولاي الفنين بماله	وولوع نفس همها بي موزع
والخرقة القدمى وان عشيرتي	زرعوا الحروث واننا لا نزرع
فبعثت للشعراء مبعث داحس	او كالبسوس عقالها يتكوع
ومنعتني شتم البخيل فلم يخف	شتمي فاصبح امنا لا يفزع

(1) ينظر: الحطيئة البدوي المحترف 173.

(2) الديوان 24. عثمثم: شديد، يقال انه لرحب العطن اذا كان واسع الصدر بالمعروف.

(3) ينظر: الحطيئة البدوي المحترف 175.

(4) الديوان 210.

واخـــذت اطـــرار الكـــلام فلـــم تـــدع   شـــتما يضـــــر ولا مديحـــــا ينفـــــع

وقد دفعته حادثته مع الزبرقـان بـن بـدر الى الاعتـذار بالشـعر، ويعـد الـدكتور درويـش الجندي الاعتذار" اثرا للحياة الاسلامية في شعر الحطيئة، فلولا ان الاسلام الـذي كـان عمـر (رضي الـلـه عنه) شديدا في اقامة حدوده والتزام اصوله، قد حدّ من حرية القول وصان للناس حرماتهم واعراضهم ـ ما تعرض الحطيئة للسجن، ولما وقع في هذه الازمة النفسية التي دفعته الى ان يقـول شعرا في الاعتذار [1]. من اول اعتذاراته قوله [2]:

اعـــــــوذ بجـــــــدك اني امـــــــرؤ   ســـــقتني الاعـــادي اليـــك ســـجالا

فانـــــك خـــــير مـــــن الزبرقـــــان   اشـــــدُّ نكـــــالا وارجـــــى نـــــوالا

تحـــنّن عـــليّ ـ هـــداك المليـــكُ   ـ فـــإن لكـــــل مقـــــامٍ مقـــــالا

اما الفخر فقلما نجده في شعره، " لانه لم يكن له في الحقيقة ما يفخـر بـه، لا مـن الاصـل العريق، ولا من المناقب الشخصية الخاصة [3].

واخر اغراضه الحكمة، اذ نطـالع في ديـوان الحطيئـة ابياتـا قليلـة في الحكمـة، تـأثر فيهـا بأستاذه زهير، كما تأثر فيها بالاسلام [4]. من ذلك قوله [5]:

وان الجـــار مثـــل الضـــيف يغـــدو   لوجهتـــــه وان طـــــال الثـــــواء

(1) الحطيئة البدوي المحترف 176 ـ 177.

(2) الديوان 222.

(3) الحطيئة البدوي المحترف 171.

(4) ينظر: المصدر السابق 178.

(5) الديوان

ويرى ايليا حاوي التأمل واضحا في هذا البيت اذ يرى" ان الشاعر ارتقى من واقع الجيرة الى واقع الضيافة، مقابلا بينهما، محاولا ان يقيم الشبه. وهذه النزعة تدل على مدى تأثر الحطيئة بزهير ... الا ان حكمة الحطيئة تبدو اكثر حيوية من حكمة زهير، لانها اقرب اتصالا بوجدانه" [1].

ومن حكمته ايضا قوله [2]:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وقوله ايضا [3]:

ولست ارى السعادة جمع مال   ولكن التقيُّ هو السعيدُ
وتقوى الله خير الزاد ذخرا   وعند الله للاتقى مزيد

وقد تلمس قسم من النقاد ـ في هذه الابيات ـ اثر الاسلام في نفسية الشاعر، ويرى الدكتور محمد حسن درويش انه استعار معاني هذين البيتين من قول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم): " من اصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها [4].

ولا يبدو الدكتور محمد حسن درويش مصيباً تماما في استشهاده بهذا الحديث فالحديث يدل على شعور الانسان بالأمان والرضى والقناعة بما قسمه

---

(1) الحطيئة (حاوي) 86 ـ 87.
(2) الديوان 356.
(3) الديوان 294.
(4) سنن ابن ماجة: 2 / 451، رقم الحديث (4193) ـ ابواب الزهد ـ باب القناعة، ثم ينظر: تاريخ الادب العربي (درويش) 238. ينظر: الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام 270، الوجه الاخر للحطيئة 117.

الـلـه تعالى له وهذا المعنى يبتعد عن معنى الابيات، التي نجد معناها مستمدا من قوله عز وجل: " وتزودوا فإن خير الزاد التقوى [1] "

وقبل ان نختم الحديث عن اغراضه، نضع امام القارئ قصيدة الحطيئة التي تحـول فيهـا الى رجل حكيم يرى الحياة بعين المتبصر، اذ يقول ان الموت يلم بالانسـان فيفنـى، ويظـل المـوت بعده، ليلم بالآخرين [2]:

وقـــد قالـــت امامـــة هـــل تعـــزَّى	فعلـــت أمـــيم قـــد غلـــب العـــزاءُ
إذا مـــا العـــين فـــاض الـــدمع منهـــا	أقـــول بهـــا قـــذى وهـــو البكـــاءُ
لعمـــرك مـــا رأيـــت المـــرء تبقـــى	طريقتـــــه وان طـــــال البقـــــاءُ
عـــلى ريـــب المنـــون تداولتـــه	فأفنتـــه ولـــيس لهـــا فنـــاءُ
إذا ذهـــب الشـــباب فبـــانَ منـــهُ	فلـــيس لمـــا مضـــى منـــه لقـــاءُ
يصـــبّ الى الحيـــاة ويشـــتهيها	وفي طـــول الحيـــاة لـــه عنـــاءُ
فمنهـــا أن يقـــاد بـــه بعـــيرٌ	ذلـــولٌ حـــين يهـــترشُ الضّراء
ومنهـــا أن ينـــوءَ عـــلى يديـــه	ويظهـــر في تراقيـــه انحنـــاءُ
ويأخـــذه الهـــداج إذا هـــداهُ	وليـــد الحـــيّ في يـــده الـــرداءُ
وينظـــر حولـــه فـــيرى بنيـــهِ	حـــواءَ مـــن ورائهـــم حـــواءُ
ويحلـــف حلفـــةً لبنـــي بنيـــهِ	لأمســـوا معطشـــينَ وهـــم رواءُ
ويـــأمرُ بـــالجمالِ فـــلا تُعشـــّى	إذا أمســـى وإن قـــرُبَ العشـــاءُ
إذا كـــان الشـــتاء فـــإدفئوني	فـــان الشـــيخ يهدمـــه الشـــتاءُ
وأمـــا حـــين يـــذهبُ كـــلُّ قـــرّ	فســـربالٌ خفيـــفٌ أو رداءُ

والقصيدة تؤكد لنا قدرة الحطيئة وتمكنه من هذا الغرض الشعري الجليل، الـذي اسـتمد معانيه من استاذه زهير، ومن البيئة التي عاش فيها.

---

(1) سورة البقرة: الاية 197.

(2) الديوان 109. ريب المنون: حوادث الدهر، الهداج: مشى سريع في تقارب خطو، هداه: تقدمه الحواء: الاخبيـة المجنمعـة، معطشين: أي إبلهم عطاش.

المبحث الثاني

المنهج النفسي:

لم يقــف النقــد العــربي عنــد القواعــد التــي أرسى أصــولها نقادنــا القــدامى، فقــد اخــذ يفــتح ابوابــا جديــدة في الدراســة العلميــة والأدبيــة بفضــل دراســة قســم مــن النقاد بالغرب، والتعرف على علومهم ومناهجهم النقدية الحديثة التي اخـذوا بهـا في دراستــهم، لذا انبرى عدد من نقادنا للاخذ بتلك المناهج وتطبيقها على نتاجنا الادبي، وكان المنهج النفسي أحد تلك المناهج التي عملوا بها [1]، وتتمثل مهمة دعاته بالنفوذ وراء الالفاظ الشعرية لتحليل نفسـية قائليها ومعرفة الوسط الذي ينتمون اليه والوقـوف عـلى حـالاتهم الاجتماعيـة والذهنيـة للارتبـاط الوثيق بين الشاعر وكل عناصر الوجود [2]. ولا يمكـن عنـدهم تمثـل شـعر شـاعر الا في ضـوء تتبـع الجذور الخفية التي كانت تتفاعل بعضـا بـبعض وراء وجدانـه صـادرة الى الخـارج بتلـك الصـياغة الشعرية،[3] وعلى هذا فتحليل الشخصية الادبية ومعرفة الحوافز والدوافع المحركة لها يعـين عـلى الفهم الصحيح للنتاج الادبي لتلك الشخصـية ؛ إذ " ان القصـيدة جـزء مكتـوب مـن الشـاعر عنـه، واقتطـاع موثـوق مـن مشـاعره وتصـورات مخيلتـه، وتعبـير يظـل صـادقا مهـما مـورس فيـه التمويه والتعميم على حالات ذلك الشاعر ودواخله. والقصـيدة بعـد هـذا وذاك قـادرة ان تكـون

---

(1) هناك عدد من المناهج النقدية التي ظهرت في القرن العشرين ومنها: المـنهج الانطبـاعي والمـنهج العلمـي، والمـنهج الاسـلوبي والمنهج التأثري ...، ينظر: مقدمة في النقد الادبي: علي جواد الطاهر: 382.

(2) ينظر: نفسية الشاعر في شعره (الكاتب مجهول): مجلة الاقلام: ع 1 / 9، ع 2 / 63.

(3) ينظر: الحطيئة (حاوي): 22.

عرضا مقبولا لحالات الشاعر ؛ ومن القصيدة يمكن للناقد ان يقرأ الشاعر قراءة نفسية خاصة [1].

و الحطيئة احد الذين اخضعوا لهذا المنهج البحثي لاسيما انه كان مثار جدل النقاد.ففي الوقت الذي يوصف فيه بابشع الصفات النفسية يوسم شعره بالعلو والرفعة وهذا ما يطرح امامنا التساؤل الآتي: كيف لمثل هذه الشخصية التي ما برح النقاد يصفونها بالخسة والدناءة والضعة ان تنتج لنا شعرا قيل فيه: ما من شعر الا وفيه عيب او مطعن الا شعر الحطيئة [2]، ولعل هذا التساؤل يدعونا الى ان نقف لننظر بعين ثاقبة ونتفحص كل ما قيل فيه مستقرئين ما وصل الينا من اخبار وروايات عن حياته مستندين الى العقل والمنطق للتسليم بصحة تلك الاخبار او رفضها للوصول الى الحقيقة.

لقد كان الحطيئة واحدا من الذين" يعانون من وطأة الخطيئة.. ويحملون في نفوسهم لعنة ذواتهم ولعنة القدر [3]. وقد تجلت معاناته وعذابه النفسي الشديد في شعره الذي رسم لنا اكثر من صورة لمعنى التمرد الاجتماعي، الامر الذي يدعونا لتمثل واقعه بالنسبة للبيئة التي عاش فيها وبما يساعدنا على دراسة الواقع النفسي والاجتماعي لشخصيته والذي يؤدي حتما الى نتائج قد تغاير فعلا ما تعارفت عليه الروايات والاخبار عنه.

ان الحياة الاجتماعية التي كانت تدور في فلك الجزيرة العربية كان يسودها الصراع والنضال من اجل الحصول على موارد العيش واسبابه والشرف ودواعيه [4]، ولقد كانت حروب العرب وايامها الكثيرة والسبي والنهب مدعاة الى الاسترقاق وافراز طبقة من الاماء والعبيد واللقطاء وهي طبقة كانت تعاني من حال سيئ جدا في المجتمع العربي وهذا طبيعي في مجتمع تطغى عليه العصبية [5].

---

(1) نقد الشعر في المنظور النفسي: 76.

(2) ينظر: طبقات فحول الشعراء: 104/1، الاغاني: 165/2.

(3) الحطيئة (حاوي): 22.

(4) ينظر: الحطيئة البدوي المحترف: 31.

(5) ينظر: المصدر السابق: 31ـ33.

ولم يكـن المجتمـع العـربي يغفـر للانسـان خطيئـة الأصـل، فـالعرب يقدسـون شرف الاصل ويحفظون الانساب ويباهون بها ويقـدرون الأحسـاب تقـديرا لم يكـن في بيئـة اخـرى الامـر الذي دعاهم لاحتقار الحطيئة والحط منه" لانه نتاج الجانب المظلم من جوانب النسـل العـربي" (1). فهـو ثمـرة لعلاقـة غـير شرعيـة بـين جاريـة وسـيدها وهـذا مـا جعـل النـاس يرمونـه بـدناءة النسـب ووضـاعته (2).وعـلى هـذا فمشـكلة الحطيئـة الاساسـية، وكـما يقـول ايليـا حـاوي" لم تكن من صنع يديه ولم تجهض بها نفسـه، بـل قـدرت لـه قبـل ان يولـد فظـل يعـاني جريرتهـا طيلة حياته. لقد أتى الى هذا العالم ليكفر عـن ذنـب لم تقترفـه يـداه، بـل قـدّر لـه وأصيب بـه منـذ ان كـان نطفـة غامضـة لا شـكل ولا شـأن لهـا" (3). فقـد ولـد الحطيئـة عبـدا وفـتح عينيـه ورأى كيـف تعامـل أمـه معاملـة الإمـاء القاسـية، اذ لم يكـن العـرب يسـاوون الإمـاء في الحقـوق والمعاملة ولم يكن زواج العربي منهن اكثر من نزوة عابرة، وقد كان ابغض ما يبغضه العربي ان تلد أمتـه منـه، الأمـر الـذي جعـل عـرب الجاهليـة يسـتعبدون بنـي امـائهم ولا يعترفـون بنسـبتهم اليهم الا اذا اظهروا نجابة متميزة (4)، وكان العرب " يطلقون على ابن الامة لفظ الهجـين وهـو

---

(1) المصدر السابق: 34.

(2) لم يدفع احد دناءة النسب عن الحطيئة الا عبد الغني خماس الذي حاول نفي هذه الصفة مستدلا لذلك في اتصال الحطيئـة برجال لهم مركزهم في المجتمع العربي حينذاك، مثل اتصاله بزهير بن ابي سلمى وحضور مجلسه والتعلم على يديه، واتصاله بخليفة المسلمين عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه) وسؤال عمر للحطياة عن قومه وتصديق عمر له، فضلا عن اتصاله بعدد من ولاة المسلمين مثل سعيد بن العاص وابي موسى الاشعري والزبرقان بن بدر وغيرهم. وهذا الكلام وان كان يحمل في ثناياه شيئا من الصحة فلا يمكن الاستدلال به اذ ان حجة عبد الغني ضـعيفة ولم يقـل بهـا احـد غـيره مـن نقادنـا.ينظـر: الحطيئـة الشاعر المفترى عليه: 21ـ22.

(3) الحطيئة (حاوي): 23.

(4) ينظر: الحطيئة البدوي المحترف: 34.

اذ اثبت عنترة جدارة بالشجاعة والبطولة للحصول على اعتراف ابيه بنسبته اليه، وعلى هذا قد يثار سؤال: فما جهـاد الحطيئـة لاجل الحصول على نسبه؟! ونجيب قد وجد الحطيئة جهادا اخر يتجلى في الهجاء وصـب جـام غضبه عـلى النـاس مـن خـلال موهبته الخلاقة خصوصا وانه لم يكن قوي البنية ليقتحم الوغى وينازل الفرسان. ولم يكن يعرف من هو والـده الحقيقـي حتـى يناضل في سبيل الحصول على اعترافه.

لفظ يشعر معناه اللغوي الدال على اللؤم والخسة بمدى احتقار العرب لابناء الاماء [1]، ولم تكن هذه التسمية الوحيدة التي تشعره بالمهانة والذل، فالحطيئة لقب قصد به التحقير والتقليل من شأنه[2]، واسم امه الضراء قصد به المبالغة بالضر. وكلها اسماء تدل على نقص او عيب، وقد التفت عبد الغني خماس لهذا الامر في معرض دفاعه عن الحطيئة متسائلا: " أهي الصدفة وحدها جمعت هذه العيوب في تلك الاسماء والالقاب والكنى المشينة، أم أن هناك من يخترع هذه الاسماء والالقاب والكنى المشينة ويلصقها بالشاعر [3] والحق اننا لا نؤمن ان يكون اجتماع كل تلك الاسماء، من قبيل الصدفة، أو أن الرواة لم يكن لهم أثر في تقليل شانه والامعان في تشويه صورته.

ان كانت هذه التسميات لشاعرنا قد اشعرته بالمهانه والالم وولدت فيه عقدة نفسية، فإن قبح مظهره وتكوينه الخلقي، زادا من معاناته وحملاه على الاستياء من نفسه والسخرية بها حتى قال هاجيا نفسه [4]:

ابت شفتاي اليوم الا تكلما بشر فما ادري لمن انا قائله
ارى لي وجها شوه الله خلقه فقبّح من وجه، وقبّح حامله

فهو يعمد هنا الى الهجاء الشخصي [5] اذ يسخر من وجهه القبيح الذي قد يكون احد الاسباب التي جعلت الناس لا يحبونه وينفرون منه، مما زاده حقدا ونقما على المجتمع" فهجاؤه لذاته لم يكن وسيلة للهو والمجون [6]" ولعل هذين البيتين يوضحان لنا" ان الشاعر كان دائم الالتفات الى نفسه، يتفكر بواقعه، يتعقد في شعوره بالاختلاف عن الناس فتنبري من اعماق نفسه تلك النقمة المشبعة

---

(1) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 26.
(2) ينظر: رسالتنا (التمهيد): 2.
(3) الحطيئة: الشاعر المفترى عليه: 71.
(4) الديوان: 282.
(5) وقد نضج هدا الهجاء في القرن الاول الهجري في بيئة العراق بالتحديد. للاستزادة ينظر: الهجاء والهجاءون في صدر الاسلام: محمد محمد حسين: 97 ,
(6) في النقد والادب: ايليا حاوي: 1 / 18.

بروح الدمار والتشويه [1] وسخرية الحطيئة هنا وان كانت تدعونا الى الابتسامة الا انها تدل على مدى الاستياء والتمرّد على الذات، وقد ذهب الدكتور عناد غزوان الى تفسير هذه السخرية الى ان الحطيئة" سعى دائما الى ان يكون بخلاف هذا الشكل وما قدر له ان ينتهي اليه من دمامة بيد انه لا يستطع الهروب من ذلك الواقع المرير الا بالنقمة الصارخة، واللعنة الصريحة خصوصا بعد ان أصبحت ذاته الواعية المثالية تكره ذاته الواقعية المشوهة، لذلك نراه يستاء من وجهه ويلعن ذاته، تلك هي عقدة الذات والخلقة، ولقد لعبت دورا كبيرا في اغناء صوره الهجائية بروح السخرية والنقد الاجتماعي اللاذع [2].

وتجد الدكتورة ابتسام الصفار ان الروح روح السخرية" اصلية في نفس الحطيئة فهو من أولئك الذين احسوا ببشاعة خلقهم فلم ينطووا على نفوسهم ولم ينزووا عن العالم بل حاول ان يتغلب على هذه العلة ويبدو امام الناس غير مبال ببشاعة وجهه وقبح شكله، فهجاء الحطيئة لنفسه ووصفه لشكله يجب ان لا نأخذه مأخذ الجد، وإنما يشبه الجاحظ الى حد ما حين كان يحدث عن نفسه نوادر وطرائف نستشف منها سخريته من شكله او اعترافه بقبح منظره" [3].

ويرى د. نعمان محمد امين ان انطباع شخصية الحطيئة بطابع السخرية يرجع لثلاثة عوامل:

---

(1) الحطيئة (حاوي): 37.

(2) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 20 ـ 21. (التتمة).

(3) الوجه الاخر للحطيئة: ابتسام الصفار: 106 (مج الاستاذ، ع1، 1987) وقد استشهدت الدكتورة ابتسام الصفار بنادرة الجاحظ المشهورة" والتي حدث فيها عن امراة اخذته الى الصائغ وأشارت الى وجهه بقولها (مثل هذا) فيجيبه الصائغ بانها ارادت ان يرسم لها على فص خاتمها صورة شيطان فقال لها: بانه لم يرَ الشيطان فأتت بالجاحظ"، وقد وجدت في هجائه شبها بهجاء ابي الريحان البيروني ـ وهذا ما وجدته من قبلها الدكتورة هند حسين طه ـ حينما اجاب ساخرا من شاعر بالغ في تمجيده لينال عطاءه، فقال:

وذاكرا في قوافي الشعر حسبي	ولست واللـه حقا عارفا نسبي
اذ لست اعرف جدي حق معرفة	وكيف اعرف جدي اذ جهلت ابي
ابي ابو لهب شيخ بلا ادب	نعم ووالدتي حمالة الحطب

ينظر: الادب في اقليم خوارزم هند حسين طه: 113، الوجه الآخر للجطيئة: 108.

اولهما: عدم اهتدائه لابيه، وهي العقدة التي لازمته طوال حياه، وجعلته حاقدا على مجتمعه.

ثانيهما: حرمانه ميراثه واحساسه بالفقر والظلم.

ثالثهما: قبح منظره [1].

ان نقمة الحطيئة وتمرده على اهله وبيئته من حوله كانت وليدة احساسه العميق بما لحقه من ذل ومهانة، ونتيجة معاناته النفيسة لما يجول في صدره من عذاب نفسي وألم بسبب ولادته الغامضة التي سلبته اهم حقوقه وهو نقاء النسب ولم تكن نقمته تلك الا امتداداً لنقمته على واقعه الذي لا يمكنه ان يتحرر منه. ويجد احد النقاد" ان انصراف الحطيئة للحطّ من قيمة اهله وقيمته هو بالذات، ليس سوى تنفيس عن تلك الحالة السوداء التي كانت تكبله وترهقه، دون ان يرى بُداً من التعبير عنها، ولقد كان الشعر الذي تولى فيه هجاء اهله، شبيهاً بالعويل الذي يعقب الالم، والذي لا يمكن للانسان ان يصمت دونه مهما تصبّر واتقى" [2].

وتظهر نقمة الحطيئة بوضوح على أمّه التي حملته عنوة فجعلته ساخطا عليها دون ان يقدر ظروفها بوصفها أمَه بائسة تباع وتشترى دون أي اختيار لها، وهي عنده" تمثل صورة نادرة للام" [3] التي لم يرَ بها مصدر الحنان والدفء بقدر ما رأى فيها من اللعنة والاثم، وهذا الشعور وإن بدا غريبا شاذا في نظر الاسوياء من الناس فهو طبيعي في نظره لانه موضوع مأساته ومعاناته فكان طبيعياً ان يدعو عليها بعقوق الانبياء ويتمنى لها الموت [4]، يقول [5]:

تنحـــي فاجلســـي منـــا بعيـــدا   اراح اللـــه منـــك العالمينـــا

اغربـــالا اذا اســـتودعت سرا   وكانونـــا عـــلى المتحـــدثينا

(1) السخرية في الادب العربي: 85 ـ 86.

(2) الحطيئة (حاوي): 35.

(3) المراة في الشعر الجاهلي: احمد الهاشمي: 210.

(4) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 29.

(5) الديوان: 277.

الم اوضـــح لـــــك البغضــــاء منــــي   ولكـــــــن لا اخالـــــــك تعقلينــــــا
حياتـــــك مــــا علمـــت حيــاة ســــوء   وموتـــــك قـــــد يســــر الصالحينــــا

والذي يعرف حياة الحطيئة لا يحق لـه ان يلومـه عـلى هـذا الهجـاء فهـو" لم يكـن ابنـا اعتياديا لام برة عطوف بل هو ابن معذب يشعر بالمعاناة مما لحقه من خطأ امـه" [1] ولم يقـف خطؤها عند هذا الحد بل امعنت فيه حينما خلطت عليـه امـر ابيـه والى أي رجـل ينسـب، وقـد عرض ذلك بقوله [2]:

تقـــــول لي الضراء لســـــت لواحــــدٍ   لأثنــــين فـــــانظر شركـــــا اولئـــــك
وانـــت امـــرؤ تبغـــي ابـــاً قـــد ضـــللته   هبلـــت! المـــا تســـتفق مـــن ضـــلالكا

فالحطيئة لم يعد يتحرّج من الحديث عن شعوره بالمهانة والذل، فقد علـل احـد البـاحثين هذه المسالة بأنها" في سويدائه اصبح كاولئـك الشـعراء الـذين نـدعوهم في عصرنـا الوجـوديين [3] والذين يساوون بين الخير والشر، بين الرذيلة والفضيلة، يتباهون بـالأولى ويعرضـون عـن الثانيـة" [4].

لم تكتـــف امــه بمــا فعلــت، فــزادت الطــين بلــة ـ كــما يقــال ـ" اذ اســاءت اليــه مــرة اخــرى عنــدما تزوجــت رجــلا عبســيا مــن ابنــاء الزنــا" [5] وهــو الكلــب بــن كنــيس الــذي يشــعر اســمه بالمهانــة والاحتقــار مــما زاده حنقــا وغيظــا عــلى امــه التــي زادت عليــة

(1) الوجه الاخر للحطيئة: 103.
(2) الديوان: 276.
(3) وهم اصحاب المذهب الوجودي الذي ظهر في العصر الحديث، والوجودية اكثر من فكرة عقلية، وهـي فكـرة فلسـفية، ولقـد ظهر في النقد بعض النقاد من اصحاب هذا المذهب، وهؤلاء يعتمدون النظر الى الانسان وفرديته، وما ينطوي عليـه عملـه الادبي من هدف او رسالة: ينظر: النقد الادبي من خلال تجاربي: 8.
(4) الحطيئة (حاوي): 39، ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 28.
(5) اوس بن حجر ورواته الجاهليين: 481.

طعنة اخرى من قبل نسبه، إذ أن زوجها وأبا إخوته لقيط [1]، وهذا ما دعـاه الى هجـائهما، قـائلاً :[2]

ولقـــد رايتـــك في النســـاء فســـاؤوني　　وابـــا نبيـــك فســـاءني في المجلـــس

فهو يستهل شعره بهجاء امه، مقابلاً بينها وبين سائر النساء وقوله هذا ينطـوي عـلى كثـير من البوح النفسي وبأسلوب غير مباشر، انه هجاء اسى واعتراف من الشاعر بجرحه الـداخلي الـذي يسيل في اعماق نفسه، والذي ينبغي الوقـوف عنـده هنـا اسـتنكار الـرواة هجـاء الحطيئـة لأمـه متناسين بذلك " انه هجا أماً كانت مصدر شقائه وسبب بلائه ومحنته [3].

وتظهر نقمة الحطيئة على ابيه وعمه وخاله الذين كان لهم نصيب من هجائه اذ يقول [4]:

لحـــاك اللـــه ثـــم لحـــاك حقـــا　　ابـــا ولحـــاك مـــن عـــم وخـــال

ويـــذهب الـــدكتور عنـــاد غـــزوان ـ للقـــول في هجائـــه لابيـــه ـ ان الحطيئـــة" اراد ان ينقل الحقيقة كما هي دون زيف او تشويه كي يكون اثرها في ذهن السامع واقعيا، حيث يولد الاحساس بها والاستجابه لها، وهو الهدف الذي يحـاول الشـاعر ان يجسـده ويظهـره للنـاس مـن خلال نقده لاهله بعد ان انتفى الواعز الاخلاقي في ذاته" [5]، وان كنا نتفق مع الدكتور عناد غزوان في بعض قوله هذا الا اننا نرجح هنا قول الـدكتورة ابتسـام الصـفار التـي تجـد ان شـعوره بـالمرارة

---

(1) ينظر: الوجه الاخر للحطيئة: 104.

(2) الديوان: 273.

(3) عصر القرآن: 75.

(4) الديوان: 276.

(5) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 31.

والخيبة هو الذي دفعه لمثل هذا القول، اذ كيف يمكن لشاعرنا ان يهجو اباه وعمه وهو جاهل لهما؟! [1].

لم تقف نقمة الحطيئة عند هذا الحد فقد امتدت لتشمل اخويه ـ من اوس بن مالك ـ اللذين حرماه حقوقه في ميراث ابيه مع علمهم بضعف حالته المادية والجسدية، فهما بذلك لم يكونا اقل قسوة وظلما من والديه، اذ لم يلحقه اخواه بنسبهما ولم يعطوه الا ثلاث نخلات على سبيل الاحسان والشفقة الامر الذي جعله يرفض الاقامة بينهما وهجاهما بالخسة واللؤم معبرا بذلك عن ألمه بذهاب حقه وعدم الاعتراف بشرعيته [2]، قال [3]:

لا تجمعا مالي وعرضي باطلا كلا لعمر ابيكما حبّاق
وكلاكما جرت جَعَارِ برجله نشبين بين مشيمته وملاق

فالشاعر يحدث اخويه بامر عرضه وماله وينهاهما عن التفاخر بأبيهما لأنهما مع هذا الوالد ليسا بأعظم منه من دون والد. ويظهر غضبه في ضوء تشبيه ولادتهما بولادة البهائم، ويستدل بعضهم هذا التشبيه" على ان الحطيئة كان ذا عصب كريه يشحذ خياله بالصورة المنكرة التي قلما تتيسر لسواه. والفن في الواقع، ليس سوى ذلك الخيال الذي يتحد اتحادا حيا بالعصب، فيتولد من اتحادهما صورة لا قبل للانسان العادي بها" [4].

ان انصراف الحطيئة للحط من قيمة اهله وذويه وتقليلها، ما هو الا صورة من صور التعبير عن حالته النفسية المظلمة لطفولته البائسة وشبابه الحزين،

(1) ينظر: الوجه الآخر للحطيئة: 105.
(2) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 32.
(3) الديوان: 281. جَعَارِ: اسم للضبع، يريد انهما خسيسان، وانهما خرجا من بطون امهاتهما بارجلهما قبل رؤوسهما.
(4) الحطيئة (حاوي): 34.

ويظهر فيها صوت الشاعر قويا، متمردا، ثائرا، ناقما، ساخرا من كل ما يمت بصلة الى واقعه البيتي دون ان يضع في حسابه علاقة الدم والقربى والنسب بينه وبين من يهجوهم من اهله[1] ويبدو لي ان الدكتور عناد غزوان من اكثر النقاد فهما لنفسية الحطيئة واقدرهم على النفوذ في اعماقه في محاولة لاستكشاف شخصية الحطيئة والوقوف على حقيقتها وقد اصاب حين قال: " ان الحطيئة يجابه الواقع بصراحة وجرأة، فلم يجد ما يمنعه من تعريف الواقع بحقيقه مأساته بعد ان تنكر له ولفظه. انه يتحداه ويسخط عليه. ان ذاته البريئة لم تعد تحتمل العذاب، الاهانة، الذل، فانطلق صوته الجريح متمردا ساخرا يصور الآم السنين التي ذاق مرارتها طفلا بريئا أو صبيا يافعا او شابا محروما. ان الهجاء الذاتي هذا كان نتيجة لصراع عنيف بين ذات الشاعر وبيئته، بين ذات بريئة جاءت لتشقى على الرغم منها، وبين بيت لا يرى أي معنى لذلك الشقاء ولايحاول فهم او استبطان خفاياه. ان رسم الصور، الساخرة في هجاء الحطيئة لا يمكن فصلها عن معنى الصراع الذاتي والاجتماعي الذي، عاش فيه الشاعر ردحا طويلا من الزمن [2].

اما هجاء الحطيئة لزوجته فيقول فيه [3]:

اطوف ما اطوف ثم آوي   الى بيت قعيدته لكاع

فلا يمكن ان يحمل الا على محمل الدعابة والسخرية كما أظهرته الروايات والاخبار عن حبه لزوجته وعلاقته الطيبة بها وبأبنائه وخوفه عليهم [4]. وقد بين احد الباحثين أن هجاءه لزوجته امر يستدعي التأمل، لأن حب الحطيئة

(1) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 30.
(2) المصدر السابق: 32.
(3) الديوان: 280.
(4) ينظر: الوجه الاخر للحطيئة: 108.

لزوجته كان" ظاهراً في مقدمات قصائده الكثيرة المدحية بصورة خاصة وكان وفيا لها، حدبا عليها وعلى بناته واولاده، وقد قارب وصفه لزوجته وصف النابغة لمتجردة النعمان وهذا تناقض ظاهر يشير الى اضطراب نفسي ورغبة جامحة في ان يقول شيئا يؤذي به الاخرين ليخفف مما يعاني من ضغط في اعماق النفس "[1].

ان الاضطراب النفسي عند الحطيئة يبدو اكثر وضوحا في هجائه لضيفه [2] الذي نزل به فقراه ولما ارتحل هجاه بقوله [3]:

لما رايتُ ان ما يبتغي القرِى	وان ابن اعيا لا محالةَ فاضحي
شددتُ حيازيمَ ابن اعيا بشربةٍ	على فاقةٍ سدّت اصولَ الجوانحِ
وما كنتُ مثل الكاهلّي وعرسه	بغى الودّ من مطروفة العين طامحِ

و الحطيئة يعترف انه قراه خوفا من ان يفضحه، الامر لذي يدفع للتساؤل:

كيف يمكن ان يقري ضيفه خوفا من ان يفضحه ثم يفضح نفسه بنفسه؟ وما الذي دفعه الى مثل هذا الاعتراف؟ . وقد اجاب ايليا حاوي عن هذه التساؤلات بالقول:" لا شك ان نفسية الحطيئة تجري وفقا لمنطق خاص، انه منطق التعقيد والسويداء والاختلال والكفر والسخرية، وكأن نفسه ازدوجت وتضاعفت فهنالك الذات الواقعية التي تتصرف وفقا للبيئة التي تعايشها وتدعي فضائلها وتتكيف بالنسبة اليها وهنالك الذات الوجدانية الكثيرة اللبس والتعقيد والتي لا ترى حرجا من التهزؤ بالذات الواقعية الاجتماعية" [4]. وقد وجد بعضهم ان هذه القصة جعلت الرواة يمعنون في تشويه صورة الحطيئة اذ زادوا

---

(1) الحطيئة بين الهجاء والمديح: 80 ـ 81.

(2) وهو صخر بن اعيا الاسدي.

(3) الديوان: 317. فاقة: ظمأ، الجوانح: الضلوع التي على القلب.

(4) الحطيئة (حاوي): 42.

عليه صورة اخرى وهي صورة البخيل يهجو اضيافه، وقالوا لم ينـزل به ضيف الا هجـاه مسـتندين في قولهم هذا الى الرواية السابقة [1] في حين لا يجده البعض الاخر بخيلا بقـدر مـا هـو حـريص في انفاقه للمال إذ أن شبح الفقر كان يلاحقه ويدفع به كي يمسك يده [2].

ان اضطراب نسـب الحطيئـة كـان مـدعاة لشـعوره بالضـياع واللاانـتماء القـبلي فولادتـه الغامضة لم تشعره برابطة الدم، ولم تمكنه من العيش في ظلال قبيلة معينة يتعصـب لهـا ويجعـل نفسه جنديا تحت لوائها، فضعة نسبه جعلته ينشأ حاقدا على المجتمع الذي يمجد النسب الصريح، ومن هنا لم يجد ضررا في هجاء قومه احيانا والتنقل بنسبه بين القبائل[3]. وتفسر الـدكتورة ابتسـام الصفار سبب تنقله بين القبائل وعدم اخلاصه لقبيلة معينة في أن أمه لم تطلعه عـلى هويـة ابيـه،" فهو حين يمتدح بني ذهل وينتسب اليهم فلأنه بلغـه ان ابـاه فـيهم، وحـين لا يحسـنون معاملتـه يغضب ليمتدح بني عبس لانه قيل له ايضا ان اباه فيهم ... ولو صدقته امه القول لبقي في قبيلته يدافع عنها، وتحميه وترعاه ... اما حين يشعر بالقلق لعدم وجود رابطه قويه بينه وبين الاخـرين فان ولاءه هو الاخر يلحقه القلق والتذبذب وفق معاملة القبيله له او اعترافها به" [4].

---

(1) ينظر: الوجه الاخر للحطيئة : 110.

(2) ينظر: نزعة التمرد والسخريه في شـعر الحطيئـة: 23 (التتمـه)، اوس بـن حجـر ورواتـه الجـاهليين: 70، الحطيئـة الشـاعر المفترى عليه: 24.

(3) ينظر: العصبيه القبليه واثرها في الشعر الاموي: احسان النص: 171.

ويرجح الدكتور محمود الجادر نسبة الحطيئة لبكر بن وائل قوم الافقم ـ وان اعترفت امه بنسبة ابيه لعبس واستقرار الحطيئـة ذاته بعبس ـ لسببين الاول: لشبهه بالافقم في خلقته، والثاني: انه اكثر مـن القـول في بكـر بـن وائـل والـح في الانتسـاب الـيهم. ينظر: اوس بن حجر ورواته الجاهليين: 63.

(4) الوجه الاخر للحطيئة: 103.

ويجد عمر فروخ ان قولها له انه ليس لواحد يفسر لنا تنقله بنسبه من قبيلة الى اخرى. ينظر: تاريخ الادب العربي: 1 / 331.

لم يكن الغموض الذي احاط ولادة الحطيئة ونشأته المؤثّر الفعال في تكوين شخصيته وتغذيتها وانضاجها بهذا الشكل بل هو الوجه الوحيد لشاعرية الحطيئة فقد " كان سيئ الحال، فكان محتاجا الى ان يرد عن نفسه عوادي الفقر والبؤس والاعدام، كان مشوّه الخَلْق فكان مضطرا الى ان يحكي نفسه من السخرية والاستهزاء فقد وكان كل شيء يقوي في نفسه سوء الظن بالناس وقبح الراي فيهم" [1]، حتى لم يجد مخرجا له الا بان يواجه الحياة في جرأة وقوة دون ان يلتفت لحقيقة واقعه وحياته، فيلقى الناس بوجه حاد ليواجه ما يقولون ليبعد عن نفسه اذاهم بأيذائهم ويرد تهجمهم عليه بسلاطة لسانه عليهم [2]، وقد اعانه في هذا ذلك" الفيض الشعري الذي شهره سلاحا ماضيا على كل من سلبه مقومات الشخصية القبلية التي كان دائم البحث عنها باعتبارها هويته ووجوده" [3] الامر الذي جعله يعمد احيانا للهجاء لينفس عما في داخله من شعور بالغضب والسخط لما يحيط به، فالهجاء عنده نتيجة عقدة نفسيه او لمركب نقص في داخله[4].

لم يكن الشعر ـ عموما والهجاء خصوصا ـ عند الحطيئة وسيلة دفاعية فقط بل ان الحاجة المادية كانت سبيله للتعويض عما هو عليه، اذ ان ظروف حياته" فرضت عليه الا يكون له الى العيش سبيل سوى التكسب بشعره اذ كان مجردا من كل مظاهر القوة في الجاهلية الا ما كان من قوة الشعر واثره" [5]. لذا تجول بين قبائل العرب وفي اوساط ساداتها ابتغاء ان ينال العطاء منهم على القصائد التي ينظمها او ان يعاقبهم بالهجاء اللاذع على بخلهم، فهو يتكسب بالترغيب حينا وبالترهيب حينا اخر، ويعلل الدكتور درويش الجندي سبب

---

(1) حديث الاربعاء: 1 / 131.

(2) ينظر: الهجاء والهجاؤن في الجاهليه: 102 ـ 103.

(3) القبيله في الشعر العربي قبل الاسلام (رسالة ماجستير): احمد اسماعيل النعيمي: 226.

(4) ينظر: الهجاء والهجاءون في الجاهليه: 27.

(5) ظاهرة التكسب واثرها في الشعر العربي ونقده: 56.

تكسبه بالقول"لاعصبيه تحد من بيع شعره للاخرين ونقس عالية ترى في اراقة ماء الوجه بالسؤال عيبا ومهانة،ولابسطة في الجسم وقوة في البدن تمكنه من العمل.. فلم يكن امامه الا الاستجداء بشعره وقوافيه مستغلا الصراع بين العصبيات واثر الشعر في الرفع والخفض [1]. وعلى هذا فاغلب شعر الحطيئة يقوم على المدح والهجاء، فهو يمدح الرجل حتى اذا ما قصر في عطاه او امتنع عنه هجاه بأشد الهجاء، وتبدو صور الهجاء عند الحطيئة نابعة من سخطه ودقه ملاحظته لواقع الحياة والناس من حوله مما جعلها تبدو وكأنها عفوية لم يبذل أي جهد فني في صياغتها وخلقها وبما يدل على قدرته الفائقة في رسم تلك الصور [2].

ان قوة هجاء الحطيئة وكثرة اطلاق لسانه في الناس بالسوء جعل اسم الحطيئة مرعبا مخشيا عند الكثير من وجهاء القوم فكرهه بعضهم، وتحاماه البعض الاخر ـ اشفاقا من لسانه ـ واتقوا شره بإكرامه واظهار المحبة والمودة له وان كانوا في حقيقتهم كارهين له [3]، كما صنعت قريش" اذ ارصدت له العطايا عندما علموا بقدومه المدينة [4] او كما فعل عتيبه بن النهّاس العجلي حينما حاول ان يتقي لسانه، فارسله للسوق مع غلامه ليشتري للحطيأة كل ما يريده، وبذلك يدفع عن نفسه غضب الحطيئة ويمنعه من هجائه وقومه [5].

---

(1) المصدر السابق: 57.

(2) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 29 (التتمة)

(3) ينظر: الادب العربي وتاريخه في عصر صدر الاسلام والدولة الاموية: محمود مصطفى: 144، الحطيئة بين الهجاء والمديح: 81، الشعراء نقادا: 83.

(4) ينظر: رسالتنا:

(5) ينظر: رسالتنا:

ويرفض عبد الغني خماس التسليم بصحة هذه القصة.للاستزادة ينظر: الحطيئة الشاعر المفترى عليه:21

ان تذبذب الحطيئة بين المدح والهجاء، وهجاءه لمن مدحه سابقا جعل القدماء يبالغون في تحقيره والتقليل من شانه، ويرجح الدكتور شوقي ضيف مبالغة القدماء والمحدثين في تشويه صورة الحطيئة لحادثته مع الزبرقان بن بدر [1]، على ان هذه الحادثة ـ كما يقول محقق الديوان ـ في غير حاجه الى هذا التهويل اذ لم يذنب الحطيئة بشان الزبرقان [2].

ويبدوا ان بعض المحدثين اكثر موضوعية وانصافا اذا أخضعوا احكامهم لمقاييس العقل والمنطق وذلك بعد استقراء للنصوص وتحليلها بشكل دقيق، وهذا ما جعل الدكتور طه حسين يقول: " اما الحطيئة نفسه فهو خليق بالاعجاب حقا اذ تبينا موقفه مع الزبرقان بشئ من الانصاف، فهو قد اطمان الى الزبرقان حين عرض عليه جواره، وما فيه من أمن ولبن وتمر، وهو قد سبقه الى ارضه ونزل ضيفا على امرأته وأقام وقتا غير قصير ينتظر عودته، ويلقى من امرأة الزبرقان جودا مدخولا الى حد ما ... وكان خصوم الزبرقان من ابناء عمه يغرون الحطيئة ويرغبونه ... والحطيئة يأبى عليهم، ولا يريد ان يأخذ الزبرقان بتقصير امراته وجهلها، حتى اذا طال اهمال امرأة الزبرقان له وإعراضها عنه، تحول الى هؤلاء الذين كانوا يغرونه، فتلقوه احسن لقاء ... وانتظروا منه هجاء الزبرقان فلم يفعل، ودعوه الى ذلك فلم يفعل ... لكن الزبرقان جر على نفسه الشر، فأغرى بابناء عمه من هجاهم، واضطر الحطيئة ان يدافع عن هؤلاء الذين اكرموه واغنوه، فكان في دفاعه ما اغضب الزبرقان [3]. ويضيف الدكتور طه حسين متسائلا بتعجب: " اترى الى هذا الرجل كيف وفى لصاحبه، واحتمل اعراض امراته! وكيف وفى لصاحبه بعد ان تحول عنه،

(1) ينظر: تاريخ الادب العربي (العصر الاسلامي): شوقي ضيف: 97.

(2) ينظر: الديوان: 46 (المقدمة).

(3) حديث الاربعاء: 1 / 133.

ولم يهجه الا كارها! على انه لم يسرف في هجائه، وانما غاظه واحفظه حين اغرق في مدح خصومه وتفضيلهم عليه"[1].

وقصة الحطيئة مع الزبرقان ـ على النحو الذي عرضه طه حسين ـ لا تدل مطلقا على سوء اخلاق الحطيئة او لؤمه، فهو" لم يطعن الزبرقان ولم يهجه حتى بعد انتقاله الى جوار آل بغيض واكرامهم له، وإنه لو كان طماعا دنيئا لإستجاب لآل بغيض منذ ان أغروه بالمال والجاه، ولأعانهم على هجاء الزبرقان ... و الحطيئة لم يكن قليل الوفاء او عديمه ولو كان كذلك لما طالب الزبرقان بإعادته اليه ... لانه يعلم حق العلم أن آل بغيض هم الذين حملوه على ترك جواره والانتقال الى جوارهم كسبا للشهرة التي قد تأتيهم من مديح الحطيئة لهم[2].

وتبدو مخاطبة الحطيئة للزبرقان ـ أول الأمر ـ اقرب للعتاب منه للهجاء[3]، اذ نجده يقدم له الاعتذار في مديحه لآل بغيض الذين احسنوا اليه واكرموه بعد ان طال به عناء الانتظار، وبعد ما تركته زوجة الزبرقان ذليلا جائعا. وحينما يعمد لهجاء الزبرقان بشكل صريح فإننا لا نجد سلاطة لسان كما وصفوا بها الحطيئة، ولعل اشد ما هجا به الزبرقان سينيته المشهورة التي تدل بعض رموزها" على ان الحطيئة كان متألما لما أصابه من إهانة، وتعريض بسمعته"[4]، واعظم ما هجاه به قوله[5]:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

---

(1) المصدر السابق: 1 / 133.

(2) الوجه الاخر للحطيئة: 96.

(3) ينظر: الحطيئة (حاوي): 53.

(4) نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة: 32 (التتمة).

(5) الديوان: 284.

فهو يعتمد ـ في هجائه هذا ـ على المعاني النفسية، وذلك باظهار خمول المهجو وضألة قدره وأمانيه اذ يكتفي من الحياة بالاكل واللباس [1]. وهذه القصيدة" وان غضت من شأن الزبرقان وحطت من كرامته الى حد ان شكا الحطيئة الى الخليفة، فإنها لا تشتمل على معنى قبيح او لفظ بذي او فاحش ينكر ايراده [2]. ومع ذلك فقد كان نصيب الشاعر السجن الذي كان حافزا لميل الشاعر الى المسكنة والرجاء للخلاص من سجنه، وذلك باستعطافه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) واستدرار رحمته [3]، قائلاً [4]:

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ   زغب الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ

وهنا تتجسد ـ كما يقول ايليا حاوي ـ" عاطفة الحطيئة الانسانية، وطالما عراه منها جماعة النقاد، فهو في قعر ذلك السجن يذكر اطفاله والبؤس الذي يلحق بهم عندما يبتعد عنهم [5].

وبعد فان حادثة الحطيئة مع الزبرقان لا ينبغي ان تدفعنا لعدّه واحدا من الذين يكفرون النعمة [6]، او قليلي الوفاء [7]، وقد حاول عبد العزيز الرفاعي ان يظهر وفاءه، ويبين ما في اعماق الحطيئة من ومضات تدل على مكارم الاخلاق، عارضا لذلك خبر الحطيئة مع زيد الخيل [8] الذي اطلق سراح الحطيئة ـ بدون فداء ـ بعد ان اسره مع بعض قومه، فما كان من الحطيئة الا

---

(1) ينظر: الحطيئة (حاوي): 56. ويؤول البيت الى اسم المفعول أي انت المطعوم المكسي.
(2) عصر القرآن: 82، و ينظر: الوجه الاخر للحطيئة: 98.
(3) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسي: 73.
(4) الديوان: 208.
(5) الحطيئة (حاوي): 98.
(6) ينظر: تاريخ الادب العربي في الجاهلية وصدر الاسلام: (درويش): 143.
(7) الموجز في تاريخ الادب العربي: 139.
(8) للاستزادة ينظر: الاغاني: 16 / 54. الديوان: 82 ـ 85.

ان يكون وفيا لزيد، فحينما طلبت منه بعض القبائل ان يهجو زيدا وقومه مقابل ان يدفعوا له مائة ناقة، قال والله لو جعلتموها الفا ما فعلت ذلك، اطلبوا غيري ... فقد حقن دمي واطلقني بغير فداء ... فلست بكافر نعمته ابدا. ف الحطيئة لم يستجب للغراء المادي، ولم يساوم في العطاء، وانما رفض بقوة اذ قال: كلا ولا الف ناقة ثانية. وهو خلق عظيم وحسنة يجب ان تذكر له فلا المال ولا الخوف منعا الحطيئة من هجاء زيد، لكنه الوفاء بالنعمة [(1)]. وهذا يعني انه انسان وفي حقا ولكن مع من يستحق الوفاء [(2)]. ويدعم موقفه هذا موقفه مع اوس بن حارثة بن لام الطائي الذي حاول حساده اغراء الحطيئة لهجاء اوس وذلك بان يدفعوا له ثلاثمائة ناقة، فأبى وقال: كيف اهجو رجلا لا ارى في بيتي اثاثا ولا مالاً الا من عنده، وهذا ينبئ عن وفائه لمن كان صادقا معه [(3)].

وتبقى مسألة اخرى ينبغي الوقوف عندها وهي تأخر إسلامه وما يظهر من ضعف دينه والذي حاول البعض تفسيره، بان اعتناقه للذين لم يكن الا خوفا واتقاء للسلطان [(4)]، اذ ان الإسلام لم يغير شيئا من نفسية الحطيئة ولم يرفع من وضاعتها [(5)] في حين يفسره البعض باملِه" بجر مغنم او دفع مغرم" [(6)].

وقد وجد د. طه حسين ان نفسيه الحطيئة اضطربت في الإسلام لأن سماحة الدين لم تمس قلبه، ولم تطمئن نفسيته الا في ايام خلافة معاوية حين عاد بعض سادة قريش في حياتهم لبعض بقايا الجاهلية [(7)].

---

(1) ينظر: وفاء الحطيئة: عبد العزيز الرفاعي. (مقال) (المجلة العربية، سنة 4، ع 3، 1980)

(2) ينظر: اوس بن حجر ورواته الجاهليين: 68.

(3) ينظر: الديوان: 86، القبيلة في شعر ما قبل الاسلام: 277.

(4) ينظر: في الادب الجاهلي: 325.

(5) ينظر: تاريخ الادب العربي (الزيات): 115.

(6) عصر القرآن: 73.

(7) ينظر: حديث الاربعاء: 1 / 134.

ان قلب الحطيئة ـ وكما يتصور الدكتور محمد محمد حسين ـ لم يرق للإسلام الذي يدعو الى الاخلاق الحميدة والقيم الفضيلة، فهو اعرابي غليظ فظّ لا يعرف من الحياة الا القسوة والعدوان. وبحكم ظروفه القاسية اصبح رقيق الدين، لا يفهم ان النبوة ليست وسيلة الملك وانما لنشر الحق والعدل والفضيلة [1]، واذ لم يكن الحطيئة واحدا من دعاة الدين او المصلحين الاجتماعيين فلا يعني بأنه انسان ملحد ومجنون في سلوكه الاجتماعي، بل هو انسان سوي لا يختلف عن عموم الناس في نظرتة للحياة التي ليست غريبة عن عصره وواقعه الذي يعيش فيه [2].

ولعل آخر ما بقي لدينا عن نفسيه الحطيئة ما روي عن اشتراك الحطيئة في القادسية [3]، وتجد الدكتورة ابتسام الصفار ان الخبر ينسجم مع نفسية الحطيئة القلقة فهو يتردد حين يسأل ان يكتب اسمه مع جيش الفاتحين وحينما يراجع نفسه تغلب عليه روح الخير فيعود مسرعا الى ابي موسى الاشعري (رضي الله عنه) ليكتب اسمه، الا انه يجد العدة قد تمت وابياته في مديح ابي موسى الاشعري (رضي الله عنه) ـ التي نفى بعض الرواة نسبتها اليه ـ يظهر فيها صدق اسفه وتحسره على ما فاته من شرف الاشتراك مع جيش المسلمين، كما تبرز فيها النزعة الدينية عنده من خلال تمثله لبعض المعاني القرآنية الكريمة [4]، من ذلك قوله [5]:

(1) ينظر: الهجاء والهجاءون في الجاهلية: 106.
(2) ينظر: نزعة التمرد والسخرية عند الحطيئة: 25 (التتمة)
(3) للاستزاده ينظر: الديوان: 224، الاغاني 11/ 28. تاريخ الطبري (تاريخ الملوك والرسل): 3 / 533. (حوادث سنة 14 هـ)
(4) يتظر: الوجه الاخر للحطيئة: 120.
(5) الديوان: 227. قِيس: قَدر.

يـا لهـف نـفسي عـلى بيـع هممـت بـه لـو نلتـه كـان بيـع الـرابح النـامي

اريـــده اذ نـــأى مـــني واتركــــه مـن بعـد مـا كـان منـي قـيس ابهـامي

ويظهر لنا ـ من كل ما عرضنا له ـ ان الحطيئة، قد واجه في طفولته المبكـرة مشـكلة مـن اهم المشكلات لدى الاطفال، وهي نوع العلاقة بالام التي تعيش معه بعيدا عن والده لانه لم يكن زوجها شرعا [1]، الامر الذي جعله ثائرا، متمردا، ميالا نحو الهجاء الـذي هـو ادل مـا يكـون عـلى نفسيته المزدوجة وبمعنى ادق فانه انعكاس حقيقـي لنفسـيته، اذ يبـدو الشـاعر فيـه اكـثر صـدقا وانفعالا عن سواه من اغراض الشـعر الاخـرى، اذ يعـبر في هجائـه عـن غضـبه وسـخطه باسـلوب هجومي ودفاعي في آن واحد ليقتصّ بذلك ممن أساؤوا اليه، وعملوا عـلى الانتقـاص مـن كرامتـه وسمعته.

(1) ينظر: الاسس النفسية للابداع الفني، مصطفى سويف: 73.

المبحث الثالث

المنهج التحليلي:

لقد افرزت الدراسات الادبية والنقدية عددا من المناهج، وكان المنهاج التحليلي احدها.

لقد عني المثقفون بالمنهج التحليلي في النقد، وتوجه قسم من النقاد في دراستهم الى تحليل العمل الادبي خارجيا من الناحية التاريخية، او السيكولوجية، ونظروا الى المؤثرات الخارجية التي شبّ فيها العمل الأدبي وتكوّن، والى البيئة التي ترعرع فيها، والى تأريخ حياة مؤلفه ... وقد ثار على هذا المنهج نقاد آخرون، فرأوا ان العمل الادبي ينظر فيه الى ذاته ووجوده لا الى كيفية وجوده، ويرون ان الناقد اذا نظر الى حياة الشاعر او الى بيئته، فانه يخرج عن اختصاصه، ويدخل في نطاق المؤرخ او عالم النفس او الاجتماع. ويعتمد هذا النقد التحليلي، تحليل بناء الاثر الادبي، القائم على اللفظ والصورة، ونسيجه القائم على النغم والحركة [1].

ونعرض هنا للمنهج التحليلي الذي يقدم لنا طريقة منهجية في التعامل مع النص، وكيفية فهمه وتحليله أو بتعبير أدق، الذي يمثل اهتماما بالنص من حيث كونه نصا ادبيا ينبغي التعامل معه بوصفه وحدة عضوية قائمة بذاتها، لنستطيع بعد ذلك دراسة الجوانب الاخرى التي تربط النص بالمجتمع او بالحياة او بالتاريخ او بحياة المؤلف [2].

وأصحاب المنهج التحليلي يدرسون العمل الادبي ـ والشعر منه على وجه التحديد ـ بوصفه بناءً متكاملاً. ومن هنا ينبغي الاشارة الى ان" اغلب نقادنا

---

(1) النقد الادبي من خلال تجاربي: 162.

(2) ينظر: النقد التطبيقي التحليلي: عدنان خالد عبد الله: 8 ـ 9.

القدامى جعلوا البيت الواحد مدار بحثهم، اذ درسوا علاقاته وأوصافه وعيوبه، واذ أورد بعضهم قصيدة كاملة، فليس من اجل دراستها نصاً موحدا على ما فعل الجرجاني عندما اورد قصيدة كاملة لجرير، الا انه لم يتحدث عن بنائها ووحداتها، اما من تحدثوا عن اجادة الاستهلال والتخلص والخاتمة، لانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور وتستميلهم الى الاصغاء، فلم يتحدثوا عنها على انها اجزاء من بناء موحد، وانما على انها ابيات مفردة مستقلة [1].

ولم يستثن الدكتور مرشد الزبيدي في هذا إلا عددا قليلا من النقاد، منهم ابن قتيبة وابن طباطبا والحاتمي الذي شبه القصيدة بجسم الانسان، من حيث ارتباط اعضائه بعضها ببعض ـ فضلا عن ابن رشيق القيرواني الذي تناول البناء الكلي للقصيدة، وذلك حينما تحدث عن اتقان بنية الشعر وتلاحم اجزائه ممثلا لذلك بأبيات الحطيئة. [2]

ان اتسام شعر الحطيئة بالترابط والوحدة الموضوعية، دفع بعض ناقدي الشعر لدراسته وتحليله بوصفه واحدا من افضل النماذج الشعرية للبناء المتكامل. ومن هنا دارت حوارات نقدية حول بعض قصائد الحطيئة التي كان لها تاثير بالغ لعظم خطابها، وسبك بنائها. ومن اول تلك القصائد قصيدته التي قالها في الزبرقان بن بدر [3]:

والله ما معشر لاموا امرء ا جنباً　　من آل لأي بن شماس بأكياس

ما كان بغيض لا ابا لكم　　في بائس جاء يحدوا اخر الناس

---

(1) بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر: مرشد الزبيدي: 69.

(2) المصدر السابق: 69.

(3) الديوان: 283 ـ 284. جنب: غريب، اكياس: عقلاء، مريتكم: طلبت ما عندكم، الدرة: اراد العطية، نظرتكم: ارتقبتكم، التنساس: العطش، الآسي: المداوي، مستوعر: مكان وعر، الشاس: المرتفع الغليظ، الارماس: القبور، فلت: ثلمت، النكس: النصل يقلب فيجعل اسفله اعلاه.

لقــــد مـــــريتكم لــــو ان درتكــــم   يومــا يجــيء بهــا مســحي وابســاسي

وقـــد مـــدحتكم عمـــدا لأرشـــدكم   كـــيما يكـــون لكـــم متحـــي وامـــراسي

وقـــد نظـــرتكم اعشـــاء صـــادرة   للخمـــس طـــال بهـــا حـــوزي وتنســـاسي

فـــما ملكـــت بـــان كانـــت نفوســـكم   كفـــارك كرهـــت ثـــوبي والبـــاسي

حتـــى اذا مـــا بـــدا لي غيـــب انفســـكم   ولم يكـــن لجراحـــي فـــيكم آسي

ازمعـــت ياســـا مبينـــا مـــن نـــوالكم   ولـــن تـــرى طـــاردا للحـــر كاليـــاس

مـــا كـــان ذنـــب بغـــيض ان راى رجـــلا   ذا فاقـــة عـــاش في مســـتوعر شـــاس

جـــارا لقـــوم اطـــالوا هـــون منـــزله   وغـــادروه مقـــيما بـــين ارمـــاس

ملـــوا قـــراه، وهرتـــه كلابهـــم   وجرحـــوه بأنيـــاب واضراس

ســـيري امـــام، اولاك الاكـــثرون حصى   والاكرمـــون ابـــا مـــن آل شـــماس

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا   واقعـــد فانـــك انـــت الطـــاعم الكـــاسي

وابعـــث يســـارا الى وفـــر مذممـــة   واحـــدج اليهـــا بـــذي عـــركين قنعـــاس

مـــن يفعـــل الخـــير لا يعـــدم جوازيـــه   لايـــذهب العـــرف بـــين اللـــه والنـــاس

مـــا كـــان ذنبـــي ان فلـــت معـــاولكم   مـــن آل لأي صـــفاة اصـــلها راسي

قـــد ناضـــلوك فسلـــوا مـــن كنانتهـــم   مجـــداً تليـــدا ونبـــلاً غيـــر انكـــاس

ان اول ما يستوقف الناقد هنا، غرض القصيدة، اذ جمع الشاعر فيها بين المديح - مديح آل شماس ـ والهجاء ـ هجاء الزبرقان بن بدر ـ ولم تجد الدكتورة حياة جاسم في ذلك ضيراً، اذ لا يعد ممكنا، في قولها" ان نحاسب الشاعر على ذلك، ونتهمه بأنه قد خرج على وحدة الغرض لأن تجربة الشاعر مع آل الزبرقان تكتمل بما وقع له مع آل شماس، فحين أهانه آل الزبرقان اكرمه آل شماس ... ولذلك فان هجاء الحطيئة للزبرقان يستتبع للضرورة مدحه لال

شماس، ومدحه لآل شماس يستتبع بالضروره هجاءه للزبرقان، لأنهما جانبان يكمل الواحد منهما الاخر في تجربة الشاعر [1].

وبعد فالقصيدة تفصح عما فيها من وصف للحطيئة لحاله مع الزبرقان بن بدر بن وآله الذين انكروا تحول الحطيئة عنهم الى آل شماس ومدحه اياهم، مبينا عذره فيما صنع موضحا ذلك من خلال عرض حاله بأسلوب خطابي مؤثر.

ويرى بعض النقاد في مقدمة القصيدة ما يدل على اللوم [2]، في حين يجد ايليا حاوي ان الشاعر بدأ قصيدته بالمرافعة لاقناع القوم باسباب مديحه آل شماس، الذين احسنوا اليه بعد ما اساء له آل الزبرقان [3].

ويخاطب الشاعر آل الزبرقان، معلنا لهم عن رغبته في مديحهم أولا إلا أن سوء عملهم دفعه الى غير ذلك، وقد تلمس الشاعر في خطابه بعض صور التشبيه المادية المحسوسة المستمدة من البيئة المحيطة به، ليقرب الصورة الى اذهان السامعين، فقد شبه حاله وهو ينتظر آل الزبرقان وخيرهم، بالذي يمسح ضرع الناقة القليلة اللبن او عديمته طمعا ان تدّر عليه شيئا من لبنها من دون جدوى. وقد تعرض الدكتور طه حسين الى هذه الصورة التشبيهية قائلا: " وانظر الى كل ما قصد اليه من التشبيه والتمثيل، فلن ترى شيئا غريبا، وأنها كلها معان قريبة مألوفة يراها الاعراب ويعيشون عليها،كلها معان لاتعدو حياة الاعرابي حين يبتغي اللبن عند ناقته، او حين يبتغي الماء مستقيا من البئر او حين ينتظر، فاذا هو بوقت انتظاره، بما تعودت العرب ان يوقتوا به حياتهم اليومية من ايراد الابل واصدارها حين يوردون ويصدرون" [4] ولم يكتفِ الدكتور طه حسين بهذا القول، فقد ذهب الى موازنة تشبيه الحطيئة بتشبيه استاذه زهير، اذ يقول: "

---

(1) وحدة القصيدة العربية حتى نهاية العصر العباسي: حياة جاسم: 381 ـ 382.

(2) ينظر: حديث الاربعاء: 1 / 140، الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته: 213. ، وحدة القصيدة العربية: 381، الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام: 198.

(3) الحطيئة (حاوي): 49.

(4) حديث الاربعاء: 1 / 140.

وهو في هذا كله يتبع زهيراً ويسير على نهجه، فاني لم انسَ بعد ذلك التمثيل البديع الذي ذهب اليه زهير حين اراد ان يصور اضطراب عبس وذبيان بين الحرب المهلكة والسلم المدخولة، فشبه هذا كله بما يكون من رعي الابل، ثم ورودها الماء، ثم انصرافها الى المرعى، كذلك فعل الحطيئة فاحسن الاحسان كله، لأنه انما يقول شعره، او يصنعه للاعراب، فلابد من ان يفهم عنه الاعراب قبل ان يفهم عنه غيرهم من الناس [1] ويبدو ان الدكتور طه حسين عمد الى هذه الموازنة ليؤكد بذلك تاثر الحطيئة بأستاذه زهير والتزامه بمنهج شعراء المدرسة الأوسية الزهيرية، اذ لم يخرج الحطيئة في نظمه وصياغته وصوره الشعرية عن المسار الذي وضعه اساتذته في تلك المدرسة. وقد اشار الدكتور سيد حنفي الى هذه المسالة عند بيانه للطابع الذي طبع به شعراء هذه المدرسه الا وهو" ارتباط الصورة بالحس،والاتيان بالصورة المادية للتعبير عن المعاني العامة التي يريدها الشاعر [2]، ويمثل بذلك بقصيدة الحطيئة هذه، مؤكدا فيها على البيت الثالث الذي يعرض فيه لمشهد الناقة القليلة اللبن، وهي صورة مادية ملتصقة بالحس [3].

ان تصوير الشاعر لنفسه وقد جاء حاديا من وراء القوم، يدل بشكل غير مباشر على قله وفاء الزبرقان واحتقاره جاره، وهذا القول لايعتمد الأقذاع، بل يعتمد على الصورة الواقعيه التي تسبب جرحا داخليا اليماً [4].

ومن صور التشبيه المعروفة ـ التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته ـ تشبيه الفقر ـ في البيت السابع ـ بالجرح وتشبيه العطاء الذي يدفع البؤس بطبِّ الطبيب الذي يداوي هذه الجراح [5].

---

(1) المصدر السابق: 1 / 140.

(2) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية: 213.

(3) ينظر: المصدر السابق: 214.

(4) ينظر: الحطيئة (حاوي): 54.

(5) ينظر: حديث الاربعاء: 1 /141.

ويفصح الدكتور طه حسين عن اعجابه بقول الحطيئة في البيت الثاني اذ يقول: " ثم انظر الى قوله (ولن ترى طاردا للحر كاليأس) كيف ارسله مثلا صادقا خالدا على اختلاف الازمنة وتباين الظروف، وكيف جعله مصدر ثروة للشعراء الذين افتنوا بعده في اليأس واراحته لليائسين" [1].

إلا أن ايليا حاوي يجد في هذا البيت ما يثير التعجب والحيرة معا وليس الاعجاب يقول: " اذ كيف يمكن ان توفق بين نفسيته، عندما تصوّر وهو قادم يحدو اخر الناس، والصورة التي ينبري بها الان وهو متشامخ عزيز النفس، يأبى الذل والهوان؟ [2]، الا ان الناقد يوضح لنا هذه المساله اذ يجيب عن تساؤله بالقول: " ان التناقض ليس سوى توهم خارجي لان الصورة الثانية كانت امتدادا للصورة الاولى ونتيجة لها. إن حدوه اخر الناس هو الذي جعله يثور لكرامته ... وهكذا، فان ظاهر الصور والمعاني يختلف، لكن جوهرها يبقى متصلا لخط الهجاء الداخلي الذي لا يتخلى عنه الحطيئة [3].

ولم يكتفِ الحطيئة بهذه الصورة بل رسم صورة جديدة في بيته العاشر، وهي صورة تدعوا الى التأمل، فديار آل الزبرقان كالقبور وكلابهم تهاجم الاضياف وفي هذا امعان في الدلالة على ذل الحطيئة في ديارهم، وهذه الصورة ـ على ما يبدو ـ أبين صور القصيدة دلالة على الهجاء، وهي" صورة ضاحكة باكية، كما انها في الآن ذاته واقعية مشوهة..." [4] وفي قوله (هرته كلابهم)" كناية دقيقه عن وحشته واحساسه بالغربة [5].

اما البيت الثالث عشر والذي يقول فيه :

* دع المكارم لاترحل لبغيتها *

---

(1) المصدر السابق: 1 / 141.
(2) الحطيئة (حاوي) : 54 ـ 55.
(3) المصدر السابق: 55.
(4) المصدر السابق: 55.
(5) الحياة الادبيه في عصر صدر الاسلام: 200.

فظاهر البيت مألوف الدلالة، لان الشاعر لم يعتمد على صور الهجاء المباشرة، وانما اعتمد على الفضائل النفسية، اذ يظهر فيه خمول الزبرقان حين جعله يكتفي من الحياة بالماكل والملبس، وفي هذا حط لقيمة الزبرقان، ونفي المكارم عنه [1].

وبعد ان يؤكد الشاعر المعنى السابق ببيتين من الشعر، يقرر في نهاية المطاف ان مجد آل شماس قد علا مجد آل زبرقان.

إن ارتباط الأبيات بعضها ببعض اثار اعجاب بعض النقاد [2]، واستحسانهم، يظهر ذلك في قول الدكتور طه حسين: " تستطيع ان تمضي في القصيدة كلها فلن تجد فيها بيتا واحدا ينبو كله، او جزءاً من اجزائه، او يستحق اسقاطا او الغاء" [3].

وتجد الدكتورة حياة جاسم ان الارتباط بين الابيات لم يقع من جهة الصور الشعرية فقط وانما هناك ارتباط نحوي ايضا،" فالبيت السابع يرتبط بالبيت الثامن، لان جملة (ازمعت) في البيت الثامن جواب للشرط (اذا ما بدا) في البيت السابع، ويرتبط البيت التاسع بالبيت العاشر، لان كلمة (جارا) في البيت العاشر نعت، منعوته كلمة (رجلا) في البيت التاسع" [4].

ويجد الدكتور محمود الجادر ان تفنن الشاعر في البيان في بعض صوره ينبئ" عن بعد معنوي متميز يخف معه اثر الاستثارة الحسية المباشرة التي

---

(1) الحطيئة (حاوي): 56.

(2) وقد عمد عبد المنعم خفاجي الى تحليل القصيدة عارضا في تحليله لمناسبتها التاريخية وغرضها وابرز ما تتضمنه من معان ـ وهي سبع معان ـ فضلا عما في القصيدة من صور بلاغية وطابع شعري متميز. ينظر: الحياة الادبية عصر صدر الاسلام: 198 ـ 205.

(3) حديث الاربعاء: 1 / 142.

(4) وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: 384.

تحكمت في اكثر الصور الجاهلية ... ولعل هذا الاتجاه المعنوي هو المدار في صور الحطيئة النفسية التي برع في عرضها ومتابعتها في اهاجيه بوجه خاص [1].

لقد اكثر الحطيئة من مديحه لآل بغيض، مؤكدا في كل مرة حسن صنيعهم معه، ولم تكن قصيدته ـ المذكورة سابقا ـ هي الوحيدة التي اعجب بها نقادنا ـ فقد اعجبوا بمدحه لآل بغيض في قصيدته التي يقول فيها: [2]

الآ طرقتنا بعدما هجدوا هند ... وقد سرن غورا واستبان لنا نجدُ

ألا حبذا هند وارض بها هند ... وهند أتى من دونها النأي والبعدُ

وان التي نكّتبها عن معاشر ... عليّ غضاب ان صددت كما صدُّوا

أتت آل شماس بن لأي وانما ... اتاهم بها الاحلام والحسب العدُّ

فإن الشقي من تعادي صدورهم ... وذو الجد من لانوا إليه ومن ودُّوا

يسُوسُون احلاما بعيدا اناتها ... وان غضبوا جاء الحفيظة والجدُّ

اقلوا عليهم لا ابا لأبيكم ... من اللوم أوسدوا المكان الذي سدّوا

اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنى ... وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدّوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وان انعموا لاكدروها ولا كدّوا

وان قال مولاهم على جل حادث ... من الدهر ردوا فضل احلامكم ردّوا

وكيف ولم اعلمهم خذلوكم ... على موطن ولا اديمكم قدّوا

مغاوير ابطال مطاعيم في الدجى ... بنى لهم اباؤهم وبنى الجدُ

فمن مبلغ افناء سعد فقد سعى ... الى السّورة العليا لكم حازم جلد

رأى مجد أقوام اضبع فحثهم ... على مجدهم لمّا راى انّه الجدُّ

(1) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين: 572 ـ 573.

(2) الديوان: 140. الحسب العد: الحسب الجليل، الحفيظة: الغضب، قدُّوا: مزقوا، الدُّجى: الظُّلم، أفناء سعد: يعنى: بطونها، حازم: يعني بغيضاً.

وتعـــذلني افنـــاء سعـــــد عليهـــــم   ومـــا قلـــت الا بالـــذي علمـــت ســـعد

لقد استهل الشاعر قصيدته ببيتين من الغزل، تحدث فيهما عن طيف حبيبته هند وقد طرقه ليلا، ليثير في وجدانه حالة من الشوق والالم معا نتيجة لبعدة عن محبوبته التي سارت بها الركبان، وقد أوجز الشاعر في مقدمته، اذ لم يجد ـ كما يقال ـ باعثاً داخلياً يدفعه الى الاطالة [1].

لقد اثار غزل الحطيئة ـ على قلته ـ حديث بعض النقاد من حوله، اذ وجد البعض ان غزله يمثل مرحلة اصيلة في القصيدة [2]. في حين وجد بعضهم الآخر فيه غزلا بارداً إذ هو لم يصدر عن قلب عانى الحب، وان الشاعر لم يقصده الا ليطرب به سمع المتلقي، وليخلق جواً نفسياً ووجدانياً عند الممدوح لتلقي كلمات المديح [3]، ولهذا جاء ذكر الطيف [4] موجزا عنده [5].

وتذهب احدى الباحثات الى القول:" فاذا كانت المقدمة الغزلية لاتحمل ايه بواعث عاطفية فإنها تعين لنا مواطن البنى التصويرية" [6].

لقد انتقل الحطيئة انتقالا مباشرا من الغزل الى المديح، من دون ذكر الناقة وصفاتها وقد وجد ت الدكتورة حياة جاسم بهذه القصيدة ما يرد على زعم ابن قتيبة في ضرورة مرور القصيدة بمرحلتي الغزل والناقة لتصل الى المديح، مستدلة بخلو هذه القصيدة من ذكر الناقة لانتفاء الباعث النفسي عند الشاعر

(1) ينظر: وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: 352.
(2) ينظر: المصدر السابق 352:.
(3) ينظر: الحطيئة بين المديح والهجاء: 71.
(4) ذكر الطيف من المقدمات الفرعية في القصائد الجاهلية.
(5) ينظر: مقدمة القصيدة في العصر الاموي: 62.
(6) البناء الفني في شعر الحطيئة (رسالة دكتوراه): ازدهار عبد الرزاق: 81.

لإيجادها، فلو ان الشاعر وجد في هذه القصيدة ما يدفعه الى ذكرها لما قصر عن ذلك بدليل انه عمد لذكر الناقة في عدد من قصائده المدحية [1].

ان ما وجده الشاعر من ارتباط وثيق بين مرحلتي الغزل والمديح والمتمثل في عاطفة الحب التي تشده الى محبوبته هند والى من سيمدحه، اعانه على الانتقال من الغزل الى المديح بسهولة ويسر [2]، وذلك بعد أن أطرب سمع ممدوحه بمقدمته التي عمد فيهاالى التكرار الذي يؤكد فيه احساسه فضلا عما" يشعره بجمال الجرس الصوتي لهذا اللفظ، فيكرره تكرارا جميلا، وكانه ضربات الطبل التي توقت موسيقى الابيات [3].

لقد بدأ الشاعر مديحه بالحديث عن شعره الذي تحول من آل الزبرقان الى آل شماس اصحاب الحسب الاصيل الكريم، الذين احسنوا اكرامه بعد أن أهانه آل الزبرقان، ثم يسترسل الشاعر في مديحه، ذاكرا الفضائل والقيم التي يتحلون بها، فهم اقوياء، واصحاب راى وعقل، لا يقبلون الذل، ولا يتركون المسيء إليهم من دون عقاب والشاعر يطلب من آل الزبرقان ان يكفوا عن آل شماس اللوم لاستضافتهم الشاعر بعد ما أساء آل الزبرقان له.

وبعد ما يتساءل الشاعر عن سبب لوم آل الزبرقان آل شماس وهم لم يسيئوا اليهم باستضافتهم الشاعر، يعود الى مديح بني سعد من بطون آل شماس.

ان ما نلحظه في هذه القصيدة هو الترابط الموضوعي، اذ لم يخرج الشاعر عن غرض المديح. وقد تبع هذا الترابط بالضرورة ترابطا معنويا، ويرى

(1) ينظر: وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي: 352.

(2) ينظر: المصدر السابق: 352.

(3) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته: 219.

بعضهم، ان الابيات شدت ببعضها وحصل الاتباط بينهما من خلال الضمائر التي نجدها في ابيات المديح، زيادة عن ما في القصيدة من ترابط نحوي [1].

ومما اعجب النقاد ايضا قصيدته في مديح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) والتي يقول فيها: [2]

نأتك امامة الا سؤالا	وابصرت منها بغيب خيالا
خيالا يروعك عند المنام	ويأبى مع الصبح الا زوالا
كنانية دارها غربة	تجد وصالا وتبلى وصالا
تطير الحصى بمرى المنسمين	اذا الحاقفات الفْنَ الظلالا
وترمي الغيوب بما ويتين	احدثنا بعد صقل صقالا
ليل تخطيت اهواله	الى عمر ارتجيه ثمالا
طويت مهالك مخشية	اليك لتكذب عني المقالا
بمثل الحنى براها الكلال	ينزعن آلا ويركضن آلا
الى مالك عادل حكمه	فلما وضعنا لديه الرحالا
صرى قول من كان ذا مئرة	ومن كان يأمل في الضلالا
وخصم تمنى على المنى	لأن جاش بحر قريع فسالا
أمين الخليفة بعد رسول	واوفى قريش جميعا حبالا
وأطولهم في الندى بسطه	وافضلهم حين عدّوا فعالا
اتتني لسان فكذبتها	وما كنت احذرها ان تقالا
بأن الوشاة بلا جرمة	اتوك فراموا لديك المحالا

---

(1) ينظر: وحدة القصيدة العربية حتى نهاية العصر العباسي: 386، الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام: 189.

(2) الديوان: 214. بمرى المنسمين: السلاميات، الحاقفات: الضباء الرملية، الثمال: الغياث، الحنى: القسي، باها: طواها، صرى: قطع، ذامئرة: ذا عداوة، بلا جرمة: بلا عذرة، فراموا: فقالوا، المحال: المكر والخديعة.

فجئتـــــك معتـــــــذرا راجيـــــا   لعفـــوك ارهـــب منــــك النكـــــالا

فـــلا تســـمعن بي مقـــال العـــدا   ولا تـــــوكلني هُـــــديت الرجـــــالا

وهذه القصيدة هي احدى قصائده الثلاث التي مدح بها عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه) للحصول على عطفه ورضائه بعد ما حبسه الخليفة لإقذاعه في هجاء الزبرقان بن بدر، وقـد عرض حاله بمقدمة طويلة قبل دخوله للغرض الاساس ـ مـدح الخليفـة ـ ويـرى ايليـا حـاوي ان المقدمة استنفدت" نحو عشرين بيتا لم يدع فيها معنى من المعاني التقليدية إلا وألمّ به" [1].

بدأ الشاعر قصيدته بالغزل بأُمامة ـ زوج الشاعر ـ فشبهها بالظبية، وقد وجد الدكتور عبد القادر حسن امين ان الحطيئة" اول شاعر من القدماء يهيم بزوجته ويـردد ذكرهـا مشـتاقا اليهـا، ويكثر من ذلك دون ملل، مما يدل على حبه لها بصدق دون ان تبلي تقادم الصحبة جدتـه، وقـد استهل الكثير من قصائده [2] بإسمها امامة او امام [3].

ويجد الدكتور عبد القـادر امـين تشـابهاً كبـيراً بـين وصـف الحطيئـة لزوجـه ـ في مقدمـة القصيدة ـ ووصـف النابغـة (للمتجـردة)، ويظهـر ذلـك في الـروي والقافيـة، وفي حيـز كبـير مـن المضمون، حتى ليخيل للقارئ انه ارادفي ذلك مجـاراة النابغـة في قصـيدته لاثبـات قدراتـه، حيـث يتساوى الانفعال في القصيدتين، مع كثير من الجرأة عند النابغة، وقليل من الحياء عند الحطيئة. وهذا ما نلمسه في قولهما، اذ قال النابغة:

ســـقط النصـــيف ولم تـــرد اســـقاطه   فتناولتـــــــه واتقتـنـــــــا باليــــــد

---

(1) الحطيئة (حاوي): 102.

(2) ينظر: الديوان: 115، 121، 214، 349.

(3) الحطيئة بين الههجاء والمديح: 72.

وقال الحطيئة:

ولمــا رأت مــا في الرحــال تعرضــت حيــاء وصــدت تتقــي القــوم باليــد [1].

ويذهب الدكتور حسين عطوان الى ان الحطيئة أعتمد في وصفه لجمال زوجته على شعراء الجاهلية فالتشابه واضح بين هذه القصيدة وقصيدة عمر بن قميئة [2].

وصحة هذا الامر لا تعني عجز الشاعر عن الابداع والخلق، فإذا كان محتذياً لأسلوب غيره في المقدمة فإنه مبدع في غرضه الاساس وهو مديح الخليفة عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه).

وبعد ان ينتهي الشاعر من مقدمته الغزلية ينتقل الى الناقة، اذ فيها يتطور البناء الشـعري بشكل متصاعد. ولهذه المرحلة اهميتها، لان الشاعر كما تقول الباحثة ازدهار عبد الـرزاق، مهـد فيها لغرضه الاساس وهو مدح الخليفة [3].

وينتقل الشاعر بعد الانتهاء من وصف الناقـة الى مـدح الخليفـة ووصـفه بالعـدل، ويجـد الدكتور سيد حنفي ان الحطيئة مدح عمـر (رضي اللــه عنـه) بالعـدل،" لان قضـيته سـتعرض عليه، وهو يخاف العاقبة، وهو لم يزد عليها شيئا، وانما اسرع يعرض القضية وكان مدحه بالعدلة تمهيداً لعرض هذه القضية، التي ذهب الى تفصيلها امام الخليفة، بعد ما علم أن الوشاة يحاولون

(1) ينظر: المصدر السابق: 73.

(2) يقول ابن قميئة:

ناتك أمامة إلا سـؤالا وإلا خيالا يوافي خـيالا

توافي مع الليل مستوطنا وتابى مع الصبح الا زوالا

كنانية دارها غربـة تجد وصالا وتبلي وصالا

ينظر: مقدمة القصيدة العربية في صدر الاسلام: 63.

(3) ينظر: البناء الفني في شعر الحطيئة: 82.

الايقاع به امام الخليفة، مما أثار في نفسه حالة من الفزع والخوف، ولقد ترجم احساسه في الابيات الخمسة الاخيرة من القصيدة [1].

ويرى احد النقاد ان شعر الحطيئة في مديح عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد سما" على سائر شعره في المديح كله، بسب خوفه من عقاب الخليفة واحترامه العميق لصفاته الفذة، وقبلا نسب الى الحطيئة الرغبة والرهبة متى توفرتا في اعماقه احرزتا الجودة، واكسبتا المتانة لشعره، وانثالت عليه القوافي انثيالاً [2].

واذا كان النقاد قد اعجبوا بمدائح الحطيئة، فهذا لا يعني اهمالهم لبقية اغراضه الشعرية، ومما اعجبوا به ايضا مقطوعته في هجاء البخيل التي يقول فيها [3]:

كدحت بأظفاري وأعملت معولي	فصادفت جلمودا من الصخر أملسا
تشاغل لما جئت في وجه حاجتي	واطرق حتى قلت قد مات او عسى
جمعت ان أنعاه حين رأيته	يفوق فواق الموت حتى تنفسا
فقلت له لا بأس لست بعائد	فافرخ تعلوه السمادير مبلسا

لقد عمد الشاعر في هذه الابيات الى رسم صورة للبخيل الذي اوشك ان يغمى عليه عندما طُلبت منه المعونة والمساعدة، و الحطيئة في هذه الابيات يبدو فنانا من الفنانين الذين نطلق عليهم في عصرنا الحديث اسم (الفنان الكاريكاتيري)، فلوحته هذه تمثل هجاء فكاهة واستهزاء.

ويرى الدكتور درويش الجندي ان الحطيئة" اختار في تصوير البخيل صورا تبدو طبيعية مألوفة سهلة، ولكنها السهولة الممتنعة، وآية البراعة

(1) الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته: 194.

(2) الحطيئة بين الهجاء والمديح: 78.

(3) الديوان: 282.

الصحيحة في الفن أن تتكلف الجهد وتحتمل العناء ثم تخدع النـاس عـن ذلـك فتخيـل إلـيهم انـك أنشأت ما أنشأت كأنه جاء عفو الخاطر [1].

وقد وجد الدكتور عناد غزوان في هذا الهجاء، نقدا اجتماعيا دقيقا لـبعض ملامـح الحيـاة الاجتماعية [2]. فالشاعر يذم صفة البخل، ويرى في الكرم فضيلة لا تعدل.

ولهذه الابيات عد بعض النقاد الحطيئة رائداً للفن الساخر الذي ظهر بشكل متطور فـيما بعد على يد ابن الرومي [3].

ويجد احد النقاد ان الحطيئة اتجه في هجاءه هـذا" الى تشـخيص سـمات البخـل والجـبن واللؤم والاساءة الى الضيف والجار، وما الى ذلك من المثالب التي تعارف عليها الشعراء الجاهليون على تشخيصها في مهجويهم، على أن الحطيئة قد تميز بهذه القدرة البارعة عـلى متابعـة الانفعـال النفسي وتشخيصه وتوجيهه ضمن اطار الغرض المحدد من نموذج "الهجاء [4].

ولم يكتـفِ الحطيئـة في ذم البخـل، وانمـا عمـد الى رسـم صـورة معاكسـة لـه في الفكـر والمضمون، من خلال وصفه للضيافة العربية الاصيلة المتمثلة بالاعرابي الفقـير، وقـد ضـافه رجـل، يقول [5]:

وطـــاوي ثـــلاث، عاصـــب الـــبطن، مرمـــل	بيـــداء لم يعـــرف بهـــا ســـاكن رســـما
اخـــي جفـــوة، فيـــه مـــن الانـــس وحشـــة	يـــرى البـــؤس مـــن شراســـته نُعمـــى
تفـــرد في شـــعب عجـــوزاً إزاءهـــا	ثلاثـــة اشـــباح تخـــالهم بهـــما
حفـــاة، عـــراة، مـــا اغتـــذوا خبـــز ملـــة	ولا عرفـــوا للـــبر، مـــذ خلقـــوا، طعـــما
رأى شـــبحا، وســـط الظـــلام، فراعـــه	فلـــما بـــدا ضـــيفا، تصـــور واهـــتما
فقـــال ابنـــه لمـــا رآه بحـــيرة	ايـــا ابـــت اذبحنـــي! ويسر لـــه طعـــما

(1) الحطيئة البدوي المحترف 184.

(2) ينظر: نزعة التمرد والسخرية في شهر الحطيئة: 22.

(3) ينظر: الأدب العربي وتاريخه: 1 / 151، نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة 23.

(4) شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين: 496.

(5) الديوان: 396.

ولا تعتـــذر بالعـــدم، عـــلى الـــذي طـــرأ   يظـــن لنـــا مـــالا، فيوســـعنا ذمـــا

فـــروى قلـــيلاً، ثـــم احجـــم برهـــة   وان هـــو لم يـــذبح فتـــاه، فقـــد هـــما

وقـــال: هيـــا ربـــاه! ضـــيف ولا قـــرى   بحقـــك، لا تحرمـــه تااالليلـــة اللحـــما

فبينـــاهم، عنـــت عـــلى البعـــد عانـــة   قـــد انتظمـــت مـــن خلـــف مسـحلها نظـــما

ظـــماءً تريـــد المـــاء، فانســـاب نحوهـــا   عـــلى أنـــه منهـــا الى دمهـــا اظـــما

فامهلهـــا حتـــى تـــروت عطاشـــها   فارســـل فيهـــا مـــن كنانتـــه ســـهما

فخـــرت تخـــوص، ذات جحـــش، فتيـــة   قد اكتنـــزت لحـــما، وقـــد طبقـــت شـــحما

فيـــا بشره اذ جرهـــا نحـــو اهلـــه   ويـــا بشرهـــم لمـــا رأوا كلمهـــا يـــدمى!

فبـــاتوا كرامـــا قـــد قضـــوا حـــق ضـــيفهم   فلـــم يغرمـــوا غرمـــا، وقـــد غنمـــوا غـــنما

وبـــات أبوهـــم مـــن بشاشـــته ابـــا   لضيفهـــم، والأم مـــن بشرهـــا أمـــا

وصور هذه القصيدة من أروع الصور الشعرية التي نظمها الشعراء، وهي من الصور الوصفية التي نماها فكر الحطيئة، وخلقتها شاعريته الثرة، والقصيدة تحكي قصة اعرابي فقير يعيش هو وأولاده في الصحراء، وقد ألم به ضيف، فلم يجد ما يقدمه اليه، واهمية هذه القصيدة تكمن في انها" قصة شعرية فيها كل عناصر القصة من الحادثة والحركة، والعقدة، وحلت الأزمة، وجانب من الحوار، ومن هذا الطابع القصصي تستمد القصيدة اهميتها لندرة القصة الشعرية في شعرنا القديم [1].

وقد وجد بعض النقاد في هذه القصيدة ما يرد على الزعم القائل بأن الشعر العربي خالٍ من القصة الشعرية [2].

---

(1) الحياة الادبية في عصر الاسلام: 188.

(2) ينظر: الحياة الادبية في الجاهلية وعصر صدر الاسلام 355، الموجز في تاريخ الادب العربي: 178، الأدب العربي وتاريخه: 105.

ويـرى الـدكتور درويـش الجنـدي ان الحطيئـة متـأثراً جـداً في قصـته هـذه بقصـة سـيدنا إسماعيل (عليه السلام) [1].

ويبدو اعجاب الدكتور عبد المنعم خفاجي واضحا، اذ ذهب للاستشهاد بهذه القصـيدة في عدد من كتاباته، محللاً بعـض ابيـات القصـيدة، مبينـا موضـوعها، واهميتهـا وميزتهـا واسـلوبها ودلالتها [2]. ولم يغفل في دراسته الوحـدة العضـوية للقصـيدة، إذ ان "القصـيدة تتنـاول موضـوعا واحدا مترابط الافكار والمعاني والصور والاخيلة والمشاعر" [3].

واذا كان الدكتور عبد المنعم خفاجي محسنا في دراسته، فإن، الدكتور محمود الجادر كان مبدعا فيها، فائقا من سواه من النقاد، وقـد لا نغـالي اذا قلنـا ان افضـل دراسـة لشـعر الحطيئـة بصورة عامة، ولهذه القصيدة بصورة خاصة، هي دراسة الدكتور الجـادر، اذ عمـد في دراسـته الى تحليل النص من جوانبه كلها، واقفا عند كل صورة من صور النص ليضيء الجوانب الخفية بالنسبة الى القارئ، وليفتح له المجال ليجول بذهنه في الفضاء الشعري الذي رسمه الشاعر في القصيدة.

وإن أول ما تعرض له النقـاد في هـذه القصـيدة هـو زمـن انشـائها، وقـد ذهـب الـدكتور الخفاجي الى ترجيح اسلامية القصيدة، مستدلا على ذلك بما احتواه النص من قيم انسـانية رفيعـة تدل على التأثر بالاسلام وقيمه النبيلة [4]، الا ان الدكتور محمود الجادر يرجح جاهلية القصيدة [5].

ويبدو من الصعب جدا القطع بجاهلية القصيدة او اسلاميتها لسببين:

---

(1) ينظر: الحطيئة البدوي المحترف 133.

(2) ينظر: الشعر الجاهلي: 214، الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام: 353 ـ 358، الحياة الادبية في صدر الاسلام: 198 ـ 201.

(3) الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام: 356.

(4) ينظر: المصدر السابق: 357.

(5) ينظر: قراءة معاصرة في نص تراثي، محمود عبد الـلـه الجادر (مج الطليعة الأدبية).

الاول: الشاعر، وإن ادرك الاسلام ودخل فيه وظهرت في بعض أشعاره قيم الدين ومُثله العليا، الا انه ظل جاريا في شعره الإسلامي على النمط الذي كان يجري عليه في الجاهلية.

الثاني: لو كانت القصيدة في المديح او الهجاء او الرّثاء، لاستطعنا بشكل أو بآخر أن نصل الى تحديد زمن النص، وذلك من خلال معرفة الزمن الذي ينتمي اليه المخصوص بالقصيدة وعلى اية حال، لا تغير جاهلية القصيدة او اسلاميتها شيئا من قيمتها وفاعليتها.

والقصيدة تمثل لوحة انسانية غنية بالمشاعر، والعواطف، ولعل التحليل النفسي الدقيق للشخصيات اهم ما يميز النص، ويبدو ذلك في البيتين الاول والثاني، اذ استطاع الشاعر ان يرسم صورة نفسية للاعرابي وما يعتمل في ذاته، من صراع حاد، اذ دفعه الفقر المدقع الى ان يقصد شعبا في الصحراء، حتى غدا شرسا نفورا للبشر، يانس الوحدة والبؤس، ويبدو الفقر مجسما في صورة أبنائه الذين تحولوا الى اشباح من هزالهم، وعلى هذا فالجود والفقر اول سمات الشخصية الرئيسة ـ شخصية الاعرابي ـ والتي يقوم الحدث عليها، الى جانب الشخصيات الثانوية المتمثلة في العجوز واولادها الثلاثة [1].

ويجد الدكتور اسعد ذيبان ان الشاعر" مهّد لقصته برسم المحيط الذي حدث فيه، وجوّ العائلة التي تعيش فيه، ويمتد هذا التمهيد على مدى الابيات الأربعة الاولى، دون أن تكون ثمة إطالة، لأن التمهيد ضروري لرسم إطار الاحداث والتشديد على نواح اساسية: العزلة المطلقة، البعد الشديد عن البشر، الجفاف، الجوع، الفقر المدقع. واهم من كل ذلك عدم توقع أي طارئ، والاستسلام لهذه الحالة من عدم التوقع، وكان رب العائلة امن عدم قدوم احد عليه"[2].

---

(1) ينظر: المصدر السابق: 15.

(2) الحطيئة جرول بن أوس: اسعد ذيبان: 51.

لقد عمد الحطيئة في قصيدته هذه الى الجمع بين المتضادان وتوظيفها توظيفا شعريا متميزا، ويرى الدكتور الجادر ان الشاعر لجأالى شحن الاداء في الابيات الاربعة الاولى" بمحسنات التضاد والترادف والسجع الداخلي ليبهر وعي المتلقي ويسحبه الى الارض التي يريد من ايسر سبيل،وحين اقتنع بأن ذلك تحقق له،ينتقل ليرسم اولى خطوات الحدث"[1].

ويرى الدكتور محمود الجادر ان الاحداث تصل الى عقدتها عند حالة الحيرة التي تنتاب الاعرابي باختياره احد الامرين، اما ذبح الابن او جرح الكرامة؟ [2] الا ان الدكتور اسعد ذيبان يجد عقدة الاحداث في عبور القطيع، اذ ان الحل يتوقف عليها [3].

لقد ربط الشاعر ظهور ملامح الفرح على الاعرابي مع ظهور القطيع، وهنا يحصل التداخل بين وصف القطيع ووصف الاعرابي، ويظهر هذا التداخل من خلال الضمائر في قوله: (أنه منها الى دمها أظما)، ولهذا التداخل دور كبير في انفتاح افق الحدث لقبول التفاصيل التالية حيث يتسلل البدوي الى الماء طلبا لصيد متاح من القطيع [4]. وهنا يصل الشاعر الى حل العقدة وهو إصابة الاتان، وفيه تصل القصة الشعرية الى خاتمتها حيث تظهر حالة الفرح واضحة في الترجيعات الاخيرة، اذ يقيم ايقاع الترادف والتكرار المهرجان النغمي في قوله (فيا بشره ... ويا بشرهم) وفي هذا تستوفي القصة الشعرية اهم مقوماتها من شخوص وحدث وزمان ومكان [5].

ويجد الدكتور اسعد ذيبان منهج القصة تقليدية، اذ يبدأ بتمهيد تنبثق منه الحوادث بشكل متتابع حتى تصل الاحداث الى ذروتها ثم ياتي الحل. وقد

---

(1) قراءة معاصرة في نص تراثي: 15.

(2) ينظر: المصدر السابق: 15.

(3) ينظر: المصدر السابق: 15.

(4) ينظر : المصدر السابق 15.

(5) ينظر: المصدر السابق: 15.

سلك الشاعر في ذلك سبيل السرد الواقعي، وما يظهر فيه من مفاجآت، فضلا عن الحوار الذي له دور متميز في رسم شخصيتيّ الاب والابن ـ على الرغم من قلته ـ وقد اعتمد الشاعر في كل هذا لغة مباشرة بعيدة عن الغموض والتعقيد[1].

اما اساليب البيان والبديع في القصيدة، فقد ذهب الدكتور عبد المنعم و الدكتور صلاح الدين الى القول بأنّ الشاعر استخدم شتى ألوان البيان" من كناية وتشبيه وطباق وجناس" [2].

ويذهب الدكتور الجادر الى خلاف هذا القول، اذ يجد الشاعر مبتعدا بنصه عن صور البيان القائمة على استثارة خيال المتلقي، اذ لم يستخدم الشاعر الا تشبيهاً واحدا في البيت الثالث في قوله (تخالهم بهما) [3].

ويؤكد الدكتور اسعد ذيبان خلو النص تقريبا من اساليب البيان والبديع، وان وقعت فيه بعض هذه الفنون عفواً، فمرجع ذلك اللغة التقريرية التي اعتمدها الشاعر في نصه [4].

ان اختيار الشاعر للقافية، يعكس حسن تذوقه الفني للشعر، إذ فيها تتجسد الحالة النفسية للشخصيات، فالميم تعبر عن حالة الهم والقلق والالف تعبر عن البشر والفرح [5] وفي هذا الجمع للمتضادات ما يضفي جمالية خاصة على القصيدة.

اما اختيار الشاعر البحر الطويل فله اثره ايضا، اذ يرى بعضهم في ذلك ما يمنح المجرى الايقاعي على التسلل الى وعي المتلقي، وبما يحتوي من مشاعر واحداث وشخوص[6].

---

(1) ينظر: الحطيئة جرول بن أوس: 51.

(2) الحياة الادبية في عصري الجاهلية والاسلام: 356.

(3)ينظر: قراءة معاصرة في نص تراثي: 16.

(4)ينظر: الحطيئة جرول بن أوس: 53.

(5)ينظر: قراءة معاصرة في نص تراثي: 3

(6)ينظر: المصدر السابق: 15، الحطيئة جرول بن أوس: 54.

واخيراً : فإن عرضنا لهذه القصائد ـ على الرغم من قلتها ـ يفصح عن مدى اعجـاب النقـاد بشعره وعنايتهم به، من اجل الوقوف على مواطن الابداع الفني فيه، فضلا عما تتسم به مقطوعاته وقصائده من تناسق أجزائها، ووحدة بنائها، مما يدل عـلى نجاحه وقوة شاعريته وتمكنه في النظم والبناء.

الخاتمة

تناول البحث الحركة النقدية التي دارت حول شاعرنا الحطيئة في قديماً وحديثاً وقد مدنا فيه الى استعراض آراء النقاد ودراستها ومناقشتها، ولم يكن ذلك الا بعد استقراء مستفيض لكل الآراء النقدية التي قيلت فيه.

وقد بحثنا في الفصل الاول موقف النقاد القدامى من الشاعر وشاعريته، وانتهينا فيه الى ابتعاد النقاد القدامى كثيراً عن النظرة الموضوعية والواقعية في حديثهم عن شخصيته وامعانهم بإظهار قباحته واضطراب نسبه وذكر بخله، متناسين الظروف المحيطة بولادته ونشأته، التي خلقت منه شخصية مضطربة قلقة تتنقل هنا وهناك في محاولة يائسة لتحديد هويتها واثبات وجودها وايجاد مكان لها في المجتمع العربي الطبيقي الذي يقدس الحسب والنسب.

ولقد بدا الشاعر ملتزما بالقيم والاخلاق، وذلك من خلال حرصه على تربية ابنائه ومحافظته على بناته، وتعلقه بأسرته، التي لم يسئ لها، كما أساء الى أمّه التي كانت مصدر بلائه وعقدته التي لازمته طوال حياته.

وقد ظهر أنّ ضعف ايمانه راجع الى نفسيته المتعبة التي لم تستطع ان تستوعب الدين وتتمثله تمثلا كاملا، ولكونه واحدا من اعراب البادية الذين وصفهم اللـه سبحانه وتعالى وهو اعلم بالنفس البشرية، اذ قال" قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا ان اللـه غفور رحيم" " الحجرات 14" .

وبرغم من كل الظروف القاسية التي احاطت بالشاعر، فقد استطاع ان يتكيف مع بيئته، وان يستغل ظروفها الاجتماعية ليعيش مخوفا مرهوب الجانب بدل من ان يكون هو المترقب الخائف، وقد اعتمد في ذلك على موهبته الشعرية التي عمل على تنميتها وصقلها من خلال تلمذته على يد زهير بن ابي سلمى.

ان لما يمتلكه الحطيئة من موهبة وثقافة شعرية اثرا كبيرا في عده واحدا من شعراء الطبقة العليا في البلاغة والادب، وقد تفنن في فنون الشعر كآفه لا سيما المديح والهجاء اللذين عرف بهما اكثر مما عرف باغراض الشعر الاخرى، ويبدزا ان تمكن الشاعر من فنه جعل الباب موصدا امام النقاد، اذ لم يعيبوا شعره كما عابوا شعر غيره، ولم يتحدثوا عن شاعريته الا بالاعجاب والتقدير.

ولعناية القدامى بفنه، خُصّص الفصل الثاني لدراسة موقف النقاد القدامى من شعره ومحاولة بعضهم التقليل من شاعريته، لانه كان يعمد الى التنقيح الشعري، الذي لانجده يسيء الى النص بقدر ما يعلي من شانه ـ خصوصا اذا كان هذا التنقيح غير مبالغ فيه ـ لأنه يضفي على النص جمالية خاصة، تظهر في لغته السليمة وصوره الشعرية المتسلسلة التي تشد القارئ وتسحبه معها الى الفضاء الشعري الذي يحلق فيه خيال الشاعر.

ولم يقفِ النقاد عند مسألة تنقيحه للشعر، فقد ذهبوا لتتبع الظواهر البلاغية عنده، فوجدوا ان بعضها لايمثل عيبا في شعره بل العكس تماما، اذ تظهر فيها براعة الشاعر من تفنن في البيان واساليبه.

ودراسة النقاد لشعره قادت بعضهم الى اتهامه بالسرقة الشعرية، إلا أن اتهامهم لم يكن في محله وذلك لقلة ما وقع في شعره من سرقه، فهي تكاد لا تتجاوز العشرة ابيات، وهي قليلة لا تمثل شيئا بالنسبة لناتجه الشعري، زيادة على انه لم يعمد الى السرقة المحضة وانما عمد الى السرقة المعنوية في بعضها والى السرقة الاسلوبية الى البعض الاخر، مضيفا على نصه جمالية خاصة حتى غدا فيها فنانا متميزا مبتكرا في نظمه الشعري.

وقد ظهر لنا في ضوء دراستنا لتتبع النقاد القدامى للظواهر اللغوية والعروضية، في شعر الحطيئة، انه كغيره من الشعراء، يخونه الطبع احيانا، ويشرد ذهنه لحظات، فتفلت منه بعض الهفوات اللغوية والعروضية، وهي قليلة جدا لا تقلل من شأن الشاعر او تقدح في شاعريته.

اما الفصل الثالث ـ الاخير ـ فقد خصص لدراسة موقف النقاد المحدثين من الشاعر وشعره، وقد قام هذا الفصل على دراستهم للشاعر على وفق المناهج النقدية الحديثة، وقد عرضنا اولا للمنهج التقليدي بوصفه اكثر المناهج النقدية التي عمدت الى دراسة الشاعر وشعره، وقد بدا ان النقاد المحدثين اكثر اعجابا وعناية بفن الحطيئة وان كان معضمهم استمد آراءه من سابقيه ـ النقاد القدامى ـ ويتضح اعجابهم، عبر حديثهم عن شعره ودراستهم لكل غرض من اغراضه، مظهرين احكامهم فيه، وان كانت في مجملها احكاما انطباعية تفتقر الى التحليل العميق والتحليل الدقيق لاسباب جودة النص وتفضيله على ما سواه.

ولقد حَظِيَ الحطيئة بعناية اصحاب المنهج النفسي، وقد وجدنا ان افضل دراسة له هي الدراسة النفسية، اذ لابد من ان يعمد الناقد الى دراسة نفسية الشاعر ومشاعره ـ خصوصا الحطيئة الذي كان يعاني من ازمة نفسة وشعور بالمرارة طوال حياته ـ بمعرفة الحوافز والدوافع التي جعلت منه شاعرا متميزا.

وقد ظهر لنا ان هناك عددا قليل من النقاد عمدوا الى دراسته على وفق المنهج التحليلي، اذ ذهبوا الى دراسة النتاج الادبي للشاعر ثم عمدوا بعد ذلك الى الربط بين النتاج الادبي وبين منتجه والعناصر المحيطه به، أي يبدأون بالنص وينتهون بمنتجه، وبذا يكون عملهم معاكسا لعمل اصحاب المنهج النفسي الذين يبدأون بالمنتجج وينتهون الى النص الشعري. وعلى هذا فلكل منهج اهمية، واهمية المنهج التحليلي تكمن في كونه يقدم لنا نصا شعريا محللا بشكر دقيق نستطيع من خلال دراسته ان نقف على كل ما في النص من نواحي بلاغية، ولغوية، وفنية، وجمالية، ونفسية، وبما يكشف عن براعة المنتج للنص الادبي.

وبعد كل هذا نصل الى حقيقة مهمة نوجزها بالقول: ان النقد العربي القديم ـ على الرغم من امتداده لعدة قرون، وما كان لنقادنا القدامى من فضل كبير في ارساء القواعد النقدية الاساسية عند العرب ـ كانت احكامه في

الغالب ـ فيما يخص الشاعر وموضوع الشاعر ـ قاصرة تعتمد على الايجاز في الرأي على حين تبدو نظرة المحدثين اكثر موضوعية وشمول اذ يعتمد معظم النقاد المحدثين في احكامهم على التحليل والتعليل العميق للشاعر وشعره لاستبطان خفاياهما والاستدلال على مواطن القوة والضعف فيهما ومن ثم اطلاق الاحكام النقدية الدالة على جودة الشاعر وشعره او رداءته.

وبعد فهذه ثمرة جهدي اقدمها بين يدي القارئ الكريم، راجية من الله ان ينال رضاه واعجابه فمنه عزوجل التوفيق والعون والمغفرة و الله نعم المجيب.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. الإبانة عن سرقات المتنبي،ابو سعيد محمد بن أحمد العميدي (ت 433 هـ)، تحـ: إبراهيم الدسوقي البساطي، دار المعارف بمصر، 1961م.
3. الأدب العربي في أقليم خوارزم، هند حسين طه، منشورات وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية، 1976م.
4. الأدب العربي وتاريخه في عصر صدر الاسلام والدولة الاموية، محمود مصطفى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1937م.
5. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير (ت 630 هـ)، تحـ: محمد إبراهيم البن ومحمد أحمد عاشور، دار الشعب، 1970.
6. أسرار البلاغة في علم البيان، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (ت 471 هـ)، تحـ: السيد محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. ت).
7. الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة)، مصطفى سويف، دار المعارف، مصر، 1951 م.
8. الأصول الفنية للشعر الجاهلي، سعد اسماعيل شلبي، مكتبة غريب، الفجالة، مصر، 1977 م.
9. الأعجاز والإيجاز: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي (ت 429 هـ)، تحـ: اسكندر آصاف، المطبعة العمومية، مصر، ط 1، 1897 م.
10. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت 436 هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1945 م.

11. الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، عبد العليم إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة (1395 هـ ـ 1975 م).
12. الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، الامام كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري (ت 577 هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط 4، 1961 م.
13. أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت 1120 هـ)، تحـ: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط 1، (د. ت).
14. الإيضاح في المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني (ت 1353 هـ)، تحـ: عبد المتعال الصعيدي، المطبعة المحمودية التجارية، مصر، 1935 م.
15. البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ (ت582 هـ)، تحـ: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ومراجعة إبراهيم مصطفى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1960 م.
16. البخلاء، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ)، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا، ط 2 منقحة، 1963 م.
17. بناء القصيدة الفني في النقد العربي القديم والمعاصر، مرشد الزبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994 م.
18. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1، (1367 هـ ـ 1948 م).
19. تاريخ الادب العربي، كارل بروكلمان، نقله الى العربية عبد الحليم النجار، الادارة الثقافية، جامعة الدول العربية، ط 3، (د. ت).

20. تاريخ الادب العربي (من مطلع الجاهلية الى سقوط الدولة الاموية)، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، (د. ت).
21. تاريخ الادب العربي، أحمد حسن الزيات، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط 8، 1942.
22. تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي)، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 17، 1960.
23. تاريخ الادب العربي (العصر الاسلامي)، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط 7، (د. ت).
24. تاريخ الادب العربي في الجاهلي وصدر الاسلام، محمد حسن درويش، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة، الأزهر، (د. ت).
25. تاريخ الطبري (تاريخ الملوك والرسل)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، تحـ: محمد ابو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1969 م.
26. تاريخ النقد عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، طه احمد ابراهيم، دار الحكمة، بيروت ـ لبنان، (د. ت).
27. تأويل مشكل القرآن: ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت 276هـ)، تحـ: السيد احمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط 2، 1973.
28. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، ابن ابي الاصبع المصري (ت 154 هـ)، تحـ: د. حنفي محمد شرف، لجنة احياء التراث الاسلامي، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، (1383 هـ ـ 1963 م).
29. التكسب بالشعر: جلال الخياط، دار الاداب، بيروت، 1970.

30. التـوراة، نشر عـن جمعيـة التـوراة البريطانيـة والأجنبيـة (تـرجم عـن اللغـات الأصـلية: الكلدانية، العبرانية واليونانية).
31. تسهيل قواعد الاملاء: مي عبد المجيد علي، بغداد، (1399 هـ ـ 1979 م).
32. الثعالبي ناقدا واديبا: محمود عبد اللـه الجادر، دار الرسالة للطباعة، بغـداد، ط 1، (1396 هـ ـ 1976 م).
33. الجمان في تشـبيهات القـرآن: ابـن ناقيـا البغـدادي (ت 485)، تحــ: مصـطفى الصـافي الجوني، منشأة المعارف بالاسكندرية (د. ت).
34. جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام، ابو زيد محمد بـن ابي الخطـاب القـرشي (ت 170 هـ)، تحـ: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالـة، القـاهرة، ط 1، 1976 م.
35. جواهر الادب في أدبيات وانشاء لغة العرب، احمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط 29 (1403 هـ ـ 1983 م).
36. حديث الاربعاء: طه حسين، دار المعارف، مصر، ط 9، 1925 م.
37. حسن التوسل الى صناعة الترسل: شـهاب الـدين محمـود الحلبـي (ت 725 هــ)، تحــ: اكرم عثمان يوسـف، دار الرشـيد للـنشر، دار الحريـة للطباعـة، وزارة الثقافـة والاعـلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد، 1980.
38. الحطيئة: فؤاد افرام البستاني (الروائع) منشورات الآداب الشرقية، المطبعة الكاثوليكيـة ـ بيروت، ط 2 منقحة، 1950م.
39. الحطيئة: ايليا حاوي. منشورات دار الشرق الجديد، بيروت، ط 1، 1961.
40. الحطيئة: اوس بن جرول العبسي (المخصوص من المنتقى من النصوص)، اسعد ذيبان، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط 1، 1985.
41. الحطيئة البدوي المحترف، درويـش الجنـدي، مكتبـة النهضـة، الفجالـة ـ مصر، ط 1، 1962.

42. الحطيئة الشاعر المفترى عليه، عبد الغني خماس، مطبعة العاني، بغداد، 1988.
43. الحطيئة شاعر من عبقر. دراسة وتحليل: عبد الله انيس الصباغ، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، (د. ت).
44. حلية المحاضرة في صناعة الشعر: ابو علي محمد بن الحسن بن مظفر الحاتمي (ت 388 هـ) تحـ: جعفر الكتابي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية، 1979 م.
45. الحياة الادبية في عصري الجاهلية وصدر الاسلام، محمد عبد المنعم الخفاجي وصلاح الدين محمد عبد التواب، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، (د. ت).
46. الحياة الادبية في عصر صدر الاسلام: محمد عبد المنعم الخفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط 1، 1973 م.
47. الحيوان: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى بابي الحلبي واولاده، مصر، ط 1، (1356 هـ ـ 1938 م) و ط 2 (1385 هـ ـ 1965 م).
48. خاص الخاص: ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي صححه الشيخ محمود السكري، مطبعة السعادة، القاهرة، ط 1، (د. ت).
49. خزانة الادب ولب لباب كلام العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093 هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر، مطبعة المدني، (د. ت).
50. الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحـ: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط 2، (د. ت).

51. دائرة المعارف الاسلامية: شهاب الدين الأبشيهي (ت 850 هـ)، نقلها للعربية احمد الشنتناوي، ابراهيم زكي، حافظ جلال، عبد الحميد يونس، مراجعة وزارة المعارف العمومية، (1352 هـ ـ 1933 م).
52. دراسات في الادب الاسلامي، د. سامي مكي العاني، ساعدت جامعة بغداد على نشره، المكتب الاسلامي، (د. ت).
53. دراسات في ادب ونصوص العصر الجاهلي، محمد عبد القادر احمد، مكتبة النهضة المصرية، ط 1، (1403 هـ 1983 م).
54. دراسات في نقد الادب العربي من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث، بدوي طبانة، طبع مكتبة الانجلو المصرية (المطبعة الفنية الحديثة)، ط 4 منقحة، (د. ت).
55. دراسة الشعراء، محمد حسن نائل المرصفي، اكمله ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط 1، (1363 هـ ـ 1944 م).
56. دلائل الاعجاز، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني، علق عليه محمودمحمد شاكر، الناشر مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة ـ مصر، ط 1، 1984.
57. ديوان بشر بن ابي خازم: تحـ عزة حسن، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1972.
58. ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحـ نعمان امين طه، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 1، (1378 هـ ـ 1958 م).
59. ديوان ديك الجن: تحـ احمد مطلوب وعبد الله الجبوري، نشر، دار الثقافة بيروت ـ لبنان، (د. ت).
60. ديوان الفرزدق: (د. تحـ). دار صادر، بيروت، (1386 هـ ـ 1966 م).

61. ديـوان المتنبـي، شرح ابي العقـاد العكـبري، ضـبطه وصـححه: مصـطفى السـقا وابـراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة البابي وأولاده بمصر، ط 2، 1376 هـ ـ 1956 م).
62. ديوان المعاني: ابو هلال العسكري، الناشر مكتبة المقدسي، (1352 هـ)، (د. ت).
63. رسائل البلغاء، اختيار وتصنيف الاستاذ محمد كرد علي، لجنة التأليف والترجمة والـنشر، القاهرة، ط 4، 1954 م.
64. الرسالة العذراء، ابراهيم بن المدير (ت هـ) صححه وشرحه: زكي مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 2، (1350 هـ ـ 1931م).
65. رسالة الغفران، ابو العلاء المعري (ت 449 هـ) تحـ: عـلي شـلق، دار القلـم، بـيروت ـ لبنان، ط 1، 1975.
66. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات ابي الطيب المتنبي وساقط شـعره، ابـو عـلي محمـد ابـن الحسن الحاتمي الكاتب، تحـ: محمد يوسف نجم، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة، بيروت، 1965 م.
67. زهر الاداب وثمر اللباب، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحـ: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، ط 1، 1953.
68. السخرية في الادب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، نعمان محمد امين دار التوفيقية للطباعة بالازهر، القاهرة، ط 1، (1398 هـ 1978 م).
69. سر الفصاحة، عبد الـلـه بن محمد بن سعيد بن سـنان الخفـاجي (ت 466 هــ)، شرح وتصحيح: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمـد عـلي صـبيح وأولاده بـالازهر، (1389 هـ ـ 1969 م).

70. سنن ابن ماجة، ابو عبد اللـه محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت 273 هـ)، تحـ: محمد مصطفى الاعظمي، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، ط 2، (1404 هـ ـ 1984 م).
71. شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، بهاء الدين عبد اللـه بن عقيل (ت 769 هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث (مطابع المختار الاسلامية)، القاهرة، ط 20، 1980 م.
72. شرح الاشموني على الفية ابن مالك، نور الدين علي بن محمد الاشموني (ت 929 هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط 1 (1375 هـ ـ 1955 م).
73. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابو محمد عبد اللـه جمال الدين بن هشام الانصاري (ت 761 هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد اللـه، دار الفكر.
74. شرح شواهد المغني: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت 911 هـ)، ذيل بتعليق العلامة محمود ابن التلاميذ الشنقيطي، وقف على طبعه وعلق على حواشيه،احمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، (د. ت).
75. شرح القصائد السبع المشهورات، ابو جعفر احمد بن محمد النحاس (338 هـ)، تحـ: احمد خطاب، دار الحرية للطباعة والنشر، مطبعة الحكومة، مديرية الثقافة العامة، وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد 1973 م.
76. شرح ما يقع عليه التصحيف والتحريف، ابو احمد الحسن بن عبد اللـه العسكري، تحـ: عبد العزيز احمد، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط 1، (1383 هـ ـ 1963 م).
77. شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش (ت 643 هـ)، صححه وعلق على حواشيه مشيخة الازهر، المطبعة المنيرية، مصر (د. ت).

78. شعر اوس بن حجر ورواته الجاهليين، محمود عبد اللـه الجادر، دار الرسـالة للطباعـة، بغداد، 1979 م.
79. الشعر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت، ط 2، 1973 م.
80. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، يحيى الجبوري، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيـع، 1972 م.
81. الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاتـه الفنيـة (دراسـة نصـية)، سـيد حنفـي حسـنين، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1971.
82. سحر المخضرمين واثر الاسلام فيه، يحيى الجبوري، تقديم محمد طـه الحـاجري، ط 1، 1986 م.
83. الشعراء نقاداً (دراسات في الادب الاسلامي والاموي)، عبد الجبـار المطلبـي، دار الشـؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام. بغداد، ط 1، 1986.
84. الشعر والشعراء: ابو محمد عبد اللـه بن مسلم بن قتيبـة، تحــ: احمـد محمـد شـاكر، دار المعارف، مصر، ط 2، 1966.
85. ضرائر الشعر: ابن عصفور عـلي بـن مـؤمن بـن محمـد الاشـبيلي (ت 669 هــ)، تحــ: ابراهيم محمد، دار الاندلس، بيروت ـ لبنان، ط 2، (1402 هـ ـ 1982 م).
86. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي (ت 231 هـ)، تحــ: محمـد محمـود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط 1، (د. ت).
87. ظـاهرة التكسـب واثرهـا في الشـعر العـربي ونقـده، درويـش الجنـدي، دار نهضـة مصر للطباعة والنشر، مطبعة الرسالة، 1969 م.
88. العصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، إحسان النص، دار الفكر، ط 2، 1972 م.

89. عصر القرآن، محمد مهدي البصير، دار الشؤون الثقافية، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ط 3، 1987.
90. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ)، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط 4، 1972 م.
91. عيار الشعر: محمد بن احمد بن طباطبا العلوي (ت 322 هـ)، تحـ: محمد زغلول سلام، توزيع منشاة المعارف بالاسكندرية، مطبعة التقدم ـ الاسكندرية، (د. ت).
92. عيون الاخبار، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973 م.
93. فحولة الشعراء: ابو سعيد عبد الملك قريب الاصمعي (ت 216 هـ)، تحـ: محمد عبد المنعم خفاجي وطه محمد الزيني، المطبعة المنيرية، القاهرة، ط 1، 1953.
94. فن الهجاء وتطوره عند العرب، ايليا حاوي، دار الثقافة، بيروت، 1962 م.
95. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط 8، (د.ت).
96. في الادب الجاهلي، طه حسين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد، مصر، (1345 هـ ـ 1927 م).
97. في الادب العباسي، محمد مهدي البصير، مطبعة النجاح، بغداد، ط 1، 1949 م.
98. في النقد والادب (مقدمات جمالية عامة وقصائد محللة من العصر الجاهلي)، ايليا حاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 4، 1979.
99. قراصنة الذهب في نقد اشعار العرب، ابن رشيق القيرواني، تحـ: الشاذلي ابو يحيى، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1972 م.

100. قواعد الشعر، ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ) تحـ: رمضان عبد التواب، دار المعرفة، القاهرة، ط 1، 1966 م.
101. الكامل في اللغة والادب، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ)، تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم وسيد شحاته، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، (د.ت).
102. كتاب الاغاني: ابو فرج الاصفهاني علي بن الحسين (ت 356 هـ)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصور عن طبعة دار الكتب، (د. ت).
103. كتاب البديع، عبد الله بن المعتز (ت 296 هـ)، الناشر: إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار السيرة، بيروت، ط 3 منقحة (1402 هـ ـ 1982 م).
104. كتاب التشبيهات، ابن ابي عون، ابراهيم بن محمد المصري (ت 322 هـ) صححه محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كمبردج، (1366 هـ ـ 1950 م).
105. كتاب سيبويه، ابو بشر عمرو الملقب بسيبويه (ت 180 هـ)، المطبعة الكبرى الاميرية، بولاق، مصر، ط 1، (1317 هـ).
106. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحـ: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ت).
107. كتاب الطراز، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي (ت 328 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د. ت).
108. كتاب العقد الفريد، ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت 328 هـ) تحـ: احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، ط 3، 1965.

109. لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مُكرّم بن منظور الانصاري (ت 711 هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتاليف والترجمة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق معها تصويبات وفهارس متنوعة.

110. اللُمع في العربية، ابو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحـ: حامد المؤمن، منشورات جمعية منتدى النشر ـ النجف الاشرف ـ مطبعة العاني ـ بغداد (1402 هـ ـ 1982 م).

111. ما يجوز للشاعر في الضرورة، ابو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني (ت 412 هـ)، تحـ: محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، الناشر: منشأة المعارف بالاسكندرية، دار بورسعيد للطباعة، (د. ت).

112. المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف بابن الاثير (ت 637 هـ)، تحـ: احمد الحوفي وبدوي طبانه، مكتبة ومطبعة نهضة مصر، الفجالة ـ القاهرة، 1960 م.

113. مجالس ثعلب، ابو العباس احمد بن يحيى بن ثعلب، تحـ: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، (د. ت).

114. مجالس العلماء، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت 340 هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مطبعة الكويت، 1962 م.

115. المحاسن والمساوئ، ابراهيم بن محمد البيهقي، تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة نهضة مصر، 1961.

116. المرأة في الشعر الجاهلي، احمد الهاشمي، مطبعة المعارف، بغداد، 1960 م.

117. المزهر في علوم اللغة وانواعها، عبد الرحمن خلال الدين السيوطي، تحـ: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي البجاوي ومحمد احمدجاد المولى، دار احياء الكتب العربية، ط 4، 1958 م.
118. المستطرف من كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن احمد ابي الفتح الابشيهي (ت 850 هـ) شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ط اخيرة، (1371 هـ ـ 1952 م).
119. المصون في الادب، ابو احمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت 382 هـ)، تحـ: عبد السلام محمد هارون، الكويت، 1960.
120. معاني الشعر، ابو عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني (ت 288 هـ) برواية ابي دريد، تحـ: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1964 م.
121. معجم الادباء المعروف بإرشاد الأريب الى معرفة الأديب، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، صححه مرجيلوت، مطبعة هندية بالموسكي، مصر، ط 2، 1930 م.
122. المغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية بمصر، مطبعة القاهرة، (د. ت).
123. مفتاح العلوم: ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر السكاكي (ت 626 هـ)، تحـ: اكرم عثمان، مطبعة دار الرسالة، ط 1، 1981.
124. المقتضب: ابو عباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285 هـ)، تحـ: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
125. المقدمة: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، طبعة دار الشعب، القاهرة، (د. ت).

126. مقدمة في النقد الادبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2، 1979 م.
127. مقدمة القصيدة العربية في صدر الاسلام: حسين عطوان، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط 1، (1407 هـ ـ 1987 م).
128. الممتع في صنعة الشعر عبد الكريم النهشلي القيرواني، تحـ: محمد زغلول سلام، دار غريب للطباعة، (د. ت).
129. مناهج البلغاء وسراج الادباء، ابو الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ)، تحـ: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966 م.
130. المنتحل: ابو منصور الثعالبي (ت 429 هـ) صححه احمد ابو علي، المطبعة التجارية، الاسكندرية، (1319 هـ ـ 1901 م).
131. المنتخب من كنايات الادباء وارشادات البلغاء، القاضي ابو العباس احمد بن محمد الجرجاني الثقفي (ت 482 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط 1، 1984.
132. المنصف للسارق والمسروق في اظهار سرقات ابي الطيب المتنبي، ابن وكيع ابو محمد الحسن بن علي التنيسي (ت 393 هـ)، تحـ: محمد يوسف نجم، الكويت، ط 1، 1984 م.
133. الموازنة بين ابي تمام والبحتري، ابو القاسم الآمدي (ت 370 هـ)، تحـ: احمد صقر، دار المعارف بمصر، ط 2، 1972 م.
134. مواقف في الادب والنقد، عبد الجبار المطلبي، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد، 1980م.
135. الموجز في الادب العربي وتاريخه، (الادب الجاهلي)، وضع لجنة من الاساتذة بالاقطار العربية، طبع ونشر دار المعارف، مصر، (د. ت).

136. الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة انواع من صناعة الشعر، ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ)، تحـ: على محمد البجاوي، طبع ونشر دار نهضة مصر، 1965 م.
137. موقف النقاد من الشعر الجاهلي، محمد عبد المنعم الخفاجي، دارالفكر، 1950 م.
138. نضرة الاغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي (ت 656 هـ)، تحـ: نهى عارف حسن، دار صادر، بيروت، ط 2، 1995.
139. النقد الادبي من خلال تجاربي، مصطفى عبد اللطيف السحرني، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1962 م.
140. النقد التطبيقي التحليلي: د. عدنان خالد عبد الله، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ط 1، 1986 م.
141. نقد الشعر، ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت 337 هـ)، تحـ: كمال مصطفى، مطبعة انصار السنة المحمدية، ط 1، 1948، (وطبعة ثانية: تحـ: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، د. ت).
142. نقد الشعر في المنظور النفسي، ريكان ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، ط 1، 1989 م.
143. النقد العربي مداخل تاريخية حول اتجاهاته الاساسية، عبد المنعم تليمة وعبد الحكيم راضي، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1984 م.
144. النقد عند اللغويين في القرن الثاني، سنية احمد، ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1977 م.
145. النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، نعمة رحيم العزاوي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978 م.

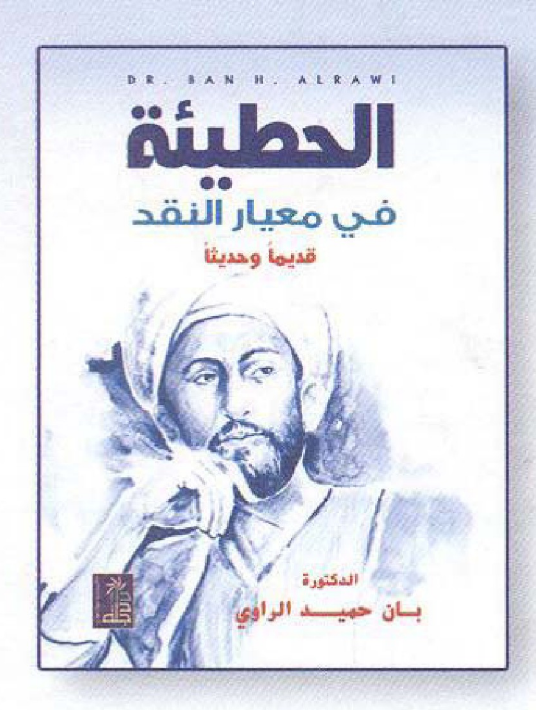
146. الهجاء الجاهلي صوره واساليبه الفنية، عباس بيومي عجلان، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1985 م.
147. الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، محمد محمد حسين، مكتبة الاداب بالجماميز ـ المطبعة النموذجية، 1948 م.
148. وحدة القصيدة حتى نهاية العصر العباسي، حياة جاسم، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، مديرية الثقافة العامة، وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية، بغداد، 1972 م.
149. الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت 392 هـ)، محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 4، (1386 هـ ـ 1966 م).
150. الوسيط في الادب العربي وتاريخه، احمد الاسكندري ومصطفى عناني، دار المعارف بمصر، ط 18، (د. ت).

الرسائل الجامعية

1. البناء الفني في شعر الحطيئة، ازدهار عبد الرزاق التميمي (رسالة دكتوراه)، كلية الاداب ـ جامعة بغداد 1995.
2. الطبع والصنعة معياراً نقداً عند العرب حتى نهاية القرن الخامس الهجري، عبد السلام محمد رشيد (رسالة ماجستير)، كلية الاداب ـ جامعة بغداد، 1988.
3. القبيلة في شعر ما قبل الاسلام، احمد اسماعيل النعيمي (رسالة ماجستير)، كلية الاداب ـ جامعة بغداد، 1985 م.
4. مصطلحات السرقة في التراث النقدي، سندس محسن العبودي (رسالة ماجستير) كلية التربية الاولى ـ ابن رشد، جامعة بغداد، 1996.

الدوريات

1. الحطيئة بين الهجاء والمديح، د. عبد القادر امين، مجلة اداب المستنصرية، كلية الاداب الجامعة المستنصرية، مطبعة المعارف ـ بغداد، ع 3، 1978م.
2. نفسية الشاعر في شعره: (مجهول الكاتب) مجلة الاقلام، بإدارة علي ظريف الاعظمي، مطبعة التراث، بغداد، السنة الاولى، ع 1 و ع 2، (1346 هـ، 1938 م).
3. قراءة معاصرة في نص تراثي، محمود عبد الله الجادر، مجلة الطليعة الادبية، دار الشؤون الثقافية والنشر، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، سنة 10، ع 7 ـ 8 (تموز ـ اب)، 1984.
4. نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة، عناد غزوان، مجلة البلاغ السنة الرابعة، ع 2 ـ 3، بغداد، 1973.
5. الوجه الآخر للحطيئة: د. ابتسام مرهون الصفار، مجلة الاستاذ، لكلية التربية جامعة في بغداد، ع 1، 1978 م.
6. وفاء الحطيئة: عبد العزيز الرفاعي، المجلة العربية، المملكة العربية السعودية السنة الرابعة، ع 4، (رمضان 1400 هـ ـ تموز 1980 م).



الحطيئة

في معيار النقد

قديماً وحديثاً







ISBN 9957-478-37-0

عمان ـ شارع الملك حسين ـ مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس : ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي : ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧

ص ب : ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ ـ الأردن

بغداد ـ شارع السعدون ـ عمارة فاطمة

تلفاكس : ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢ خلوي : ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٥٨٥٥٦٠٣

E-mail: dardjlah@yahoo.com